مقابر بلا قبور

مقابر بلا قبور

قصة سجين

تأليف
جميل الفارس

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية ١٤٢٩ – ٢٠٠٨

الإهداء

إلى والدتي العزيزة التي لم أرها طوال فترة السجن وفترة الغربة التي أعيشها خارج بلدي
إلى والدي الذي انتقل إلى جوار ربه ولم أره، حيث توفي وأنا أعيش خارج وطني
إلى السجناء الذين عانوا في سجون صدام فترات مختلفة والذين ما زالوا يتشوقون لنفس الحرية.

جميل الفارس

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخوة الذين أدّوا بعض الملاحظات حول طبع هذا الكتاب، وأيضاً شجعوني وحفزوني في وقت كنت فيه متردداً في طبعه، وكنت أنوي الاحتفاظ به كمذكرات خاصة بي وليس للنشر وأخص بالذكر:-

١-الدكتور قاسم الذي اطلع عليه وأنا في بداية كتابته وكان يقرأه أولاً بأول وهو بخط اليد.
٢-السيد قاسم الياسري، الأمين العام لجمعية السجناء الإسلاميين.
٣-السيد سعيد الصافي، نائب الأمين العام لجمعية السجناء الإسلاميين.

جميل الفارس
عضو الأمانة العامة
لجمعية السجناء الإسلاميين
للفترة من ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م

المقدمة

إن الجرائم التي ارتكبها النظام المتسلط على رقاب الشعب العراقي لا تُعَدُ ولا تحصى، وإن ما خفي منها كان أكثر من الذي ظهر، وإن الذي نُشِرَ لحد الآن من تلك الجرائم لهو الشيء النزير، ولو اطلع العالم عليها لظل متحيراً ومتعجباً ومندهشاً لبشاعة هذه الإهانات التي يمارسها النظام ضد هذا الشعب المسالم منذ وصوله الى السلطة ولحد هذا اليوم، ومهما جادت الأقلام من ذكر حقائق هذا الاستخفاف بحقوق الإنسان فلا تصل إلى الحقيقة الكاملة بحجم هذه الجرائم.

قرأت كثيراً من الكتب التي تحدثت عن النظام، وجرائمه، واضطهاده، وظلمه ضد الشعب، ولكن هذه الكتب لا تعبّر إلاّ عن الشيء القليل مما يتعرض له الشعب العراقي وبشكل يومي، وليس صدام وحده شارك في ظلم هذا الشعب المسالم ذي العقل الخارق، فهناك بعض الأطراف الدولية أيضاً شاركت في ظلم هذا الشعب وعلى رأس هذه الأطراف إسرائيل وأمريكا وبعض دول الجوار، وخير دليل على ذلك هو تصريح رئيس الوزراء الإسرائيلي حينما قال: يجب الاقتصاص من الشعب العراقي؛ لأنه يحمل عقلاً خارقاً... والشعب العراقي ٧٥% منه من الشيعة لذلك تجد وسائل الإعلام للدول المجاورة شاركت في ظلم هذا الشعب وتزييف حقيقة شيعة العراق التي تنتمي الى هذا الوطن العربي الكبير، وكذلك ساهمت بعض الدول العربية والإسلامية المجاورة للعراق بتسليم بعض العراقيين الشيعة الى النظام الحاكم في العراق وتم إعدامهم، وبعضهم تم اعتقالهم في تلك الدول، إضافة الى المعاملة السيئة من قبل أجهزة تلك الدول للعراقيين الشيعة المتواجدين على أراضيها.

أن كل عراقي يحمل هموماً وقصصاً لو تحدث فيها أمام غير العراقيين لا يصدقون، وكنا في السجن نقول: لو أطلق سراحنا، وتحدثنا بما حصل لنا هل سيصدقنا الناس؟!!.

في هذا الكتاب أذكر ما شاهدته بعيني، وما مُورس معي من جرائم؛ حتى تكون شاهداً للتاريخ على جرائم أعتى طاغية ودكتاتور شهده العصر الحديث.

جميل الفارس
دمشق – السيدة زينب (ع)
٢٠٠٠/١/١٥

أجهزة النظام الأمنية

في العراق توجد أجهزة أمنية كثيرة، وفيما يلي سرد لبعض هذه الأجهزة:-
١-جهاز المخابرات.
٢-جهاز الأمن الخاص.
٣-جهاز الاستخبارات العسكرية.
٤-جهاز الأمن.
٥-المنظمات الحزبية.
٦-الجيش الشعبي.
٧-الجيش.
٨-وكلاء (عملاء) المخابرات والاستخبارات والأمن.
٩-الشرطة المحلية.
١٠-شرطة مكافحة الإجرام.
وهناك أجهزة أمنية استُحدِثت بعد الانتفاضة التي حصلت إبّان انسحاب صدام من الكويت، مثل: فدائيو صدام وغيرها.
هذه الأجهزة الأمنية مهمتها أن تحافظ على أمن الوطن والمواطن، وتجعل البلاد والشعب يعيشان في استقرار واطمئنان، هكذا هي في معناها الحقيقي، أما بالنسبة للعراق فهي تختلف تماماً.
مفهوم الأمن يعني فيما يعني الأمان، الطمأنينة، الاستقرار، وأن يعيش المواطن بحرية بلا قيود، ولا يتحرج في الحديث، أو المشاركة، أو الاستماع، ولو من خلال جهاز المذياع إلى موضوعات سياسية، أو أي حديث عام.
في قاموس النظام العراقي بزعامة صدام، المفاهيم مقلوبة، وتعطي عكس معناها، فالأمن يعني الإرهاب، والإرهاب يعني الأمن.
الأمن عند صدام هو إرهاب الشعب من أجل أن يستمر على رأس النظام، فهو بالإرهاب يدوم متسلطاً على رقاب الشعب العراقي، صدام هو إرهابي كبير، بل هو يجسد الإرهاب.
لذلك استغل الأجهزة الأمنية لتخويف الشعب ولحمايته ونظامه من أبناء الشعب، ويعلم جيداً أن الشعب يرفضه، ويرفض نظامه وحزبه، ويتحيّن عليه الفرص حتى ينقضّ عليه وعلى نظامه الإرهابي.
إن أجهزة صدام الأمنية (الإرهابية) ارتكبت جرائم كبيرة بحق الشعب، فالإعدامات على قدم وساق، والاعتقالات لم تتوقف في يوم من الأيام منذ وصوله لسدة الحكم، فبفضل هذه الأجهزة تحوّل العراق إلى سجن كبير وبقي صدام في الحكم طوال هذه الفترة.
في الواقع أنا لست كاتباً، ولا ناشراً، ولكن رأيت من واجبي أن أبيّن حجم الإرهاب، الذي تمارسه هذه الأجهزة الأمنية مع الشعب العراقي.
وقصتي هذه مع جهاز واحد من هذه الأجهزة وهو جهاز الأمن الذي يعتبر أقل إرهاباً من جهاز المخابرات والأمن الخاص والاستخبارات.
من خلال قراءتكم لهذا الكتاب ستشاهدون عِظَم ما يعانيه العراقيون من هذا الجهاز الأمني..

الاعتقال

بعد أن تسلم صدام السلطة ومن خلال المسرحية المفضوحة باستقالة أحمد حسن البكر، وحينها كان نائب الرئيس، ويدير الحكم في العراق على الرغم من وجود البكر الذي كان

بدوره يمثل دمية تحركها أصابع صدام؛ لأن هذا الأخير كان شرساً دموياً، لا يتورع في قتل أي شخص مهما كانت صلة القرابة به، وإخلاصه له.
كان صدام نائباً للرئيس يقوم بزيارات إلى المدن العراقية ليكوّن لنفسه شعبية وسط الشعب العراقي، ونجح في ذلك إلى حد كبير.
وبعد التغيير الذي حصل في المنطقة؛ نتيجة نجاح الثورة في إيران صعد صدام إلى رأس السلطة بعد الذي حصل من خلال المسرحية آنفة الذكر.
ولم تمض فترة طويلة من استلامه سدة الحكم حتى أصدر قرار عفو عن السجناء باسم ما يسمى مجلس قيادة الثورة الذي يترأسه، وكان صدام قد أصبح رئيساً للعراق في ١٩٧٩/٧/١٧ وأصدر قرار العفو نهاية الشهر الثامن من السنة نفسها.
كان قرار العفو هو للزيادة في شعبية صدام أولاً، وإفراغ السجون لحملة الاعتقالات التي ينوي صدام القيام بها ثانياً بعد أن شاهد أن الثورة في إيران قد أثّرت كثيراً على الشعب العراقي.
وما إن أطلق سراح السجناء حتى شن حملة اعتقالات واسعة، شملت الأطفال والنساء والشيوخ والشباب والطبقة المثقفة منهم بشكل خاص.
شرع صدام بتنفيذ الهدف الذي جعله نُصب عينيه، وهو شن حرب على إيران من أجل القضاء على الثورة في إيران، فأشعل الحرب مع إيران في تاريخ ١٩٨٠/٩/٢٢، وفي نفس الوقت شن حملة اعتقالات واسعة شرسة ومسعورة، فاقت الاعتقالات قبل الحرب، وشملت الاعتقالات المحافظات كافة التي تقطنها الشيعة وخاصة الجنوبية وبالأخص البصرة لمحاذاتها إيران.
كنا نحن مجموعة من الشباب نقوم بأعمال دينية من مواليد[1] وتثقيف الشباب وغيرها من الأعمال التي تخص الدين وتعاليمه وكان بعض الناس المحسوبين على السلطة يطلقون علينا اسم (الخمينية).
عند اعتقال بعض الأصدقاء الأعزاء أمثال محمد عبد النبي فالح، وجبر عبد لفته، وصبيح حسين يوسف، وصالح عبد لفته، الذين انقطعت عنا أخبارهم تماماً وشُلَّت حركتنا، ومن خلال حركة أجهزة السلطات تبيّن لنا أنهم يتابعوننا، ويترصدون حركتنا، وعليه فإننا معرضون للمساءلة والاعتقال في أية لحظة؛ ما جعلنا نفكر بالخروج من العراق، وأسهل وأقرب طريق هو الذهاب إلى إيران؛ طلباً للأمان وبعد أن نستشير أهلنا في هذا الأمر، فذهبت أنا أطلب موافقة والدتي على ما عزمنا عليه، فرفضت ذلك بسبب عاطفتها وحبها لي، أما والدي (رحمه الله) فأعرف موقفه من الإيرانيين وهو عدم الموافقة وذلك لمعرفته بالإيرانيين بحكم عمله سواء في الكويت حيث كان يعمل ومعه إيرانيون أم أثناء عمله داخل إيران قديماً، وقد تعامل معهم.
كنا نحن خمسة أصدقاء اثنان لم يحصلا على موافقة عوائلهم وهما (نجاح حسين يوسف، وكريم مهدي أبو الهيل)، لذلك تأخرنا أو أجّلنا الأمر لوقت آخر عسى أن يطرأ تغيير على الموقف.
أما الصديقان فنالا الموافقة من قبل عائلتيهما للخروج من العراق وذلك لخطورة موقفهما وهؤلاء هما (ب - ح) و(ن - ر)[2].
تم الاتفاق مع المهرب على الموعد، وكانت أجرته ٢٥ ديناراً عراقياً في ذلك الوقت لكل شخص، وذلك في نهاية عام ١٩٨٠، وكنا نحن – الثلاثة - في توديعهم الى الحدود العراقية

---

١ مواليد الرسول (ص) والأئمة المعصومين (ع).
٢ لم أذكر أسماءهما الصريحة لمراعاة وضعهما من الناحية الأمنية وهما الآن حيّان

– الإيرانية، حملتهم زوارق صغيرة، انطلقت بهم عبر هور الحويزة بين القصب والبردي باتجاه إيران.
لم تمضِ إلا فترة قصيرة حتى زاد الخناق علينا، وأصبحنا لا نستطيع الحركة من مضايقة بعض المنافقين لنا من الذين زرعهم جهاز الأمن والحزب الحاكم لمتابعة حركتنا، ومن هؤلاء (محمد سالم جاسم) وهو أحد أقاربي و(علي خلف أبو الريش) كما كنا نسميه في المنطقة[1] (وسعد جاسم حمادي) وهو بقدم واحدة (أعرج) و(عودة ثجيل) وهو مُقعَد، ويتحرك من خلال عربة يدفعها ابنه خالد ومهدي باهت وهو (أعضب) له يد واحدة ورجل الأمن جميل سالم جاسم وهو أحد أقاربي.
بعد هذه المضايقات وكتابة التقارير عن تحركاتنا، وتسليمها إلى جهاز الأمن والحزب الحاكم من قبل هؤلاء المنافقين، تم اعتقال الكثير من الإخوة، أي في تاريخ ١٩٨١/٥/١١ حيث اعتقل الأخ حيال غضبان سهيم وعبد العباس جعفر مروح وطالب عبد السادة مونس وعبد الله حسين يوسف، واستمرت الاعتقالات حتى جاء يوم ١٩٨١/٥/١٣ الساعة الواحدة بعد الظهر حيث اعتُقِلت مع مجموعة من الأصدقاء.

مديرية أمن البصرة

بعد أن تم اعتقالي أنا والأخوان صادق جعفر مروح و(ح - ن - ع) و(هـ - ك - ج) وخزعل وصفي ورحيم عبد السادة مونس ونجاح حسين يوسف[2] ذهبوا بنا الى أمن القرنة، فاستقبلنا عبود وهو رجل أمن شرس معروف لأهالي القرنة، فوضعنا في غرفة مظلمة بعد أن صفعنا على وجوهنا بدون أن يتكلم معنا، وفي أول لحظات الاعتقال قالوا لي: نحتاجك لمدة خمس دقائق لغرض الاستفسار.
لم تمضِ ساعات طويلة حتى طلبوا منا أن نخرج من الغرفة المظلمة الى الممر، وقاموا بتقييدنا، ووضع قطعة قماش على عيوننا، واقتادونا الى ساحة دائرة الأمن حيث تتوقف السيارة المكشوفة، أركبونا في السيارة، وأمرونا بأن ننام في السيارة، ثم قاموا بتغطيتنا (بالجادر)، ثم وضعوا إطارات السيارات على هذا الغطاء؛ خوفاً من أن يرفعه الهواء أثناء سير السيارة، انطلقت بنا السيارة، ولا نعلم الى أي جهة اتجهت، هل هي إلى البصرة أم إلى بغداد.
من يذهب من ساحة أم البروم في البصرة باتجاه ساحة سعد وقرب محكمة البصرة القديمة يلاحظ أو يشاهد بناء يشبه القلعة يتوسط ساحة كبيرة تحيطه الأشجار وحول كل هذا سياج مرتفع وقد تدلّت عليه الأشجار الشاهقة مما زاد في جمالية الشارع والمنطقة، لا يوجد باب للدخول على الشارع العام المبني على الطراز الحديث، وفي شارع فرعي يوجد باب يوصل الى أحد قصور عنجهية وغطرسة وعوامل بقاء النظام المتسلط على رقاب الشعب العراقي ألا وهو مديرية أمن البصرة.
من يشاهد هذا البناء لا يتصور ولا يطرأ على باله أن هذا المكان هو بداية لاختفاء العراقيين وأنه إحدى دوائر الأمن وهي سبب مصائب العراقيين.
لا أحد يتجرأ بالسؤال عن هذا المكان وكذلك لا أحد يستطيع أن يدخل الى هذا القصر إلا وهو معصوب العينين ومقيد الى الخلف.
تتكون مديرية أمن البصرة من:-

---

١ كان أشد هؤلاء إخلاصاً للحزب الحاكم المتسلط وأشدهم كرهاً للمؤمنين.
٢ من ذكر اسمه الصريح أعدم فيما بعد.

أولاً: السرداب (القبو) وهو سجن تحت الأرض وفيه ٦ غرف على شكل دائري وفي الوسط ساحة صغيرة وعلى جانب من هذه الساحة يوجد باب يؤدي الى الحمامات (التواليتات) وعددهن خمسة، مساحة كل غرفة ٤ X ٣م٢ ويوجد سلم يؤدي الى الطابق الأرضي.
ثانياً: الطابق الأرضي ويتكون من عدة غرف اتخذها الضباط للتحقيق مع المعتقلين، وتوزعت هذه الغرف في هذا القصر، وقد وضع حاجز بين غرفة وأخرى في الممر الذي يؤدي الى هذه الغرف وفي المقدمة توجد ساحة كبيرة بعض الشيء اتـُخِذت لتعذيب المعتقلين، حيث ثـُبِّتت في وسط هذه القاعة وفي السقف قضبان حديدية تـُستخدَم لربط المعتقل فيها ويسمونها (الكنارة).
ثالثاً: الطابق العلوي فهو (ظاهراً) استـُخدِم مكان استراحة لضباط التحقيق، ولا تتوفر معلومات لديَّ حول كيفية وضعه.
توقفت السيارة التي جاءت بنا من القرنة، رفعوا الإطارات والجادر، ثم أمرونا بالنهوض، ثم أنزلونا من السيارة، واقتادونا عبر ممرات طويلة، ثم الى حديقة كنت أرى، أو أشاهد الطريق وما حوله من خلف قطعة القماش المربوطة حول عيني، والوقت كان قـُبيل غروب الشمس، بعد أن سرنا في الممر مُقادين، وهذا الممر كان يتوسط الحديقة ويؤدي الى هذا البناء الذي ذكرناه، فتح الباب وأدخلونا الى المديرية وفي زاوية من قاعة كبيرة بعض الشيء أمرونا بالجلوس بعد أن جلسنا سمعت صوتاً مرتفعاً يصرخ من شدة الألم وكأن هذا الصوت أعرفه وليس بغريب عني، فنظرت الى الأعلى وإذا به كاظم لفته مونس[1] وهو من منطقتي وأحد أصدقائي وأكبر مني سناً، وقد اعتقلوه قبلي بيومين، فلما شاهدني أحد أفراد الأمن أنظر الى الأعلى قال لي: إنك تشاهد أو إنك ترى، انهض، فنهضت وتوجه بي إلى غرفة وكان يوجد فيها شخص يظهر أنه ضابط فقال له هذا الشرطي: سيدي إن هذا كان ينظر إلى الموقوفين، وإنه يرى من وراء قطعة القماش، وهو من الجُدُد. فقال له: فتـّشه، فقام هذا الشرطي بفتح ساعتي، ثم تسللت يده الى جيوبي، وأخرج محفظتي وفيها بعض النقود وبعض الصور وهويتي وبعض الأوراق ثم أخرجني من الغرفة الى القاعة وفتح قطعة القماش وغيرها، وأحكم ربطها بحيث لم أعُدْ أرى شيئاً وبعدها انهال عليَّ بالضرب بالهراوة.
توجد ثلاثة أنواع من الهراوات التي كانوا يستخدمونها لتعذيب المعتقلين:-
النوع الأول: مأخوذ من قطع أنابيب المياه البلاستيكية السوداء، وهي صلبة كانت تستخدم في العراق لشبكة المياه وهي أكثر مقاومة من الأنابيب الحديدية تحت الأرض، وتسمى (الصونده) أو (السوده) كما كانوا يسمونها.
النوع الثاني: الأسلاك الكهربائية الغليظة والمغلفة، وتسمى (الكيبل)
النوع الثالث: العُصيّ الخشبية وتكون غليظة بعض الشيء ومن الخشب الصاج.

التحقيق

التحقيق يجري ليلاً ويشتد بعد منتصف الليل حتى الصباح، تركوني في هذه الليلة جالساً حتى الصباح، كانت ليلة صاخبة حيث يدوّي صراخ المعتقلين في القاعة وأصوات السياط والهراوات التي اختلطت مع الأصوات المتعالية من الضحايا، وبين لحظة وأخرى ترتفع قهقهة مصدرها أفراد الأمن وأصوات أخرى تعلو طالبة من الضحية أن يعترف لهم أو

---

١ أعدم فيما بعد.

يكذب على نفسه بما يريدون وهذه الأصوات كلها ممزوجة تزرع في قلوب المعتقلين الانكسار والإرهاب والانهيار، على الرغم من هذا كله كانت هناك مواقف بطولية سنأتي على ذكرها.
في الصباح يسود هذه القاعة الهدوء التام ويكسر هذا الهدوء بين حين وآخر أنين يصدر من المعتقلين الذين يتألمون من شدة الجراح التي نزلت بهم نتيجة التعذيب، والشيء الثاني الذي يكسر هذا الهدوء هو ذهاب وإياب أفراد الأمن التي تصدر أصوات من أحذيتهم.
بعد الظهر يكثر ذهابهم وإيابهم يجلبون معتقلين جدداً الى هذا المكان ومن مختلف الأماكن، من الجامعات والمدارس ودوائر الدولة والجيش، ومن بين العوائل وهنا تنقطع أخبارهم، ولا تتجرأ عوائلهم بالسؤال ولو لحارس أو عامل خدمة أو شرطي أمن بسيط ومن تجرأ ووجه سؤالاً حول مصير ابنه أو أخيه أو أي شخص آخر فمصيره الالتحاق به في هذا المكان.
مضت الليلة الثانية وأنا في نفس المكان وكانت كالتي قبلها... يمارس التعذيب وتتعالى صيحات المعذبين.
في الصباح من اليوم الثاني نادوا باسمي فقلت: نعم. قال لي أحد الجلاوزة: انهض، فنهضت، واقتادوني إلى غرفة صغيرة، وكان فيها ضابط تحقيق، وتبيّن لي فيما بعد أنه ملازم أمن اسمه (حسين) من قضاء بلد التابع لصلاح الدين، أمرني هذا الضابط بالجلوس، وطلب من شرطي الأمن أن يرفع عصابة العينين عني، فرفعها، فشاهدت هذا الضابط، وهو أبيض اللون ضعيف البُنية شعره يميل للسواد الداكن عيناه صغيرتان.
تكلم معي، وطلب مني أن أذكر اسمي الثلاثي واللقب وتاريخ ومحل ولادتي وتحصيلي الدراسي، ثم العنوان الدقيق، واسم والدتي وإخواني وأقربائي وأصدقائي، كان عمري في ذلك الوقت ١٧ سنة، بعد أن أكمل أسئلته، قال في هذه الليلة: يجب عليك أن تتعاون معنا؛ كي نتعاون معك، وإلا سوف ترى ما سنفعل، ثم قال للشرطي: أعصب عينيه، وعُد به إلى حيث كان.
جلست في مكاني الذي كنت فيه أنتظر الليل، وأتساءل عما ماذا يريد مني هذا المجرم؟ بأي شيء أتعاون معه كما طلب؟ وما أطول الساعات التي مرت، علماً أنهم وفي لحظات الاعتقال، قالوا: إنه استفسار لمدة خمس دقائق، أذّن المؤذن، فقلت لنفسي: إنه أذان الظهر هذا إذن هو وقت الظهر فالوقت طويل حتى يأتي الليل وسوف يُجرى معي التحقيق، ذهب تفكيري الى أهلي كيف هم الآن؟ كيف حال والدتي؟ هل أنها تأكل أو تنام أو امتنعت عن النوم بسببي؟ وكيف هو حال والدي؟ هل يذهب الى العمل؟ أو أخذ يذهب الى دوائر الأمن والحزب للسؤال عني؟، وهل يعلم أنني هنا ولكن لا يستطيع الدخول؟ هل عائلتي في الخارج تنتظرني؟ وما هو مصير إخوتي بعدي؟ هل اعتُقلوا؟ وهكذا غرقت في تفكير عميق. كانت لي علاقة مع إحدى الفتيات وهي من أقاربنا وكنت أحمل صورتها في محفظتي التي أخذها مني شرطي الأمن، كنت أتخيلها أمامي واقفة وهي تبكي وعيناها النرجسيتان قد تورمتا، وشفتاها العسليتان قد ذبُلت وشكلها المائل الى البياض قد اصفرّ، تخيلتها وهي في عكس الصورة التي كنت أراها بها وقد اتفقنا على الزواج فيما بيننا بموافقة عائلتينا على ذلك، وأن العيد المقبل سوف يكون يوم زواجنا، ثم سألت نفسي: يا ترى هل أنها تذهب الى بيتنا مثلما كانت تفعل، وإذا كانت تذهب هل تدخل الى غرفتي، وإذا دخلت كيف سوف يكون حالها بعد أن ترى كل شيء في الغرفة يذكّرها بي، الصور.. الملابس.. الكتب.. المجلات.. أثاث الغرفة أي شيء في الغرفة يذكرها بي، فكيف تكون؟
صاح بي أحد شرطة الأمن: انهض، وركلني برجله، نهضت وتوجه بي الى غرفة الضابط أجلسني على كرسي وأمره الضابط بفتح قطعة القماش عن عيوني، الضابط كان جالساً

خلف الطاولة وعلى كرسي دوار والعصابة من شرطة الأمن واقفون عن يميني وعن شمالي كل واحد منهم أخذ مكانه، يداي كانتا الى الخلف مقيدتين، بادَرَ الضابط بالكلام معي قالي لي: هل تدخن، قلت له: لا، وكنت أنا أدخن والآن في أمسّ الحاجة للتدخين أكثر من أي وقت مضى، فقال لي: أجلب لك الشاي، فرفضت، والظاهر أن هذا الأسلوب يُستخدَم مع كل المعتقلين في بداية التحقيق.أمر الضابط الشرطة بالخروج من الغرفة، بعد أن خرجوا قال لي: سنبدأ، وبأسلوب مدروس وخبيث قال لي: أنت من أهل (القرنة)، إن أهل القرنة أناس طيبون واجتماعيون، أ ليس كذلك ؟فقلت له: نعم، قال: طيّب، ثم أردف يقول: إن الناس تدور بينهم أحاديث وقصص في بيوتهم، في عملهم، وفي سفرهم أ ليس كذلك؟ فأجبته بنعم: قال: أ لم تسافر من القرنة الى البصرة مثلاً، قلت: نعم، عدة مرات سافرت. قال: المسافة بين البصرة والقرنة هي ٧٥ كيلومتر، ثم قال: أ لم يجرِ حديث بينك وبين السائق أو أحد المسافرين، فقلت: كيف وأن طبيعة الإنسان هي المجاملة والتعارف وخاصة في السفر.
قال: إذن اذكر لي حديث حيال غضبان سهيم[1] من أوله الى آخره، ثم قال لي: اذكر لي بالتفصيل ماذا قال لك؟ وأي شيء طلب منك؟ وكيف جعلك تنتمي الى حزب الدعوة العميل؟ كما قال: ثم أردف قائلاً: أريد بالتفصيل من أول لحظة لقائك معه حتى يوم توقيفك، وإذا تعاونت معنا؟ وقلت الحقيقة نطلق سراحك وخاصة نحن الآن لدينا قرار عفو من السيد الرئيس عن السجناء والموقوفين، وبهذا الأسلوب أوقعوا كثيراً من المعتقلين بشباكهم، في هذه اللحظات شعرت بفتح باب خلفي، وهذا الباب ليس الباب الرئيسي للغرفة الذي دخلت منه لأنه كان عن يميني والباب الذي فُتِح كان خلفي، سمعت خطوات شخص يقترب مني وعلى شكل سريع ومفاجئ يوجه لي صفعة على أذني اليمنى، فسقطت من الكرسي الى الأرض وشعرت بدوار يلف رأسي لبضع ثوان مع ألم شديد في أذني، ولحد الآن أشعر بالألم من تلك الصفعة، لم أستطع النهوض بسبب تقييد يدَي الى الخلف.
قام الضابط وبأسلوب خبيث ومدروس أيضاً، ومسكني من يدي، وأجلسني على الكرسي، ثم قال للضابط الذي صفعني وهو مدير أمن البصرة والذي تبيّن فيما بعد: سيدي إن هذا إنسان طيب (خوش ولد)[2] وسيعترف لنا بكل الأعمال التي قام بها، فأجابه: إذاً استمر معه في التحقيق، ثم ذهب، قال لي الضابط وهو ملازم (حسن) المشرف على التحقيق مع مجموعتنا: إن سيادة المدير لا يعلم إنك ستذكر لنا الحقيقة ولذلك ضربك، فقلت أي حقيقة تريد أن أقولها لك، قال: علاقتك بحزب الدعوة، قلت له: لست في حزب الدعوة، ولا أعرف شخصاً ينتمي الى هذا الحزب، قال: ولكن كانت لك علاقة مع (حيال غضبان سهيم) أبو سعد وصبيح حسين يوسف وجبر عبد لفته ومحمد عبد النبي فالح ونجاح حسين يوسف وهؤلاء كلهم في حزب الدعوة، فقلت له: إن هؤلاء الذين ذكرتهم أعرفهم باعتبارهم أبناء منطقتي وجيراني، فقال: إذاً أنت تنكر علاقتك بهم وبحزب الدعوة، حسنا سترى، فنادى العصابة وأمرهم باتخاذ الإجراءات اللازمة.
أعادوا قطعة القماش على عينيّ، وأخرجوني من غرفة الضابط الى القاعة وفي وسطها توقفوا وتركوني واقفاً أنتظر ماذا يفعلون، التفوا حولي وبعدها لا أدري أي مكان أدافع عنه في جسمي، حيث الهراوات تنهال على ظهري ورأسي وصدري وبطني وقدمي وبكل قوة، كنت في تلك الفترة أتمتع بصحة جيدة، فلم أصرخ كما يريدون من شدة الألم، ولم أتوسل إليهم، وأطلب منهم الرحمة، فقط انقلبت على وجهي من شدة الركلة التي وجهها لي أحد

---

١ أحد رموز حزب الدعوة في قضاء القرنة وقد اعتقل قبل هذه المرة ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه.

٢ كلمة مدح في اللهجة العراقية.

أفراد العصابة، واستمروا بالضرب على رأسي وظهري وقدمي، ولم يسمعوا مني أي صوت؛ ما أثار غضب الضابط الذي كان واقفاً على الجانب، وكان ينتظر مني طلب الرحمة منه والتوسل به.
الظاهر أن من لا يصيح ولا يتوسل بهم ويطلب منهم الرحمة يثيرهم ويعتبرونه صامداً، ولو كنت أعلم بهذا لملأت القاعة بالصياح والصراخ كي أتخلص منهم، أمرهم ملازم حسين بالتوقف، ثم قال لهم شدوه (بالكنارة)، وهي عبارة عن أنبوب حديدي مُثبّت في الحائط من كلا الطرفين وقريب من السقف ويسَعُ لشد ثلاثة أشخاص جنباً الى جنب.
أوقفوني على كرسي كي تصل يداي الى الأنبوب وهي مقيدة بالجامعة (الكلبجة) الى الخلف، ولما أحكم ربطي في هذا الأنبوب أصبح وجهي الى الأرض، بعد لحظات من السكوت قام أحدهم بدفع الكرسي من تحت قدمي، هنا شعرت بأن يديّ قد قُلِعتا من الكتفين، فصحت بصوت مرتفع من شدة الألم، وكنت أسمعهم يضحكون بسخرية وتشفي، بقيت أصارع الألم وأصرخ وأصيح ولكن دون جدوى، مضت فترة طويلة وأنا على هذا الحال، بعدها شعرت بأن الألم يخف شيئاً فشيئاً، ولم أعُد أشعر بأن لديَّ يدين، ولحسن الحظ كان وزني خفيفاً ما جعلني أتحمل، وهكذا أبقوني حتى الصباح.
جاؤوا في الصباح، ووضعوا الكرسي تحت قدمي، وفتحوا يدي، فسقطت يدي على جنبي ولم أشعر بذلك وكنت أشعر بأن يديّ قد قُطِعتا، وأن جسمي بدون يدين، أجلسوني في القاعة حتى حان موعد تناول وجبة الطعام، فجلبوا لي الطعام وكان عبارة عن (سندويج)، أمروني بتناولها وكيف أتناولها وأنا لا أستطيع أن أحرك إصبعاً واحداً من يدي وهم يعرفون ذلك، ولكن ليسخروا منا، فأمروا أحد المعتقلين بأن يساعدني على تناول الطعام، فنفّذ هذا المسكين ما طلبوا منه، وساعدني على مسك السندويج، وإدخاله في فمي كي أقطع منها جزءاً، وهكذا دار بيني وبينه حديث في همس قال لي: لماذا فعلوا بك هذا، فقلت له: لا أعلم، ولكن يريدون أن أقول لهم : إني أحد أفراد حزب الدعوة، فقال: أنا الآن جاؤوا بي الى هنا من البيت، وأنا من أهالي الجمهورية، وذكر اسمه وهو محمد وهذا غير صحيح، لأن التعارف أو التعرف على أشخاص في هذا المكان يجلب المشاكل.
ولما جنّ الليل نادوا باسمي ليبدأ الشوط الثاني من التحقيق والتعذيب، أدخلوني الى غرفة الضابط وقال لي: ألا تعترف وتريح نفسك وسوف أعمل على مساعدتك، وكما قلت لك: إن لدينا قرار عفو وسنطلق سراحك.
فقلت له: أ تريد أن أقول لك كذباً إني من حزب الدعوة، وأنا لم أنتمِ الى هذا الحزب.
فقال: ماذا فعل لكم الخميني ومحمد الصدر كي تتبعوهم، وقصد – السيد محمد باقر الصدر[1]- وكذلك تقومون على مساعدة الإيرانيين للدخول الى أراضينا.
ونسي هذا الضابط أننا نحرص على أرضنا وبلادنا أكثر منه وسيده الذي مزّق العراق بتنازله أمام شاه إيران وقبّل يد الشاه كي يوقع على اتفاقية عام ١٩٧٥ في الجزائر، نحن أكثر حرصاً منه ومن سيده القابع في بغداد على أرضنا وبلدنا ووطننا من دخول الإيرانيين وغير الإيرانيين.
نهض هذا الضابط من كرسيه، وتقدّم نحوي، وعرض أمامي صورة كانت بيده للسيد الخميني عارياً وجالساً في زورق صغير عمامته فوق رأسه ولحيته البيضاء تنساب على صدره وكانت الى جانبه فتاة جميلة عارية أيضاً، طار عقلي لما شاهدت هذا الرجل الوقور بهذه الهيئة، واتضح لي أن الصورة مدبلجة.

---

١ أحد مؤسسي حزب الدعوة وقد اعدمه النظام في بداية عام ١٩٨٠ وهو أحد مراجعنا العظام.

قال الضابط: هذا هو قائدكم الذي يدّعي الإسلام والتديُّن، فإذا كان هذا هو قائد حزب الدعوة فكيف هم، فقلت له: إذا كان حزب الدعوة وقائدهم على هذه الشاكلة فأنا بعيد عن هذه الأمور، فقال: نعم، إن الخميني والصدر وحزب الدعوة هم أناس لا يعرفون الإسلام، ولا يعرفون الحلال والحرام، وقد غرّروا بكم كي تنتموا إلى حزبهم.
عاد وقال: ألا تعترف الآن، قلت له: لا أعرف شيئاً مما تقول صدقني، قال: نعم، صدقتك (قالها بسخرية)، ثم نادى العصابة، وقال لهم الى الكنارة، وهذه المرة لم يتركوني معلقاً في الكنارة فحسب، بل استخدموا معي جهازاً وهو عبارة عن عصا طويلة وفيها شحنات كهربائية يضعونها على المكان الرقيق في الجسم، وضعوها تحت أذني وفي بطني وفي وجهي وأكثر شيء كانوا يستخدمونها في الجهاز التناسلي ما يجعل الضحية يشعر بصعقة كهربائية قوية جداً.
كنا نحن ثلاثة مشدودين في الأنبوب (الكنارة) كان الأخ الذي ساعدني على تناول الطعام في الوسط، أما الشخص الثالث فلم أستطع التعرف عليه لعله أحد أقربائي أو أحد أصدقائي.
الأخ الذي كان في الوسط كان بديناً وقبل هذا مارسوا معه أصناف التعذيب، كانت العصابة المتوحشة تمارس معنا نحن الثلاثة أبشع أنواع التعذيب، وكان أحد المجرمين يتعلق بقدمَي هذا المسكين البدين على الرغم من ثقل جسمه وهذا يزيد من الألم عليه، وظل يصيح، ويصرخ، ولكن دون جدوى.
تركونا، وذهبوا، وهذا المسكين استمر بالصياح حتى خفت صوته رويداً رويداً.
وفي الصباح أنزلونا وإذا بهذا المسكين يقع على الأرض جثة هامدة، قال الشرطي الذي أنزله للضابط: سيدي إنه ميت، فقال له: اجلب شيئاً كي تحملوه، توفي رحمه الله: ولا أحد يعلم ما الجُرم الذي ارتكبه بحيث يدفع ثمنه حياته.
ها هي الحياة في العراق في عصر حكومة صدام.
مسرحية الشرف الذي يدّعيه صدام
إن ما يدّعيه صدام من الحفاظ على شرف العراقيات، وكما كان يسميهن (الماجدات) ما هو إلا مجرد إدعاء ويفتقر للصحة والتطبيق، وأن صدام وأجهزته القمعية هتكوا الشرف العراقي، وما تقوم به أجهزته الأمنية ما هو إلا دليل على كذب ما يدعيه صدام. إن هذه الأجهزة استغلت حرص العراقيين على شرفهم أبشع استغلال ليأخذوا اعترافات من المعتقلين في دوائر الأمن والمخابرات وأجهزة الحزب والاستخبارات، وأروي هذه الحادثة كي يطّلع القارئ العزيز على بشاعة ما يُرتكَب من جرائم في داخل أجهزة هذا النظام وكذلك لتتكشف حقيقة ما يدعيه صدام من شرف.
في المساء جاءنا ملازم حسين وقال لنا: في هذه الليلة سنعرض لكم مسرحية عليكم مشاهدتها.
أمر هذا الضابط المجرم العصابة بأن يفتحوا قطعة القماش من عيوننا، بعدها نادى باسم ستار وهو من أهالي الجمهورية أيضاً كان ستار قد تحداهم بأن يأخذوا منه ولو معلومة بسيطة، وقال لهم: إني أعرف كل شيء ولديّ أسلحة ولكن أتحداكم بأن تعرفوا مني شيئاً، استخدموا معه شتى أنواع التعذيب حتى وصلت به الحالة لا يستطيع أن ينهض أو يتحرك وحتى الكلام، لا يستطيع أن يتكلم إلا بصوت خافت.
بعد أن فتحوا عيوننا، أخذوا ستار الى المقدمة، وأجلسوه جنب الجدران، ونحن ننظر إليه لحظات فتح الباب... وإذا بفتاة جميلة تدخل علينا كان مظهرها الخارجي متدينة حيث كانت ترتدي الحجاب والعباءة الإسلامية. الضابط كان جالساً على كرسي قريب من "ستار"، أوقفوا تلك المرأة أمامنا، وكان بين يديها طفلها الذي لا يتجاوز عمره الثمانية أشهر أمرها الضابط أن تضع طفلها في الأرض، رفضت فأخذوه منها بالقوة، ورموه على الأرض، ثم

قال لها المجرم: اخلعي ثيابك، قالت له: كلا، فأمر الكلاب المتوحشة بالهجوم عليها، فمزقوا ثيابها حتى الداخلية، وتركوها عارية لا شيء يسترها.
هذا الشرف الرفيع الذي يدّعيه صدام وأزلامه، ماذا نفعل نحن؟ هل نبقى نتفرج على هذه المسكينة وهي زوجة أحدنا ومن يعلم في الغد قد يأتون بأخواتنا أو أمهاتنا ويعملون بهن مثل الذي فعلوه بهذه المسكينة.
فغيّرنا اتجاه نظرنا وبعضنا نكس برأسه الى الأرض في هذه الأثناء شاهدت آثار التعذيب على أجسام المعتقلين، فثيابهم قد اصطبغت بالدم والوجوه قد تورّمت والأيادي لا حراك بها غيّر لونها الدم وبشكل غير مرتب مكدسين بعضهم على بعض ومن يشاهد المنظر يتخيل أن هؤلاء مجموعة من البشر لا حول لهم ولا قوة وقد هاجمتهم الوحوش الكاسرة ومزّقت أجسامهم.
انتبه الضابط لنا ونحن لا ننظر الى تلك المرأة صاح بصوت مرتفع أ لم أقل لكم ستشاهدون مسرحية؟، ونهض من كرسيه، وأخذ إحدى الهراوات، وانهال علينا بالضرب هو وعصابته. وبعد أن أعياه التعب، عاد الى كرسيه وجلس، وأمر المجرمين بالتوقف عن ضربنا.
وجّه هذا الضابط الكلام الى ستار وقال له: ألا تعترف لنا الآن؟ فهز رأسه ستار، وكانت حركة رأسه لا تُفهَم هل هي رفض أو موافقة.
أمر الملازم بأن يمارسوا مع تلك المرأة التعذيب، فتوجهوا إليها وكل واحد منهم يمسك بيده هراوة، فصرخت بصوت عالٍ، ووضعت يديها على عورتها كي تسترها وهي تفعل بين لحظة وأخرى، وكأنها تقول لنا: لا تنظروا إليَّ فأنا زوجة واحد منكم، فطأطأنا رؤوسنا الى الأرض؛ خشية الحرمة، واحتراماً لها ولزوجها الذي لم يستطع الكلام.
شاهَدَنا الضابط أننا لا ننظر الى تلك المرأة، وهي عارية فصاح بنا صوت لم أسمع من قبله هكذا صوت وإن أنكر الأصوات لصوت الحمير.
باشروا معها التعذيب، وظلوا ينهالون عليها بالضرب وعلى جميع جسمها، كانوا ثلاثة كلاب، يا لها من مسكينة، بأي وحوش وقعت.. طفلها في الأرض مُمَدَّد، ويبكي، اختلط صوته مع صوت أمه التي تتألم تحت سياط الجلادين، آثار الضربات التي انهالت على جسمها تشاهَد، ومن بعد أخذت الدماء تسيل من جسمها، أحدهم مسكها من شعرها والآخر أخذ يصفعها على وجهها.
لم يشاهد ملازم حسين أي حركة على زوج هذه المسكينة التي وقعت بين أيدي هؤلاء، أمرهم بزيادة الضرب على هذه المسكينة، الطفل زاد في صراخه وبكائه وكأنه يعترض على هؤلاء ويقول لهم: إنكم مجردون من الإنسانية وأنتم لستم بشراً، وإنما وحوش غابات وليس من حقكم أن تعيشوا مع الشعب العراقي، لأن الشعب العراقي هو شعب رحيم صاحب الإنسانية والشرف ويرفض مثل هؤلاء المجرَّدين من الشرف والغيرة والإنسانية).
ملازم حسين أزعجه صراخ الطفل وهو يبكي ويصرخ مع صراخ أمه، أمر الوحوش بالتوقف ثم نهض وذهب الى الطفل مسكه ورفعه من الأرض وظل ينظر الى وجه الطفل يتفحصه ومن خلال تعابير وجهه وكأنه يقول للطفل: تكبر وتصبح مثل أبيك، فقام بحركة وكأنه يستعد لفعل شيء ما حيث فتح قدميه ومسك الطفل وهو يصرخ بين يديه مسكه من يده ورجله ورماه بكل ما يملك من قوة نحو الحائط فسقط الطفل صريعاً.
ما الذنب الذي ارتكبه هذا الطفل إذا كان أبوه مذنباً بعُرف صدام وأجهزته؟ ما ذنب الطفل الرضيع؟.

هذا مصير الطفولة في عصر سيف العرب صدام، إن هذا السيف مُسلّط على رقاب الشعب العراقي أطفالاً وكباراً ونساءً ورجالاً، ذهب الطفل الى ربه يشكو له ما فعلته عصابات صدام به وبوالديه.
سالت دموع ستار والد الطفل وهو لا يستطيع أن يقدم شيئاً لعائلته، أم الطفل ظلت تنظر لطفلها وقد خمد صوته وتوقفت حركته رمت بنفسها عليه على الرغم من جراحاتها والدماء التي أخذت مأخذها من جسمها.
كان الأب جالساً صامداً لا يحرك ساكناً، أغضب هذا الموقف ملازم حسين فمسك هراوة من الخشب الصاج صُنِعت خصيصاً للتعذيب اتجه هذا المجرم نحو ستار ورفع يده وهو ماسك بها الهراوة وبكل قوة ضرب ستار في عنقه من الخلف ضربة واحدة فقتله في الحال.
إن هذه الضربة هم مدربون عليها وإذا أرادوا أن يقتلوا أحد المعتقلين يضربونه هذه الضربة، إذ تأتي على النخاع الشوكي فإما إن تقطعه أو تُحدث له نوعاً من الضغط بحيث يصبح لا يؤدي وظائفه.
رحل هذا البطل وما رحل، رحل بجسمه وما رحل بموقفه وروحه، أما بالنسبة لروحه فتبقى شبحاً لهؤلاء المجرمين يتابعهم أينما حلوا وارتحلوا، وأما موقفه فسوف يخلده التاريخ ويكون دليل إدانة لصدام وأجهزته القمعية، رحم الله ستار وأسكنه فسيح جناته واللعنة الدائمة على صدام وعصابته المجرمة.
أما المسكينة زوجة ستار فلا علم لي أين حل بها الدهر وماذا فعلوا بها بعد أن قتلوا زوجها وطفلها، هل أعادوها الى بيتها أو لا، أو ظلت في السجن، لا أعرف عنها أي شيء لحد هذه اللحظة.

استمرار التحقيق

بعد انتهاء هذه المجزرة التي تمت على أيدي زعيم العصابة ملازم حسين، أخذ هذا المجرم ينظر إلينا بغضب، فأمر أفراد العصابة بإعادة قطع القماش لعيوننا، ثم قام هذا اللعين بصبّ جامّ غضبه علينا، وظلّ يضربنا بطريقة هستيرية، واعتقدناه أنه قد جُنّ، ثم تركنا وولّى الى الخارج، تركنا نتلوى من ضرباته التي طبعت على أجسامنا، اعتقدنا في هذه الليلة أنه سوف لن يكون هنالك تحقيق لذهاب ملازم حسين الى خارج المديرية.
ذهب التفكير بي الى أهلي والمنطقة فتذكرت شوارع القرنة وذهبت الى حديقة الأمة حيث ملتقى دجلة والفرات، وحيث يكون شط العرب، وعلى الجهة الأخرى نخيل وأشجار ومزارع قرية مزيرعة التي كانت تزهو بنخيلها وأشجارها ومزارعها الخضراء على طول السنة وأناسها الطيبون وأشجار النخيل التابعة لقرية (مزيرعة) أشجار نخيل الشرش وهي إحدى ضواحي القرنة، تشكل هذه الأشجار منظراً رائعاً تنساب من بين هذه الأشجار مياه دجلة والفرات التي التقت في هذا المكان مكونة شط العرب وكأن هذا المنظر رسم بريشة فنان بارع ووجود شجرة آدم في هذا المكان تزيد المنظر جمالية.
قلت لنفسي يا ترى ماذا يحصل لي أو ماذا أفعل لو جلبوا والدتي الى هذا المكان (أي مديرية أمن البصرة) وجعلوها وسيلة ضغط وليحطموني نفسياً وهم لا يتورعون في فعل ذلك، أ تصمد يا جميل؟ أم تنهار أمام هؤلاء الوحوش، إنهم يستخدمون هذا الأسلوب لانتزاع الاعترافات من المعتقلين بعد ان يفشلوا معهم باستخدام القوة في التعذيب، هذا من جانب، أما الجانب الآخر هو زرع الرعب والإرهاب في نفوس المعتقلين المتواجدين ليحطموا صمودهم ونفوسهم وهم يعرفون أن العراقي حريص على شرفه وعرضه ومستعد لأن يضحي بنفسه في سبيل أن يصون عرضه وشرفه.

انتهت هذه الليلة بارتكاب هذه الجريمة ولم يُجرَ أي تحقيق مع المعتقلين باستثناء بعض الأمور، مثل تدوين بعض إفادات المعتقلين الذين يعترفون بما عملوا، سواء كان كذباً أم صدقاً، حملات الاعتقال لا تتوقف يعتقلون الناس كبيرهم وصغيرهم، نساءهم ورجالهم، من كل أنحاء البصرة يجلبون هؤلاء الناس مقيَّدين ومعصوبي العيون ويرمون بهم في هذا المكان لينتظروا مصيرهم المجهول وسوف يكون الموت بإحدى الطرق التي يختارها ضباط التحقيق وهي إما الموت قتلاً أثناء التعذيب أو يُعدَم بعد محاكمة صورية أو مقابر جماعية أو خنقاً في سجون متجولة أو يصيبه مرض خطير ويُترَك بلا علاج حتى يموت، لا نوم في تلك الفترة وحتى من يتغلب عليه النوم وهو جالس فإن أصوات المعتقلين من شدة التعذيب لا تجعل أحداً يستسلم للنوم.

في المساء يعود الناس كلٌ الى عائلته، ويجلبون معهم حاجات منازلهم، فبعد أن يُنهوا أعمالهم، يذهبون الى الأسواق، ويشترون لأطفالهم ما يرغبون، ولعوائلهم ما قد أوصوهم به من سلع للمنزل، ويذهبون الى منازلهم يجلسون وبعد تناول وجبة العشاء التي تتجمع حولها العائلة يتحدثون وكل واحد يذكر ما حصل أو حدث أمامه في العمل أو الدائرة أو المدرسة ويتبادل الحديث مع عائلته وأطفاله أو يأخذ عائلته لزيارة أقاربه أو أحد أصدقائه أو يذهبون الى الحدائق العامة أو الى شارع الكورنيش في البصرة أو متنزه الخورة أو السندباد، وكل هذه الأماكن كانت جميلة في تلك الفترة، أما الآن وبعد حماقات صدام في اعتداءاته على جيرانه فقد دمرت هذه الأماكن وخاصة الكورنيش.

بدأت أصوات المدفعية تدوي في محافظة البصرة وهي أول مرة تطال المدفعية الإيرانية مدينة البصرة وقبل هذا كانت الطائرات الإيرانية تدخل أجواء العراق وتقصف المراكز الحساسة ولكنها كانت غالباً لم تُصِب أهدافها وتقع صواريخها على الدور السكنية، وقد أسقطت أغلب هذه الطائرات، وبالتالي انعكس على اشتراكها في القتال، نسمع أصوات المدفعية وتصورنا شيئاً ما حصل في البصرة نتيجة غليان الشارع العراقي الناقم على النظام بسبب الحرب التي كان الشعب العراقي يرفضها وكذلك حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت شرائح الشعب كافة.

في المساء دعاني الملازم حسين لإكمال التحقيق وطلب مني أن أعترف وأقول له إني أحد أفراد حزب الدعوة وإن لم اعترف بذلك فسوف يستمر بتعذيبي حتى ينتزع الاعتراف بالقوة كما قال، قلت له: أنا لا أعرف أي شيء عن حزب الدعوة وعن ما تريده مني، إلا إذا أردت أن أقول لك كذباً، فأمر بشدي في (الكنارة)، وأمرهم بضربي وأنا مُعلّق فيها، واستخدم الكهرباء في التعذيب بواسطة الشاحنة الكهربائية الصغيرة التي يستخدمونها في التعذيب وهذه الشحنة تخرج منها أسلاك كهربائية، وفي كل طرف سلك توجد (قارصة) توضع هذه القارصة في شحمة الأذن يضعون في كل إذن سلكاً ثم يبدأون بتشغيلها فتفرغ شحناتها الكهربائية وعلى شكل دفعات في الجسم ما يزيد من شدة الألم ويظل المعتقل يصرخ بصوت مرتفع دون شعور، مضت ساعات طويلة على هذه الحالة حتى أمر الضابط أفراد الأمن الجلادين بجلبي الى غرفته، أجلسوني على كرسي أمام الضابط الذي يفصل بيني وبينه الطاولة التي وُضِعت له، أمر بفتح عيني فشاهدت شخصاً واقفاً على يميني وآثار التعذيب قد غيّرت معالمه، قال ملازم حسين: هل تعرف هذا الشخص، فنظرت لهذا الشخص فقلت له: لا إني لم أرَ هذا الشخص من قبل، فأسمعني الملازم كلاماً ليس من الأخلاق ذكره هنا، عندما قلت لا كنت صادقاً فعلاً، لأن هذا الشخص كانت الدماء تسيل من رأسه، وقد تورم وجهه وأنفه، وجفت عليه الدماء، وملابسه ممزقة. قال ملازم حسين: موجهاً كلامه الى هذا الشخص: تكلم معه، وعرّفه على نفسك، فقال لي: هذا الشخص أنا (حيال غضبان سهيم) يا جميل أ لم تعرفني؟! كيف لا أعرفه وهو أبو سعد جيراني، وكانت

لي معه لقاءات كثيرة وعلاقة جيدة، أصابتني الدهشة ماذا فعلوا بهذا الأخ العزيز؟ كان لي معه لقاء في بيت أحد الأصدقاء قبل يوم من اعتقاله وقد اعتقل قبلي بيومين أي بتاريخ ١٩٨١/٥/١١ الأحد.

ثم طلب الملازم حسين من أبي سعد أن يتكلم عمّا حصل بيني وبينه، فقال أبو سعد وبصوت منهار ومنكسر وحياء وهو ينظر لي: سيدي أنا الذي جعلته ينظمّ الى صفوف حزب الدعوة، فغضبت من كلامه، وقلت له: ماذا تقول يا أبا سعد، لماذا تفعل هكذا؟ ماذا فعلت لك حتى تقول هذا، فصاح بوجهي ملازم حسين: اسكت ولا تتكلم، ثم أمر بإخراج أبي سعد من غرفة الضابط، ثم قال: اجلبوا لي الآخر هو (هـ ـ ك ـ ج) عسكري في الموصل، واعتقل من المعسكر من قبل أمن الموصل وقد عُذِّب هناك أشد التعذيب، ثم نُقِلَ الى مديرية أمن النجف، وقد اعترف عليه من قبل أحد المعتقلين هناك، ونال أيضاً قسطاً كبيراً من التعذيب، ثم نُقِلَ إلى مديرية أمن البصرة، وأتوا به الى الغرفة التي كنت جالساً فيها مع وجود الملازم حسين، كان هذا الأخ لا يستطيع الوقوف على قدميه؛ وليس له لقدرة على السير على قدميه، أتوا به محمولاً بين أيديهم، وأجلسوه في باب الغرفة، ورأيته فقلت لنفسي وكأني أخاطبهم: ماذا فُعِل بكم أيها الأحبة؟، ما هذه الوحوش التي وقعنا بين أيديها إنهم أناس بلا رحمة، بلا إنسانية، بلا دين؛ لأن أي دين سماوي لا يقبل بهذا الذي يجري، كانت يداه غير مقيدة بسبب الجروح والورم، عرفته أنه صديقي العزيز وأن باب بيتنا يقابل بيتهم، قال له الضابط: تكلم، أ تعرف هذا الشخص؟، فقال له: نعم سيدي، إنه جميل، وأنا مسؤوله في التنظيم، بعد أن تكلم بهذا الكلام أمر الضابط بحمله، وإعادته الى مكانه، ثم أمرهم بجلب الشخص الثالث، أنا مندهش مما يحصل ماذا حصل لهؤلاء الأصدقاء؛ لينهاروا بهذا الشكل الفظيع، وصل الى الغرفة (هـ ـ م ـ ث) وهو صديق من منطقة الشوش، وكنت قد أوصلت له رسالة خطية وشريط كاسيت وجهاز تسجيل وهذا الشريط كان مسجلاً عليه قصيدة حسينية معروفة بالعراق، وممنوعة من قبل النظام، ويحاسب من يعثر عليها عنده وهذه القصيدة هي (يحسين بضمايرنه) وكان هذا الأخ قد اعترف بأني قمت بإيصال الرسالة والشريط من الشخص الأول وهو (هـ ـ ك ـ ج) له أثناء لقائنا في محل بيع العصير التابع لهم في سوق القرنة.

خرج هذا الشخص وهو الثالث الذي يُدلي باعترافه وأمامي، فماذا أفعل؟

ما هو عذري، أ أنفي كل ما ذكره الإخوان فسوف أعرض نفسي لعذاب لا طاقة بحمله، ومن المحتمل أن أنهار أمام هؤلاء، وأذكر ما لم يتوقعوه، وما لم يكن في حسبانهم ولم يطلبوه مني، قال لي الضابط: ما رأيك بعد الذي سمعته من أصدقائك؟ فقلت له وبلا أي تردد: اكتب ما ذكروه، فقال لي: كيف جعلك أبو سعد تنظمّ الى حزب الدعوة، فقلت له: أنا لا أعلم أني مُنظمّ الى هذا الحزب، وإذا كان اللقاء الذي حصل بيني وبينه تعتبرونه انتماءً الى الحزب، فهذا اللقاء قد حصل؛ لأن هذا الشخص هو ابن منطقتي وجيراني، وإن كل أبناء المنطقة يعرفون بعضهم البعض، وتحصل لقاءات فيما بينهم وعلاقتي مع أبي سعد على هذا الأساس وكذلك بالنسبة للأخ (هـ ـ ك ـ ج) أما الأخ (هـ ـ م ـ ث)، فقد أنكرته، وقلت للضابط: أنا لا أعرف هذا الشخص، وأيضاً لم أُقُم بنقل الرسالة والشريط كما يدّعي، والضابط يدوّن كل كلمة أذكرها، وحاول أن يمارس عليّ بعض الضغط لإثبات أدّعاء (هـ ـ م ـ ث)، ولكني أنكرته جملة وتفصيلاً، طلب مني أن أذكر له تاريخ أول لقاء مع أبي سعد والأخ (هـ ـ ك ـ ج)، فقلت: أنا لا أتذكر هذا التاريخ لأني اعتبرته لقاءً عادياً ويحصل بشكل طبيعي بين الناس.

ذكر في إعادته لتدوين إفادتي بأني أحد أعضاء حزب الدعوة، وأن الشخص الذي فاتحني في هذا الموضوع هو (حيال غضبان سهيم)، وأن مسؤولي في هذا التنظيم هو الأخ (هـ ـ ك

ـ ج)، وفي النهاية طلب مني أن أوقّع على إفادتي، فقلت له: أنا لا أستطيع أن أحرك إصبعاً من يدي، فكيف أوقّع على هذه الورقة؟!، نهض من كرسيه، ومسك الأوراق، ووضعها أمامي، ثم جاءني، وقال: هاتِ يدك، فقلت: لا أستطيع تحريكها، فمسكها، ووضع القلم بين أصابعي، وأخذ يحرك يدي مع القلم على الورقة التي فيها ما اعتبره اعترافاتي، فأخذ توقيعي بهذه الصورة التي ذكرتها، وهكذا انتهى التحقيق.

تحت الأرض

في آخر الليل وفي الساعة الثالثة والربع كما تشير الساعة المثبّتة على الجدران، وبعد الانتهاء من التحقيق أمر الضابط أحد الجلادين، حيث قال له: خذه الى السرداب، مسكني من كتفي، وأخذ، يسير أمامي، وأنا أتبع خطواته بعد أن اجتزنا القاعة والمعتقلين الجالسين من غير ترتيب وآثار التعذيب تدل عليهم، اتجه بي نحو السُلّم الذي ينزل بنا الى تحت.
استقر بنا المقام وسط قاعة صغيرة شبه مظلمة، وكثيرة الأبواب، ظل هذا الجلاد ينظر الى الأبواب، وهذه الأبواب هي عبارة عن قضبان حديدية متشابكة، ويوجد خلف هذه الأبواب أناس أموات، وما هم بأموات لا صوت لهم ولا حركة.
قام هذا الجلاد بفتح أحد الأبواب وهو باب زنزانة رقم(٣)، دفعني الى داخلها، فسقطت على الجالسين، فشعرت بهم قد تألموا نتيجة سقوطي عليهم؛ لكثرة جروحهم لم أستطع أن أزيح جسمي من هؤلاء فأنا لم تكن لديَّ يدان تتحركان، فحاولت ولم أستطع، طلبت من أحدهم أن يساعدني على الجلوس بعد أن فسحوا لي، وبمساعدة أحد هؤلاء جلست، وفي وسط الغرفة قلت لهذا الأخ: ألا أستطيع الجلوس جنب الحائط كي أتكئ؟ قال: هذا غير ممكن لأن كثيراً من هؤلاء أسوأ منك حالاً.
أن هذه الغرف هي تحت الأرض، وعددها ٦ غرف ومساحة كل غرفة ٤ X ٣م٢، وزُجَّ في كل غرفة أعداد من المعتقلين وصلت في آخر يوم كنت فيه الى (١٠١) في غرفة رقم(٦)، وأما غرفة(٣) التي كنت فيها فقد وصل العدد فيها الى (٩٥) شخصاً، أغلب المعتقلين أيديهم لا تتحرك، وقد تعفنت جراحهم لعدم معالجتها.
إن الأعداد المكتظة في هذه الغرف جعلتنا نجلس بعضنا فوق بعض وأن هذه الأعداد بتزايد مستمر في هذا المكان لا يوجد شيء اسمه نوم، نحن جالسون ليل نهار، ولا نعلم الليل من النهار إلا من خلال خروجنا من الغرف الى الحمامات (التواليت) في اليوم مرة واحدة قبل المساء نخرج إليها على شكل دفعات، كل دفعة (١٠) معتقلين، والحمامات عددها (٥) حمامات، يدخل شخص والآخر ينتظره خلف الباب، الوقت المسموح هو خمس دقائق لكل مجموعة ومن يتأخر يأخذ نصيبه من الهراوات التي تنهال على ظهره حتى دخوله الى الغرفة.
الحمامات قذرة متفايضة بسبب انسداد المجاري، كثير من المعتقلين يفضلون عدم الخروج بسبب هذه الإجراءات.
في إحدى زوايا الغرفة وُضِعت صفيحتان لغرض التبول وقضاء الحاجة لمن يُضطَرُ وأمام الجميع وبلا أي ساتر وباستمرار تصيبنا حالات الإسهال، فتجد هذه الصفائح تفيض، وتسيل المياه (البول المخلوط) على أرضية الغرفة.
أشخاص مضت عليهم مدة طويلة في هذه الغرفة، ولم يجر معهم التحقيق بعد، أخذوا على عاتقهم حمل هذه الصفيحتين، وتفريغهما في الحمامات أثناء خروجنا الى الحمامات، الرائحة التي تنبعث من الغرف لا تُطاق، رائحة البول والغائط وعفونة الجروح والأجسام اختلطت مع بعضها فجعلت من الغرفة (جفرة) تواليت.

أما الحشرات فتجمّعت على أجسامنا، وبشكل كثيف بحيث نرى (القمل) ينتقل فوق أجسامنا من مكان الى آخر ولا نستطيع عمل شيء حتى من كان يستطيع أن يحرك يديه ترك هذه الحشرات لأنه لا يستطيع أن يقضي عليها لكثافتها.
بعض المعتقلين تبنّوا قضية إنسانية بحتة، وهي إطعام مَن لم يستطع أن يرفع يديه، في هذه الفترة بدأت الحركة تدبّ الى أصابعي، واستطعت أن أقوم بحركة ساعدي، وبفضل محاولاتي المستمرة لحركة أصابعي استمرت هذه الحركة وقمت أقبض يدي، ثم أفتحهاباستمرار، وقمت بمحاولة رفع يدي الى الأعلى شيئاً فشيئاً، استمرت الأعداد ترتفع في الغرف، وأن القادم الجديد الى الغرفة لا يستطيع الدخول والجلوس داخل الغرفة إلا بشق الأنفس.
إن هذه الأوضاع لا تُطاق، وخصوصاً أن الاعتقالات لا تتوقف ما أثار غضب أحد الأشخاص وهو (حطاب)[1] من أهالي القرنة قرية الشرش معلم في إحدى المدارس الابتدائية في الشرش، وقد اعتُقِل مع جميع الهيئة التدريسية لهذه المدرسة الابتدائية في الشرش وقد أُعدِموا جميعهم.
قام هذا الرجل بعد أن دفعوا بأحد المعتقلين الجُدُد الى غرفتهم وهي غرفة (٦) ونادى: أيها المجرمون، أيها الوحوش، ماذا فعلنا حتى تعاملونا هكذا؟ وهتف بأعلى صوته: يسقط صدام، يسقط حزب البعث، الله أكبر، الله أكبر. هرب الجلاد الذي جلب الشخص الجديد بعد أن أغلق الباب الى الطابق العلوي، ثم عاد ومعه جمع من المجرمين ضباط وشرطة وهم مسلحون فتحوا باب الغرفة رقم (٦)، وسحبوا هذا الشخص، وأجلسوه في الوسط، ثم قام أحد الضباط بضربه بالعصا التي كانت بيده ضربة واحدة، فقتله في الحال.
إن هذه الضربة متمرسون عليها، توفي حطاب بعد أن رفض هذا الواقع المرير، رحمه الله جاهد بأعظم جهاد وهو النطق بكلمة الحق عند سلطان جائر، وذهب الى ربه وهو مُضرَّج بدمه.
كان من بين هؤلاء الجلادين شخص من أقاربنا اسمه (جميل سالم جاسم) كان يتعامل معنا بمنتهى القساوة، حيث كان إذا حانت له الفرصة للانفراد بأحدنا يصبّ جامّ غضبه عليه، بعد أن امتلأت الغرف، أخذوا يجعلون المعتقلين الجدد يجلسون في الممر الصغير الذي يربط الغرف وهذا الممر يسمى (النظارة) كان الأخ عبد العباس أمام قاضي الأمن، وعندما أعادوه، أجلسوه في النظارة، وكان جلوسه في المكان وفّر فرصة كبيرة للمجرم جميل سالم جاسم لينال منه، كان الجلاد يتجول بين المعتقلين الجالسين حتى وقف خلف ابن عمتي وقال له وباللهجة العامية: (ولك عباس ها جابوك أهنا) وركله (رفسه) برجله وأسقطه أرضاً فلم يستطع الكلام، وانقطع نفَسُه وأصبح يتنفس بصعوبة بالغة من شدة الركلة التي أتته من هذا الجلاد على ظهره وكانت الركلة بكعب الحذاء الذي كان في قدم هذا الجلاد.
في المنطقة، أي في قرية مزيرعة التي تبعد عن قضاء القرنة بحدود كيلومتر ويفصل بين قضاء القرنة وقرية مزيرعة نهر دجلة وتقع الى الشرق من القرنة وقريبة من الحدود الإيرانية، (جميل سالم جاسم) تربطنا به صلة قرابة. فوالده ووالدي ابنا عم، استغل هذه الصلة التي تربطنا به، وظل يتابعنا من خلال دخوله الى بيتنا وبيت عمتي أم عبد العباس وبيوت أحد الأصدقاء، كان ينزعج جداً من لقاءاتنا وخصوصاً أننا كنا لا نسمح له بالجلوس معنا، فأخذ يلفّق عبر التقارير التي كان يرفعها الى دائرة الأمن التي يعمل بها.
جميل هذا كان منبوذاً في المنطقة بسبب انتمائه إلى جهاز الأمن القمعي وكذلك هو يشعر بنقص لأنه كان لا يلفظ حرف الراء ويلفظها (غ) كل من انتمى الى هذا الجهاز هو منبوذ

---

١ حطاب، ويقصد به مبارك أبا راضي أبا إياد (رحمه الله)

ومكروه من قبل الشباب في المنطقة والناس تتجنبه لأنهم يستغلون الفرص وأي كلام يصدر من أي شخص، سواء كان مقصوداً أم غير مقصود مباشراً وغير مباشر فهم يضيفون على هذا الكلام، ويرفعونه بتقاريرهم الى دوائرهم؛ حتى يثبتوا إخلاصهم للنظام القمعي، وكذلك تنفعهم في ترقيتهم الى أمثال هؤلاء، إضافة الى جميل سالم كان (عبود أمينة) يلقب باسم أمه ونوري لعيبي[1] وهذا مفوض أمن ونافع جعفر وقد ساعد هؤلاء بعض الأشخاص غير المقبولين في المجتمع، ومن هؤلاء علي خلف شلال أبو الريش محمد سالم جاسم موظف صحي وهو الأخ الأكبر لجميل سالم وعودة جحيل جحجح وسعد جاسم حمادي ومهدي باهت باهظ وهؤلاء الثلاثة معوقون وقد شاركوا في اعتقال جميع الأشخاص الذي أُعدِموا فيما بعد وسوف أذكر قائمة بأسمائهم في النهاية.

توفي جميل سالم أثناء سقوط سيارتهم التي كان يستقلها مع مجموعة من الجلادين الذين يعملون في مديرية أمن البصرة، وكانوا قد غلب عليهم السكر لكثرة المشروب الذي تناولوه فساروا بالسيارة من فوق جسر شط العرب العائم الذي يربط التنومة بالعشار وكان هذا الجسر مفتوحاً لعبور بعض البواخر الراسية في شط العرب، فذهبت السيارة ومن فيها الى قاع شط العرب، إن الله يُمهل ولا يُهمل، وأما عبد العباس جعفر مروح ابن عمتي فقد حكمته محكمة الثورة بالإعدام وذلك في الشهر الأول من عام ١٩٨٢.

في اليوم التالي قدم أحد الجلادين ونادى باسمي، ودعاني أن أخرج من الغرفة بعد أن فتح الباب، اتجه بي الى السلم، بعد اجتياز السلم، مررنا بالقاعة، وقد تكاثرت أعداد المعتقلين بشكل كبير، الحركة عادت الى ساعدي، ولكن ليس كما كانت عليه قبل التعذيب، خرجنا أنا وهذا الجلاد الى خارج البناية، وكانت الأشجار والعشب الأخضر والزهور التي زُرِعت على جانبي الممر الصغير الذي يشق هذه الحديقة، وينتهي الى باب غرفة صغيرة، توسطت الحديقة التي كانت تعطي لجمال المنظر جواً معطراً بمختلف العطور، حيث كلما سرنا خطوات أتتنا رائحة عطر جديد وألوان هذه الأزهار التي تعددت جعلت من هذه الحديقة لوحة كبيرة تناثرت فوقها الأضواء الملونة، قلت لنفسي: أين كنت، في أية حفرة، في أي رائحة وهواء تشم وتتنفس، أين تذهب رائحة هذه العطور التي تنبعث من الزهور المتناثرة في هذه الحديقة، لماذا لا تصل الى تلك الحفرة المتعفنة المكتظة بالمعتقلين وهي ليست ببعيدة عن هذه الحديقة؟، وصلنا الى باب الغرفة، قال لي الذي معي : انتظر هنا، طرق الباب، فقيل له: ادخل، فتح الباب، وأدى التحية لشخص كان جالساً خلف الطاولة التي وُضِعت في وسط الغرفة، سحبني معه الى داخل الغرفة، وأوقفني أمام الشخص الذي يُدعى قاضي الأمن، تكلم معي بعد أن قام بحركة نظاراته الطبية قال: هل هذه اعترافاتك، قلت: إنها ليست أقوالي، وإنما قيل عني، قال: أ لم يكن هذا توقيعك؟ قلت له: يوم أخذ توقيعي كنت لا أستطيع أن أقوم بحركة إصبع واحد من يدي فكيف أوقع؟ قال: إذاً لمن هذا التوقيع، قلت له: إن الضابط وضع قلماً بيدي، ومسكها، وأخذ يمررها على هذه الأوراق التي هي أمامك.

أمام هذا القاضي فإنه يضع أمام كل معتقل خيارين لا ثالث لهما، فإما أن ينكر هذه الأقوال التي دوّنها الضابط ويُعاد معه التحقيق، وإما أن يقول: نعم؛ حتى يصدق هذا الذي يسمى قاضياً على هذه الأقوال، ويذهب صاحبها الى المحكمة حتى يتحدد مصيره أو يختاروا له طريقة للخلاص منه، قال هذا القاضي: هل ترفض هذه الأقوال، فقلت له: وماذا بعد؟ وكيف أنكر ما ذكره الأشخاص الثلاثة الذين اعترفوا بكل ما يعرفونه عني، فقال: إذاً وقّع، فناولني قلماً ووقّعت على أقوال أصدقائي، أنا لا أدينهم بقولي هذا وإن ما شاهدته من آثار التعذيب

---

١ هذا الشخص بعد خروجي من السجن تشاجرت معه؛ بسبب إشهار سلاحه على والدي، وكان سلاحه مسدساً فأخذت منه المسدس بمساعدة أخي، وكان يتصور أنه لا يتجرأ عليه أحد

عليهم جعلهم يذكرون هذا وغفر الله لنا جميعاً. خرجت من غرفة القاضي مع الذي أتى بي الى هنا مروراً بالحديقة الجميلة، فقلت: أ يجعلون هؤلاء الوحوش هذا الممر الجميل الى تلك الحفرة المتعفنة؟! أ يجعلون من هذه الحديقة الجميلة مدخلاً الى الجحيم الذي ينتهي إليه مصير الشباب والشيوخ والنساء والأطفال المصير الذي يقررونه حفنة من الجلادين المتوحشين والمتعطشين للدماء، وعلى رأس هؤلاء رمزهم في بغداد جلاد العراق صدام؟!.
أعادني الى القبو الذي كنت فيه في أول لحظة نزولي السلم الى تحت، واجهتني رائحة كريهة لا تطاق لا يستطيع أحد أن يستنشقها إلا الذين عاشوا مع هذه (الجيفة)، وقد تعودوا عليها بحيث لا يشعرون بها، في هذه اللحظات شعرت بالفارق الشاسع بين تلك الحديقة التي تفوح منها أنواع العطور، وبين هذا المكان التي تخرج منه رائحة البول والغائط والجروح المتعفنة والحشرات المتناثرة في هذا المكان.

السجن المتجول

في تاريخ ١٩٨١/٥/٢٢ وبعد ازدياد عدد المعتقلين بحيث أصبحت الغرفة لا تسعهم، اضطروا لنقل المعتقلين الى سجون أخرى في مختلف المحافظات، ففي صباح هذا اليوم المؤرخ أعلاه، جاءنا مجموعة من الضباط، ومعهم مجموعة كبيرة من أفراد العصابة، وظلوا ينادون بالأسماء، لم أكن أعرف الأسماء التي تُليَت في مقدمة، بعدها تُليَت أسماؤنا أنا و(هـ - م - ث)، (عبدالعباس جعفر مروح، علي نعيم عطيوي، كاظم لفته مونس، خزعل وصفي، جاسم محسن باجي، طالب عبدالسادة مونس، عبدالله حسين يوسف)، (غ - ع - م)، صادق جعفر مروح، (ح - ن - ع)، (هـ - ك - ج)، (أ - م - ف)، (م - ع - ع)، (ب - ع - ع)، (نايف عبد علي هادي)، (خيري ماضي)، بعد الانتهاء من قراءة الأسماء، طلبوا منا الخروج من الغرف، وطلبوا منا أيضاً الوقوف الى أحد جوانب النظارة، ثم أدخلوا المعتقلين الجالسين في النظارة الى الغرف، ثم جاؤوا بالكلبجات، وقيّدونا الى الخلف (الكلبجات كان عددها لا يكفي العدد) فقال الملازم حسين لأحد الشرطة: اجلب لنا عدداً آخر، فقال له: لا توجد سيدي، وهذا آخر ما تبقّى، فقال له الملازم: (كيف لا يوجد ونحن استوردنا ١٣ مليون كلبجة وحتى لصدام جلبنا واحدة)، وكان يقصد بثلاثة عشر مليون كلبجة عدد نفوس العراق في تلك الفترة، وأما ذكر صدام فهم لديهم صلاحية حتى سبّ صدام أمام المعتقلين، ثم قال لهذا الشرطي: اجلب لنا حبالاً، فهرول الى الأعلى من خلال السلم، وجلب الحبال، وأخذوا يقطعونها الى قطع، كل قطعة بحدود المتر... قيدوا المتبقين من الذين تليت أسماؤهم بالحبال، وكنت أنا من ضمن هؤلاء، ثم جلبوا قطع قماش بيضاء وعلى ما أعتقد أنها إحدى عمائم الشيوخ المعممين، جعلونا واحداً خلف الآخر، ثم قالوا لنا: هيا سيروا.
كان في المقدمة مجموعة من الشرطة يوجهون الذين في المقدمة من المعتقلين، شعرت بأننا نصعد الى الأعلى، ولكن من غير سلم، فالظاهر أنه يوجد باب آخر لهذا السرداب، وأن هذا الباب يكون النزول إليه بشكل منحدر، كانت قطعة القماش لا تمنعنا من النظر إلا قليلاً ولا أعلم هل كانت هذه الحالة مع الجميع أم فقط معي، فأنا أشاهد كل شيء حولي، حيث كان جميع الموجودين مسلحين بسلاح بنادق الكلاشنكوف الروسية ماعدا الملازم حسين والملازم ماجد والملازم كريم وبعضهم لا أعرفهم فهم يحملون المسدسات تحت أحزمتهم وبشكل ظاهر، كانت سيارات كبيرة متوقفة وعددهن ثلاث، أوقفونا الى إحدى جهات السيارات المتوقفة، طلبوا منا الصعود الى السيارات، كانوا يمسكون الشخص من كتفيه ويرمونه الى داخل السيارة، امتلأت السيارتان الأماميتان وبقيت السيارة الثالثة، جاء دورنا، باب هذه السيارة جانبي، ويختلف عن بقية السيارات، حيث كانت أبواب السيارتين

الأماميتين في الخلف، أمرونا بالصعود، فباشر المعتقلون بالصعود، كان في مقدمة باب هذه السيارة سلم قصير فظل كل شخص يضع قدمه على السلم وبدفعة من أحد الشرطة فيصبح في داخل السيارة، نظرت الى أعلى باب السيارة كانت لوحة مساحتها نصف متر مربع تقريباً مكتوب عليها باللون الأحمر (المنشأة العامة للدواجن)، وبشكل نصف دائري، فقلت: يا رب ما هذا؟ ماذا يريدون أن يفعل بنا هؤلاء؟.. صعدت الى هذه السيارة وبدفعة قوية من أحد الجلادين وإذا بي في وسط السيارة، وفي وسط هذه السيارة ممر ضيّق جداً لا يسع لشخصين وعلى جانبيه أبواب عرفتها من خلال الأقفال الموجودة، طلب مني أحد السجانين الموجودين في داخل السيارة الذهاب الى آخر الممر، فذهبت فوجدت باباً مفتوحاً، فقال لي: ادخل، فدخلت وإذا بها زنزانة صغيرة لا تسع إلا لشخص واحد، جدران هذه الزنزانة من حديد، وأن الصدأ واضح عليها أبقى الباب مفتوحاً، وذهب بعد لحظات، وإذا بشخص ثان يدخل معي في هذه الزنزانة أغلق الباب.

الضوء خافت جداً، يوجد في هذه الزنزانة مقعد لشخص واحد، فقلت لهذا الأخ الذي كان معي واسمه جبار ومن محافظة الناصرية قرية سيد دخيل وهو عسكري في القوة الجوية قاعدة البصرة، وقد أعدم في شهر ١٢ من عام ١٩٨١ قلت له: اجلس وأنا أقف بين قدميك، قال: اجلس أنت، قلت له: أنا وضعي أحسن منك بقليل، اجلس وسنتناوب فيما بيننا اجلس. ارتفعت حرارة الزنزانة أصبح العرق يتصبّب من أجسامنا، انطلقت السيارة (السجن المتجول) ونحن لا نشاهد شيئاً، لأن هذه السيارة مغلقة، ولا يوجد فيها أي منفذ سواء لتغيير الهواء أم للرؤية، ولكن شعرنا بحركة السيارة من خلال ما تمر على المطبات الأرضية التي تصادفها، اشتدت حرارة الجو بشكل لا يُطاق، نحن مقيدان الى الخلف ولا نستطيع فعل شيء، فالأوساخ تراكمت على أجسامنا وأصبحت تختلط مع الماء الذي يخرج من أجسامنا نتيجة التعرق الذي حصل من شدة الحر. إن شعر رؤوسنا لم يرَ التسريح (المشط) منذ يوم الاعتقال وقد تجمعت الأوساخ والحشرات فيه وهذه الأوساخ اختلطت مع التعرق وأصبحت تسيل من رؤوسنا الى أجسامنا وهذا غير مهم لأن أجسامنا هي أيضاً تكدست عليها الأوساخ فهي لا تؤثر، ولكن المشكلة هي أن هذه الأوساخ وما تحمله معها من أملاح وحشرات أصبحت تدخل الى عيوننا ما زاد من صعوبة المشكلة التي نمر بها، حرقة شديدة في العيون، حرارة الجو، ضِيق المكان، الاختناق، كنا نصارع الحياة، أخذنا نركل الجدران الحديدية بأرجلنا، انطلقت منا أصوات وبأصوات مرتفعة نطلب النجدة للخلاص من هذا السجن الانفرادي المتنقل، أصوات الركل في الزنزانات المجاورة تصل إلى أسماعنا، كنت أنا وصاحبي في الزنزانة الأخيرة أنفاسنا تتزايد ارتفعت شدة حرارة الجو أكثر، إننا لا نستطيع التنفس إلا بصعوبة انتهى الأوكسجين في الزنزانة، السيارة منطلقة وبسرعة لا نعلم أي اتجاه سلكت، لا نعلم أن هناك مقابر جماعية ولا نعلم أن هؤلاء الجلادين كانوا يستخدمون المعتقلين في جبهات القتال، كان من يشاهد السيارة وهي تمر بشوارع المدينة وقد كُتِب عليها (المنشأة العامة للدواجن) يتصور أنها معبأة بالدجاج المذبوح أو الحي فهو يحتاج الى التبريد للحفاظ عليه، يتمنى لو توقفت تلك السيارة؛ ليشتري منها الدجاج ليذهب به الى عائلته ولتكون وجبة طعام (دسمة)[1] ولكنه لم يخطر على باله أن هذه السيارة معبأة بالبشر وبدون تكييف ويعانون من شدة الحر والاختناق وأنهم مكدسون ومحشورون في أماكن ضيقة ويصارعون الحياة والموت.

في داخل السيارة لا يعلم بعضنا بحال بعض إلا الشخص الذي معنا في الزنزانة استطعنا أنا وصاحبي فتح الحبل الذي كنت مقيداً به، أصبحت حراً ناحية حركت يديّ، أصبحنا بين

---

١ كل طعام يحتوي على دجاج أو لحم أو سمك كبير يُقال له باللهجة العراقية وجبة دسمة

الحياة والموت، لا هواء نتنفسه، ماذا نفعل ونحن بين جدران حديدية لا أحد يسمع صيحات الاستغاثة وحتى لو سمعوا فهم لا يفعلون لنا شيئاً لأنهم يريدون القضاء علينا، شاهد جبار غطاءً أسود اللون مصنوع من البلاستيك، قال لي: ما هذا؟ قلت له: إنه كما تشاهد، قال: إذن نجمع كل قوانا، ونحاول فتحه، أو كسره، ثم أردف قائلاً: إن يديك حرتان، وتستطيع أن تجرّب، أو تحاول فتحه، قلت له: سأحاول ولكنّ يديّ لا تعيناني؛ لأنهما ومن كثرة التعليق في الكنارة، قد أنتهت حركتهن وأنني أستطيع أن أقوم بحركة بسيطة، ولا اعتقد أنها تُجدي نفعاً، كنّا نتحدث بصعوبة من شدة الاختناق، فحاولت فتحه فلم تُعنِّي يداي على ذلك، فقال: إذن دعني أركله برجلي، وقف على جانب، كانت حركتنا بصعوبة داخل الزنزانة لأنها ضيّقة والوضع الذي نمرّ به من شدة الحر والاختناق زاد من صعوبة حركتنا، وقفت على أحد الجوانب ووضع صاحبي ظهره على الجدران، ورفع رجله، وركل الغطاء، فلم ينكسر، لا نملك القوة فإن التعذيب أخذ نِصفَ قوانا، عاود صاحبي لركل الغطاء، وكرر الركلات ثلاث أو أربع مرات، حتى انكسر هذا الغطاء، فكأن حياتنا، تعلقت بهذا الغطاء إلا ما شاء الله، أخذ الهواء يندفع الى الزنزانة وبشكل نسمات.

إن جدران الزنزانة ملتصقة بسقف السيارة ومن غير الممكن أن يتسرب الهواء الى بقية الزنزانات؛ كي يتحسن وضعها، بدأ الجو يتحسن شيئاً فشيئاً، تنفسنا الصعداء، أعادت لنا بعض قوانا أما بقية الإخوان في بقية الزنزانات فلا صوت يصدر منهم ولا علم لنا بأوضاعهم، فهل هم في حال أفضل منا أم أسوأ؟ ومن أين تأتيهم الأفضلية؟ هل حصلوا على نافذة كي يدخل لهم الهواء والزنزانات التي هم فيها من ضمن ترتيبها نوافذ؟ وإذا كانت هكذا، فما هذا الركل الذي كنا نسمعه؟ إذاً هم نفس الحال الذي كنا عليه قبل كسر هذا الغطاء، والآن أشد حالة لأنه كلما مضى الوقت قلّ الأوكسجين في الزنزانة، وزادت حرارتها، فتزداد حالة الاختناق، إذاً هم الآن في عداد الأموات.

بعد مسير طويل توقفت السيارة ولا نعلم في أية بقعة من أرض العراق، توقفت بضع دقائق، مضت حتى فُتِح باب الزنزانة، وطُلِب منا النزول. كنا أنا وصاحبي في حالة جيدة، خرج في أول الأمر صاحبي، ثم تبعته، فقال لي السجّان الذي فتح الباب: مَن الذي فتح يديك؟ فقلت له: أنا فتحتها، فصفعني وقال: أين الكلبجة، فقلت له: لم تكن كلبجة، كان حبلاً، فقال: أين هو: فقلت له إنه في الداخل، قال: ناولنيه، فدخلت الى الزنزانة، وناولته الحبل، وطلب مني أن أستدير، وأجعل يديّ الى الخلف فقيّدهما. في هذه الفترة كان جميع المعتقلين قد أُنزِلوا من السيارة الى الأرض بعد أن أتمّ هذا السجّان تقييد يديّ، قال: هيا انزل، فتوجهت الى مقدمة السيارة، كان الباب على اليمين استدرْتُ استدارة صغيرة، ثم وضعتُ قدمي على السُلّم؛ كي أنزل، وقع نظري على الأخ طالب عبد السادة مونس مُلقى على الأرض من غير حركة، وحوله مجموعة من المعتقلين مُمَدَّدين ومجموعة أخرى واقفون الى جانبهم ورجال يتجاوز عددهم عدد المعتقلين منتشرين حولهم ومسلحين، لم يسألنا أحد عن قطع القماش التي كانت قد وُضِعت على عيوننا، ذهبت، ووقفت مع المجموعة مع المعتقلين الواقفين، وكنت آخر مَن نزل من السيارة بعد أن وقفت عاودت النظر الى الأخ طالب فشاهدت قطعة القماش قد نزلت من عينيه، فدخلتْ في فمه ويداه مقيدتان الى الخلف، كانت سيارة أخرى متوقفة في مكان قريب منا، قام أحد أفراد الأمن بفتح باب هذه السيارة وباب هذه السيارة في الخلف، حملوا الإخوان الملقين على الأرض، ورموهم داخل السيارة، ثم أمرونا بالصعود الى السيارة، كان مكتوباً عليها من الخلف وعلى الجانبين (آيس كريم).

صعدت الى السيارة، وكانت تختلف تماماً عن تلك السيارة التي نزلنا منها، في هذه السيارة توجد مقاعد على الجانبين وفي الوسط بالاتجاهين (مسطبات) خشبية وخصصت في آخر

السيارة غرفة للحراس يفصلنا عنهم حاجز حديدي وقضبان حديدية تداخلت بعضها مع البعض، وأصبحت شبكة ولها باب يتحكمون به، أقفل هذا الباب والباب الخارجي للسيارة بعدها انطلقت السيارة، كنت أعتقد أن الأخ طالب قد توفي هو ومن كان معه ولكنه بعد أن انطلقت السيارة بدرت منه حركة انتابني شعور بالسعادة لأن (طالب) ما زال على قيد الحياة، فقلت لنفسي: يجب عليك يا جميل أن تفعل شيئاً لصديقك، هيا قم، وافتح يديك، وأفعل شيئاً؛ لتنفذ حياة هؤلاء، وليكن ما يكون، وتحمّل جميع العواقب، جلست على المقعد (المسطبة) على شكل قرفصة، وأردت من وراء ذلك إخراج يدي من تحت قدمي لأجعلها أمامي، وفعلاً تمكنت من ذلك، فأصبحت يداي أمامي بعد أن كانت الى الخلف، نظرت الى الحبل فقربته الى أسناني، وبدأت بفتحه حتى تمكنت من فتحه، فأصبحت يداي طليقتين، كان الحارس ورفيقه ينظران إليَّ ولم يُبديا أي اعتراض، أو يمنعاني من ذلك، نهضت، وتوجهت الى الأخ طالب لحمله كي أضعه على المقعد، ولكن لم أتمكن من ذلك والسبب في ذلك أن يديّ لا تعيناني على حمل طالب.

هذا العمل حفّز كل مَن كان مقيداً بواسطة الحبل على أن يقوم بفتح الحبل وبنفس الطريقة التي قمت بها بعد أن فتحوا أيديهم ساعدوني على حمل "طالب" ومَن كان معه ووضعناهم على المقاعد، كان من بين الموجودين في هذه السيارة الأخ (علي نعيم عطيوي) ونحن الثلاثة فقط من بين المجموعة من أهالي القرنة (أنا، وعلي، وطالب) أما بقية إخواننا الذين نادوا بأسمائهم معنا في مديرية أمن البصرة فكانوا قد صعدوا في السيارتين، ولا أعلم هل هم نفس مصيرنا أم لا؟.

اشتدت الحرارة في السيارة، وارتفعت نسبة الرطوبة، قال الأخ علي نعيم: أخي جميل، قلت: نعم أبو مصطفى، قال: إن يديك طليقتان، قلت: نعم، قال: مزّق ثيابنا، وخذها، وحركها في الهواء؛ حتى يتحرك الهواء في السيارة عسى أن يتحسّن الجو، كان الحارسان يتابعان حركتي وحركة بعض الإخوة الذين فتحوا أيديهم، نزعت قميصي، وأخذت أحركه في الهواء، أخذه مني أحد الإخوان وقال لي: إنك لا تستطيع أن تقوم بهذه الحركة بسبب يديك تبنّى هو وبعض الموجودين هذا العمل، وأما أنا فخلعت ما كنت أرتدي تحت القميص (الفانيلة)، وفيها نسبة من القطن، وأخذت، أجفف العرق الذي كان على وجوه المعتقلين المقيدين الى الخلف بالكلبجة واحداً بعد آخر فلم أتمِّمْ عملي هذا حتى وصلت الى أحد المعتقلين فوجدته قد توفي وهو سيد موسى (أبو بلال) من أهالي العمارة/ المجر، عسكري في القوة الجوية في البصرة، وكانت حملة الاعتقالات شملت العسكريين في هذه القاعدة وبشكل تعسفي وجائر ويومي، لذلك تجد كثيراً من المعتقلين في تلك الفترة من العسكريين من قاعدة البصرة الجوية، قلت لأحد الحراس: إن هذا الأخ قد توفي، قال: ألقِهِ في أرضية السيارة وعُد لمكانك، ساد الحزن بيننا وخاصة بعد سماعنا جواب هذا الذي نُزِعت من قلبه الرحمة، وتخلى عن إنسانيته، نحن لا نملك شيئاً لهؤلاء الذين سوف يموتون واحداً بعد الآخر، توفي الشخص الثاني من محافظة البصرة/ المعقل (خمسة ميل) وعمره لا يتجاوز الخمسة عشر سنة واسمه سامي علي.

كان جو السيارة حاراً جداً ورطباً، توقفت السيارة، أين، ولماذا؟ لا نعلم، دقائق من التوقف فُتِح باب السيارة الخلفي وإذا بنا متوقفون على الجانب الأيمن من طريق عام.

سيارات من نوع (لاندكروز) متوقفة خلف السيارة التي تقلّنا كان عددهن أربعاً أو خمساً، جاء الملازم حسين وبيده خرطوم ماء صعد الى السيارة، ووقف في المكان المخصص للحراس، وأخذ يضغط على فوهة الخرطوم حتى يندفع الماء بقوة ليصل الى آخر شخص في السيارة، كنا نعاني من شدة العطش، فأخذنا نفتح أفواهنا نتلقى الماء عسى أن تسقط قطرات من هذا الماء الذي يندفع بقوة، كان هذا الماء يندفع إلى عيوننا فنتألم، وكان اللعين

ملازم حسين يوجه الماء الى وجوهنا ونحن نتلقاه بلهفة من شدة العطش، فيدخل في عيوننا، فنبتعد عنه، فيضحك هذا الضابط، ابتلّت ملابسنا، وأجسامنا، وتجمّع الماء في أرضية السيارة، نزل ملازم حسين، وأغلق الباب، وانطلقت السيارة، جلسنا كل في محله، ورتّبنا أنفسنا، بعدها ارتفعت رطوبة السيارة وكذلك الحرارة، شاهدت الأخ طالب يتحرك بحركة غير طبيعية، نهضت من مكاني وذهبت نحوه جلست الى جانبه، طالب عبد السادة مونس هو أحد أصدقائي يكبُرني بثلاث سنوات متزوج وله طفل واحد واسمه (علي) كان يدرس في إعدادية القرنة المسائية في الصف السادس العلمي يعمل في البناء في النهار، وكان بنّاءً ماهراً وكان معروفاً بأخلاقه وصدقه وتعامله باحترام مع الجميع، كنا نذهب معاً إلى المسجد الكبير في قضاء القرنة، اعتقل أخوه رحيم عبد السادة مونس بعده بأيام وهو لحد هذه اللحظة مجهول المصير، وكذلك اعتقل ابن عمه كاظم لفته مونس وحُكِم بالإعدام.

كنت جالساً الى جانب هذا العزيز، وحاولت أن أقدم له شيئاً بعد أن شاهدت وضعه يتدهور، فلاحظت أنه يفتح فمه ويُغلقه ببطء، اعتقدت أنه بحاجة الى ماء، فسألت أحد الحراس: هل بإمكانك أن تعطينا بعض الماء، صاح بوجهي وقال: اجلس في مكانك، فقلت له: إن الشخص الثالث سيموت، قال: وليكُن، فلتموتوا جميعاً، اذهب، واجلس في مكانك، عُدت منكسراً، ولا أعرف كيف اعتذر لهذا الأخ العزيز؟ وماذا أقول له؟ جلست بجانبه، ووضعت يدي تحت رأسه، وإذا به لم يحرك ساكناً، مسكت يده للتأكد من نبضه، فلم أشعر بأن قلبه ينبض حاولت التأكد مرة أخرى فلم أصدق أنه مات، وضعت يدي على أعضاء أخرى من جسمه وعلى قلبه فوجدته ميتاً ولكني ولشدة اعتزازي به قمت أحرّك يديه إلى الأعلى ثم الى الأسفل، عملت له تنفساً اصطناعياً، ولم يُجدِ نفعاً، كانت تلك محاولات يائسة، سالت دموعي، وقلت للأخ علي نعيم عطيوي وهو ابن منطقتنا أيضاً: إن الأخ طالب قد توفي يا أبا مصطفى، لم تبدر منه أي كلمة ولكن دموعه أجابتني إنه عزيز علينا، وعلى كل أبناء المنطقة، إنه محبوب بين أهله وأصدقائه ومنطقته ولا يبغضه أحد إلا المنبوذون في المجتمع، قرأتُ في وجهه بعضاً من سور القرآن، وحملناه أنا وبعض الأشخاص، ووضعناه الى جنب الذين سبقوه، وذهبوا الى ربهم يشكون هؤلاء المجرمين وما فعلوه بهم، بعد لحظات سقط أحد الإخوان من المسطبة، فهرعنا إليه فإذا به ميت، وهو أيضاً عسكري في القوة الجوية في البصرة، ومن أهالي (العمارة) المجر واسمه (طاهر) وضعناه الى جنب إخوته المُمَدَّين في وسط السيارة، والحرارة تتزايد والرطوبة في تصاعد، انتابني شعور أن كل الأشخاص الذين كان وضعهم متدهوراً قد يموتون جميعهم إذا لم تتوقف السيارة، كان الأخ عبد الحسين كاظم من البصرة (خمسة ميل) طالب مدرسة وعمره سبعة عشر سنة وهو الشخص الخامس الذي قضى نحبه في هذا السجن المتجول.

بعد فترة من وفاة عبد الحسين توقفت السيارة، وبشكل سريع فُتِح الباب الخلفي لهذه السيارة، وطلب الشخص الذي فتح الباب من الحراس، النزول، ثم صعد، وفتح الباب الثاني الذي يفصل بيننا، وبين المكان المخصَّص للحراس وأمرنا بالنزول، إن الإخوة الخمسة الذين تُوفُّوا وضعناهم في المقدمة، لذلك لا نستطيع النزول من دون أن يأخذوهم، فقلنا له: لا نستطيع وإن أغلب الأشخاص وضعهم غير طبيعي، فقال: ارجعوا الى الخلف؛ حتى نتمكن من حملهم، رجعنا الى الخلف، ومجموعنا ١٣ شخصاً بعد أن كنا ١٨، صعد الى السيارة شخصان، وأخذا يُمسكان الأموات من أيديهم، ويسحبانهم الى آخر السيارة، ثم يرميانهم الى الأرض، ارتفاع السيارة عن الأرض بحدود متر واحد وهكذا جعلوهم على شكل تل أمرونا بالنزول بعدها، نزلنا شاهدتهم جميعهم، نظرت لهم نظرة توديع وخاصة للأخ طالب، ثم قلت: ماذا أقول لعائلته إذا كُتِبت لي السلامة، وخرجت من قبضة هؤلاء؟ وبعد مرور ١١ سنة أُطلِق سراحي، ولم أخبر أهله، ولحد هذه اللحظة، فإنني وجدت كل

شيء قد تغيّر، والده قد توفي، وأخوه مصيره مجهول، وابن عمه أُعدِم، وهُدِم بيتهم من قبل البعثية، وكذلك بيتنا، أما زوجته ففي أمل بعودته، إنها لم تيأس وما زالت تنتظره، فماذا أقول لها؟، أ أقول لها: إنه مات معي، وأسرد لها القصة، إنه موقف صعب ولا أريد أن أكسر قلبها بعد هذه المدة من الانتظار بكلمة واحدة (إنه مات) ففضّلت السكوت عسى أن يقع بيدها أو بيد أحد أبناء المنطقة هذا الكتاب فيخبرها.
بعد نزولنا من السيارة جمعونا في مكان قريب من جثث هؤلاء الإخوة الذين فقدناهم بهذه الرحلة المشؤومة، فقدتُ أعز أصدقائي، رحلوا عن هذه الدنيا المملوءة بالطواغيت والظالمين المتجبرين، إنهم ذهبوا إلى ربهم بقلوب مخلصة لدينها لمذهبها لمبادئ آمنت بها، وبذلت من أجلها الأموال والأنفس، فسلام عليهم يوم وُلِدوا ويوم اعتُقِلوا ويوم استشهدوا ويوم يلاقون ربهم الغفور الرحيم الودود الكريم ويشكون له ما لاقوه على أيدي هؤلاء الشرذمة المتوحشين الذين نُزِعت من قلوبهم الرحمة وطُبِعَ على قلوبهم ونسوا الله فأنساهم وتركهم في غيّهم وسينالون جزاءهم في الآخرة بعد أن ينالوا عقابهم في الدنيا.

مديرية أمن الكوت

اقتادونا الى داخل بناية من طابق واحد أخذوا يسيرون أمامنا ومن خلفنا، وفي الوسط ممر ضيّق يلتف يميناً وشمالاً، انتهى بنا المسير أمام باب حديدي، وقد تدلّى على أحد جانبيه قفل كبير، تقدم أحد العصابة الذين يعملون في هذا المكان، وفتح القفل، وكان يحمل بيده حزمة من المفاتيح، وكأنه أحد السراق الذين يحملون معهم مثل هذه الحُزَم من المفاتيح؛ ليختبروها على الأبواب التي يريدون أن يسرقوا ما خلفها، أو ما بداخلها، والذين يظهرون على شاشة التلفزيون.
دخلنا الى ممر صغير، ثم توقفنا أمام باب آخر، فقام نفس الشخص بفتحه، فأمرونا بالدخول، فدخلنا الى غرفة كبيرة ووجدنا أناساً مقيدين الى الخلف ونائمين ولم تبدُ منهم أي حركة، جلبوا الكلبجات، وقيدوا كل مَن كان قد فتح الحبل من يديه داخل السيارة بعدها قالوا لنا: عليكم أن تلتزموا بالتعليمات... وأولها: أن لا تقوموا بأية حركة أثناء دخولنا وستبقون مقيدين طوال الوقت ومَن نجده جالساً فعليه دفع ثمن ذلك، ثم قال أحدهم: هيا انبطحوا على الأرض مثل هؤلاء، ثم خرجوا.
هنا لن نمكث طويلاً وبسبب الاعتقالات الواسعة التي شملت جميع أقضية البصرة ونواحيها فإن مديرية أمن البصرة لا تتسع لأعداد المعتقلين المتزايدة وبشكل يومي ما جعل العصابات المتسلطة على رقاب الشعب العراقي والبصرة بشكل خاص تقوم بتوزيع المعتقلين على محافظات العراق من دون أن تفكر بوقف حملات الاعتقال ولو بشكل مؤقت، فتم توزيع المعتقلين على محافظات العمارة، الكوت، الناصرية، السماوة، الديوانية، الحلة، الرمادي، الموصل كل هذه المحافظات كان في مديريات أمنها معتقلون من أهالي البصرة.
بعد ساعتين تقريباً فتحوا الباب، ودخل ثلاثة أشخاص، وقاموا بفتح الكلبجة من يد واحدة وتركها تتدلى في اليد الأخرى، وهكذا فعل لجميع الموجودين، ثم قالوا لنا: لكم ساعة من الوقت، وأخرجوا معهم شخصاً عيّنوه هم ليجلب الطعام.
يوجد حمامان في الممر الضيق، قال لنا المعتقلون المتواجدون في هذا المكان: أنتم يظهر عليكم التعب اخرجوا الى الحمامات والمغاسل، ونظفوا أيديكم ووجوهكم وأرجلكم حتى نتناول الطعام، فالوقت ضيّق، ولا يكفي من دون سرعة، كان عددنا ١٣ وعددهم ٤١

فأصبح العدد ٥٤ شخصاً. مساحة الغرفة واسعة بالنسبة للغرف التي كنا فيها في البصرة والعدد أقل بكثير أيضاً. تسارعنا في الخروج الى الحمامات والمغاسل وكنا لا نصدق عندما نرى الماء الذي لم نغسل به طوال فترة بقائنا في البصرة، نظفنا رؤوسنا وأيدينا وغسلنا أرجلنا وشربنا الماء حتى ارتوينا، الباب الثاني الذي يؤدي الى الحمامات تركوه مفتوحاً وأغلقوا الباب الآخر، عُدنا الى الغرفة، وكان الإخوان الموجودون قبلنا قد رتّبوا كل شيء، حيث تم توزيع الطعام على المجاميع وكان هذا الطعام خبزاً وقليلاً من الخضار و(الكباب) المعمول من الطحين والبصل والكرفس وأضيفت له بعض المواد.

جلسنا أنا وعلي نعيم عطيوي وشخص من الذين جاؤوا معنا وآخر من الموجودين كنا نحذر الكلام والسؤال عن هذا المكان والتعرف على الموجودين فبادر هذا الأخ وقال: من أين أتوا بكم؟ فأجابه علي (أبو مصطفى) وهو أكبرنا جميعاً: نحن من البصرة، فرحّب بنا، وقال تشرفت بلقائكم إن أهل البصرة طيّبون، وأضاف كيلاً من المديح للبصرة وأهلها، ثم عرّفنا بنفسه، فقال: أنا مدرّس ومن أهالي الحي في الكوت، وذكر اسمه ولكن لا أتذكر اسمه، ثم قال: إن جميع الموجودين من أهالي الحي ماعدا ٧ أشخاص هم من الكوت والصويرة والعزيزية، فقلنا له: نحن سعداء بمعرفتنا لك، ثم سأله الأخ أبو مصطفى: أين نحن الآن؟ قال: أ لم تعلموا، قال له: ومن أين نعلم وقد جلبونا بصناديق مقفلة لا نرى ولا نسمع شيئاً وقد توفي معنا في الطريق خمسة من أصدقائنا، وسرد له القصة التي حدثت لنا، ظهر عليه التأثر، وأخذ يتأفف وكأنه يريد أن يقول شيئاً وامتنع. ثم قال: نحن الآن في مديرية أمن الكوت، من خلال كلامه وأسلوب تلفظه عرفنا أنه يحمل ثقافة إسلامية عالية وواسع الاطلاع في الكثير من مجالات الحياة وعلى ما يبدو منحنا الثقة فأخذ يتحدث معنا بقضايا السياسة والحرب وتسلط صدام، انتهى الوقت ودخلوا لنا الثلاثة، وقيّدونا الى الخلف، ثم أغلقوا الباب خلفهم، وولّوا، ثم أغلقوا الباب الآخر، كان الوقت قبل غروب الشمس بدقائق، أصبح تفكيرنا بكيفية تأدية الصلاة، اقتربت من الأخ الذي تعرفنا عليه، وقلت له: نريد أن نصلي فقد حان وقت الصلاة ونحن لم نستطع أن نصلي صلاة الظهر والعصر بسبب وجودنا في السيارة، فقال لي: اصبر فسوف تُفتَح الكلبجات، ونصلي، ويجب عليك أن تخبر الإخوة الذين جاؤوا معكم أن هذا الأمر بمنتهى الخطورة، وأن عليهم بعد أن تفتح الكلبجات أن يكونوا حذرين، وفي حالة سماعهم أي صوت يأتي من الخارج أن يناموا ويقفلوا الكلبجة على أياديهم وسنقوم بتنفيذ هذه العملية أمامكم كي تتقنوها، والآن ذهب وأخبرهم بما نريد أن نقوم به، فأخبرت أبا مصطفى بالأمر فلم يمانع وكذلك الآخرون، عُدت الى الأخ وأبلغته بأن بقية الإخوة لا مانع لديهم، وبدوره نهض من مكانه، وذهب الى أحد المعتقلين، وتكلم معه، وطال الحديث بعض الشيء، فتبيّن أن هذا الشخص هو المتمرس في عملية فتح الكلبجة فرفض أن يقوم بهذا العمل؛ خشية أن يكون معنا من يخبر عن هذا الأمر وأن هذا العمل بمنتهى الخطورة وسيودي بحياته وحياة الآخرين وخاصة أنهم إذا فتحوا هذه القيود فسوف لا يعيدونها إلا بعد تأدية صلاة الصبح، أي إنهم ينامون وهم غير مقيدين ولكن ينامون وهم قلقون وحذرون يترقبون، وفي حالة سماعهم أي صوت في الخارج يقومون بإقفال الكلبجة بسرعة فائقة ومن كثرة الممارسة وبحركة واحدة وكأنهم يعملون وفق تعليمات شخص يقوم بالعَد لهم من الواحد الى الثلاثة فإذا انتهى من لفظ ثلاثة فإن جميع الكلبجات مقفلة، وهذا الأمر صعب بالنسبة لنا، لذلك رفض الشخص الذي يقوم بفتح الكلبجات أن يفتحها في تلك الليلة، وبعد نقاش طويل مع الأخ الذي تعرفنا عليه، أقنعه بأن يفتح أيدينا فقط لتأدية الصلاة، الوسيلة التي كان يفتح بها هي المسمار، فتح جميع الكلبجات بهذا المسمار، أدّينا الصلاة، وجلسنا قليلاً، فطرح الأخ الذي تعرفنا عليه أن نقوم بعملية ممارسة قفل الجامعة (الجامعة) في بداية الأمر حصل بعض التلكؤ، استمرت الممارسة

حتى أتقنّاها، فاقتنع الأخ الذي يقوم بفتح أيدينا، وقال في هذه الليلة تعانون من التعصب بسبب الوضع الذي كنتم فيه ولذلك ستنامون نوماً عميقاً، وأعتقد أنكم سوف لن تشعروا إذا جاءنا أحد، فقال له صديقنا: أنا أتبنى هذا الأمر في هذه الليلة، قال له: كيف، فأجابه: سوف لن أنام، وهكذا تم الاتفاق على هذا الأمر، سارعت الى النوم بسبب حالة التعب والإرهاق الذي حلّ بنا فلم أشعر أو أحس بما جرى، ويجري في هذا المكان، نمت نوماً عميقاً حتى الصباح عندها قال لي أحد الإخوة: انهض لتأدية صلاح الصبح، فلم أصدّق أن الصباح قد حلّ وكنت أتصور أنني لم أنَم إلا قليلاً، فلعنت صدام وجميع مَن يعمل معه من العصابات المجرمة، ثم حمدت الله على ما نحن فيه لأنه لا يُحمَد على مكروه سواه، ونهضت لتأدية الصلاة، أجسامنا غير نظيفة، كل شيء غير طاهر في هذا المكان تيمّمنا وأدّينا الصلاة بعدها عاد بعضنا الى النوم والبعض الآخر ظل جالساً، يجلبون لنا وجبة الفطور الساعة الثامنة صباحاً قبل هذا الوقت بنصف ساعة قمنا بإقفال الجامعات على أيدينا، وألقينا بأنفسنا على الأرض، ومن يَرَنا يعتقدْ أننا نائمون. في الساعة الثامنة فُتِح الباب الأول، ثم الثاني، ودخلوا لنا وقاموا بفتح الكلبجات من أيدينا، وجلبوا لنا الفطور وخرجوا، بعدها تناولنا الفطور، وكان الفطور هو خبزاً وقطعة زبدة واحدة لكل خمسة أشخاص. انتهى الوقت عادوا لنا وقيدونا وأغلقوا الباب وذهبوا بعد خروجهم بقليل فتحنا أيدينا ولكن يجب علينا أن نكون أكثر حذراً لأنهم متواجدون جميعهم في دائرتهم ومن المحتمل أن يأتوا في أية لحظة فيجب أن لا ننام ومن يرد النوم فعليه أن يقفل الكلبجة، وينام وهكذا حتى وقت الظهر أدّينا فريضة الصلاة وبعدها بقليل جلبوا لنا وجبة الغداء والوقت نفسه والأكل يقسم على المجاميع... هذه الحياة في هذا المكان. وفي الليلة الثانية وبعد أن تناولنا وجبة العشاء مضت ساعتان أو ثلاثة كنا جالسين نتحدث بعضنا مع بعض وإذا بقرقعة المفاتيح تصل إلينا فسارعنا الى تقييد أيدينا، ففتحوا البابين، ودخلوا، وطلبوا منا النهوض، فنهضنا، ثم قال أحدهم: أين الذين وصلوا في الليلة الماضية من أهالي البصرة يجب عليهم الوقوف على جانب، وقفنا جانباً وأخذ يتفحص بنا وكأنه يريد التعرف على أحد منا، كان معنا شخص أستطيع أن أقول: إنه طفل لأن عمره لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة واسمه منقذ من منطقة الأبله في المعقل وكان هذا الشخص الذي يتفحصنا مفوض أمن في هذه المديرية ومن أهالي البصرة وجيران الأخ منقذ في المنطقة، وقف هذا المفوض أمام منقذ وقال له: أخيراً عثرت عليك يا منقذ، فمسكه من شعره ووجّه له لكمة على وجهه فأسقطه أرضاً، ثم توالت عليه الركلات، بعدها طلب من العصابة التي كانت معه أن يأخذوه الى غرفته، وخرج، حملوه، وذهبوا به خلفه، وبعد نصف ساعة، أعادوه لنا والدماء تسيل من جسمه، حُكِم على هذا الطفل بالسجن لمدة ثلاث سنوات قضاها في سجن الأحداث في بغداد. وفي الليلة الثالثة وبعد منتصف الليل شعرنا بأنهم قدموا لنا فسارعنا بقفل الكلبجة، وعند دخولهم قال أحدهم : على مجموعة الحي ــ ويقصد المعتقلين من قضاء الحي في محافظة الكوت، وهذا القضاء قدم الكثير من الضحايا ـ أن يخرجوا وكان مجموعهم ٣٥ شخصاً، فخرجوا من دون أن نودّعهم لأن ذلك غير ممكن ولكن ودعناهم بنظراتنا، استمرت الأوضاع على ما هي عليه بعد أن ذهب أولئك الإخوة ولم يتغير شيء باستثناء العدد الذي أصبح ١٩ معتقلاً.

في تاريخ ١٩٨١/٦/٥ وبعد منتصف النهار جاؤونا وطلبوا منا نحن الذين جلبونا من البصرة الى هنا الخروج من الغرفة، فخرجنا من الممر الذي أوصلنا الى هذه الغرفة فطلبوا منا السير الى الخارج، فسار أحدهم أمامنا حتى وصلنا الى المكان الذي نزلنا فيه من السيارة التي جلبتنا الى هنا، نظرت الى الموضع الذي كان طالب والإخوة الذين توفوا مكدسين فيه وتصورت تلك الصورة أمامي.

كانت إحدى السيارات متوقفة قريباً منا ومن النوع الذي حملنا من منتصف الطريق الى مديرية أمن الكوت وقد كُتِب عليها (آيس كريم).

مديرية الأمن العامة

اتجهت بنا السيارة الى خارج مديرية أمن الكوت، وكانت هذه السيارة أوسع من التي أوصلتنا، وذلك لعدم وجود المكان المخصص للحراس، وعند صعودنا وجدت اثنين من معارفي من بين عشرة أشخاص كانوا موجودين في السيارة وهم صادق جعفر مروح و(هـ ـ م ـ ث) جلست الى جانب أحدهما وهو صادق جعفر مروح وأخذت أتحدث معه بعد أن سلّمت عليه، قلت له: أين كنتم؟ قال: تركونا هذه المدة في مديرية أمن العمارة، قلت له: إذن أين أخوك، قال: لا أعلم، فقد عادوا بعد أربعة أيام من تاريخ نقلنا الى العمارة، ونادوا باسمه واسم خزعل وصفي جاسم وجاسم محسن باجي وعبد الله حسين يوسف وعبد الحسين بدر وآخرين فأخذوهم ولا علم لنا بهم، فقلت له: والباقون، قال: إنهم في السيارة الثانية، قال لي: وأنتم أين كنتم؟ فقلت له: كنا في مديرية أمن الكوت ومعي علي نعيم عطيوي وها هو جالس الى جانب (هـ ـ م ـ ث) قال: فقط أنت وأبو مصطفى في هذا المكان، قلت له: نعم، قال: أين بقية إخوتنا؟ قلت له: لم يكن معي إلا علي نعيم في هذا المكان وأما الأخ أبو علي طالب عبد السادة فقد توفي في الطريق أثناء نقلنا من البصرة الى الكوت، تأثر لسماعه هذا الخبر لأن أبا علي عزيز ومحبوب لدى كل أبناء المنطقة فكيف ونحن أصدقاؤه؟!.

ظهر من خلال حديثي معه أن المكان الذي توقفنا به وتغيرت السيارة به هو مديرية أمن العمارة. كان الجو حاراً بعض الشيء ورطباً ولكنه أفضل بكثير من تلك السيارة المشؤومة، كان عددنا في هذه السيارة ٢٣ شخصاً، وكنا جميعاً مُقيَّدين الى الخلف بالكلبجات، نهضت من مكاني، وذهبت الى جنب الأخ (هـ م ـ ث)، تحدثت معه، وكان الأخ أبو مصطفى قد ذكر له قصة الأخ طالب، تحدثنا عن ظروف التحقيق، وشرح لي كيف مارسوا معه التعذيب واضطراره لذكر الشريط والرسالة أثناء التحقيق، فقلت: إن ظروف التحقيق صعبة جداً وإنهم يحاولون انتزاع الاعترافات بشتى وسائل التعذيب، قلت له: أ لم تلتق مع أخيك، قال: لا، وكان أخوه وعمه قد اعتقلا قبله بفترة وهما (م ـ م ـ ث) و(ع ـ ث ـ م) وقد حكم عليهما بالإعدام فيما بعد ثم خُفِّف الى السجن المؤيد، وفي عام ١٩٨٧ أطلق سراحهم بعد أن توسط لهم أحد أقاربهم وهو رجل مخابرات عند عدنان خير الله طلفاح وزير الدفاع وكانت تربطه معه علاقة جيدة، فصدر مرسوم جمهوري بإطلاق سراحهم.

خفت سرعة السيارة، واستدارت يميناً ثم شمالاً وبين فترة وأخرى تستدير تارة شمالاً وأخرى يميناً حتى توقفت، فتحوا الباب، وكان توقفها قريباً جداً من إحدى البنايات والفاصلة بين الباب والسيارة على ما أعتقد كان متراً واحداً، أمرونا بالنزول، بعد الباب توجد فسحة بين الباب الذي دخلنا منه والحاجز الحديدي الذي يأتي بعده ممر طويل وكان باب هذا الحاجز مفتوحاً ايضاً، فأمرونا بالذهاب الى الممر، وتوجد على الجهة اليسرى من هذا الممر عدة أبواب، فتحت هذه الأبواب واحداً بعد الآخر وأخذوا يدخلوننا الى هذه الزنزانات وكانت زنزانة رقم (١٠) هي أول زنزانة أدخل فيها في هذا المكان كان عدد المعتقلين فيها ٣١ واضافونا الى هذا العدد وكنا خمسة أشخاص فصرنا ٣٦ شخصاً، في لحظة دخولنا كان الجميع جالسين في الوسط، وبجنب الحائط وكانت الزنزانة لا تتسع لهذا العدد فمساحتها ٣ X ٢م٢، وقد أخذ الحمام من هذه المساحة متراً مربعاً.

المعتقلون من جميع محافظات العراق وكان أغلب هؤلاء من أهالي البصرة، أن هذا السجن ويسمى (موقف) تابع الى مديرية الأمن العامة ويتكون من طابقين، كل طابق يتكون من (١٢) زنزانة والمجموع (٢٤) زنزانة تتراوح الأعداد بين (٣٥) و(٤٠) شخصاً في كل زنزانة، المساحة كما ذكرنا هي ٣ X ٢م٢ الجو حار جداً في الصيف وحار في الشتاء، الجميع قد خلعوا ملابسهم وظلوا في اللباس الداخلي من شدة الحر الذي لا يطاق، باب الزنزانة حديد وتوجد فيه وفي الأعلى منه فتحة بحدود ٢٥ سنتمتر مربع يُدخلون من خلالها وجبات الطعام وبعدها تُغلق، وفتحة أخرى قريبة من السقف مساحتها تتراوح بين ١٠-١٥ سنتمتر وبشكل دائري، وخلف هذه الفتحة قضبان حديدية مثبتة في الحائط، وخلف هذه القضبان وُضِعت مفرغة هواء (ساحبة هواء)، وهذه المفرغة تؤدي دوراً كبيراً في تغيير الهواء، حيث تقوم بسحب الهواء الفاسد، ويدخل محله ومن خلال الفتحات الموجودة في أطراف الباب وأكبر هذه الفتحات الفتحة الموجودة أسفل الباب الفاصلة بينه وبين الأرض أقل من سنتمتر ويدخل منها هواء بارد وكأنه يندفع من مكيف هواء، ولكنه سرعان ما يتغير هذا اللون، وأن الأنفاس التي تصدر من الأعداد التي لا تتناسب مع مساحة الزنزانة تقضي وبسرعة كبيرة على الهواء النقي الذي يدخل من هذه الفتحات الصغيرة ولولا وجود مفرغة الهواء لمات الجميع اختناقاً. الحائط الذي يستر الحمام ارتفاعه بحدود مترين أما ارتفاع سقف الزنزانة بحدود ٢,٥ متر فتكون الفاصلة بين حائط الحمام والسقف بحدود نصف متر استغل هذا الحائط أفضل استغلال من قبل المعتقلين، وسنأتي على توضيح ذلك.

أما وجبات الطعام، والصلاة والنوم، فسآتي الى ذكرها تباعاً...

ففي الصباح وفي الساعة الثامنة يدخل رجل كبير السن أبيض الشعر ولا توجد شعرة سوداء في رأسه قصير القامة أحمر اللون صاحب بطن قد تدلت، اسمه (شغاتي) لا يتكلم مع المعتقلين ولو بحرف واحد مهمته جمع الفضلات، يبدأ بطرق الأبواب وينادي (زبل زبل) ويقصد القمامة (الزبالة)، ثم يعود من حيث بدأ بأول زنزانة يفتح الفتحة الصغيرة للباب ويأخذ الفضلات وبدون أن يتكلم مع أحد يغلق الفتحة، ثم يستمر الى آخر زنزانة، وعمله هذا بشكل يومي باستثناء يوم الجمعة والعطل، بعد أن يُنهي عمله يدخل شخص عسكري وهو شرطي أمن يقوم بتوزيع جريدة الثورة وأغلب المعتقلين يتحاشون قراءة هذه الجريدة؛ خشية أن تتمزق هذه الجريدة او تنطبع عليها بقع أوساخ فيعاقبوا بسببها، وكان رجال الأمن يعاقبون من يقوم بهذا العمل، ويضربونه ضرباً شديداً، وبعد أن يتم توزيع الجريدة يدخل رجلان لتوزيع وجبة الفطور، أولاً يكون توزيع الصمون (الخبز) لكل شخص ثلاث، بعدها يوزع إما بيضة لكل شخص أو الزبد ولكل أربع أشخاص قطعة، وأغلب الأيام كانوا يجلبون لنا في الفطور (الشوربة) الحساء، نستلم الفطور ويتم توزيعه على الموجودين، إذا كان حساءً نستلمه بالصحون (أواني طعام بلاستيكية) ولكل شخص صحن وهذا الحساء في أول الأمر يكون حاراً نستلمه بحذر شديد خوفاً أن ينسكب على أحدنا نضعه على الأرض وبعد الانتهاء من الاستلام تبدأ مجموعة بتناول فطورها، ثم تأتي المجموعة الثانية بعدها، وهكذا الى آخر مجموعة، لأن المساحة لا تتسع لأن نجلس جميعنا لتناول الطعام معاً، أما بالنسبة لوجبة طعام الغداء التي تأتي بعد صلاة الظهر، وتكون هذه الوجبة ثابتة من حيث النوعية وهي الرز والمرق، ويُصَبّ المرق على الرز، ونتناول هذه الوجبة بنفس طريقة تناول الحساء في الإفطار، أما وجبة العشاء فيجلبونها لنا قبل غروب الشمس بساعة تقريباً وتكون هذه الوجبة إما قليلاً من الدجاج أو اللحم أو (الكباب) المصنوع في البيوت، وأعتقد أن الشخصين اللذين يجلبان الطعام هما متعهدان بأن يقوما بهذا العمل، ويجلبان مع هذا الطعام بعض الخضار، فنقوم بفتح الصمون ونضع في داخله هذه المواد،

ونتركها على جهة حتى نؤدي صلاة المغرب والعشاء ثم يتم توزيعها، كان بعضنا ومن شدة الجوع يأخذ حصة من أكله بعد استلام العشاء مباشرة، ويأكلها، ويترك الأخرى الى وقت آخر، وهذه الوجبة نتناولها ونحن واقفون. تم استغلال هذه الفترة من الزمن في الصيام وخصوصاً مَن كان قد فاته صيام فيما مضى من عمره فيصوم قضاء عما في ذمته، فكنا نستلم الطعام في الصباح والظهر ونضعه فوق حائط الحمام حتى يأتي المساء ويتناوله (أي الصائمون)، وأما طعام العشاء فنتركه الى السحور، وكان الطعام الذي نضعه فوق الحائط يتعفن في بعض الأحيان وخاصة الحساء من شدة الحر، وأما قطع الزبد فنضعها في الماء على الرغم من هذا فهي تذوب، أما البيض فهو الآخر تصبح رائحته كريهة ولكننا نأكله، ولا نعير أهمية للتلوث الذي يحصل، ويجلبون لنا في يوم من أيام الأسبوع إما نوع من الفاكهة (كالتفاح والبرتقال) أو تمراً وبعض الأحيان يكون خياراً، وكانت هذه المواد تنفعنا كثيراً، حيث كان أكثر المعتقلين يعانون من الجوع بسبب قلة الطعام فهذه المواد تبقى عندنا يومين نأكل منها، ففي هذين اليومين تجد جميع المعتقلين مكتفين نوعاً ما.

أما الصلاة في هذا السجن ولصغر الزنزانة والأعداد غير المتناسبة مع المساحة نؤديها على شكل وجبات، بعض هذه الزنزانات كانت الصلاة تؤدى فيها جماعة وأيضاً وجبات، إذا حلّ وقت الصلاة يتهيأ الجميع للصلاة، فالجميع يصلون ومن كان لا يصلي قبل الاعتقال تعلم الصلاة، وأخذ يستمر عليها، وهو متمسك بها. إن هؤلاء الذين كانوا لا يصلون شملتهم حملات الاعتقالات التعسفية وإن كانت هذه الاعتقالات تركزت على الشباب المتدين.

النوم في هذه الزنزانات يقسم العدد الموجود في الزنزانة الى ثلاث وجبات، تتراوح الأعداد كما ذكرت بين ٣٥ و٤٠ شخصاً، فكانت زنزانة رقم (١٠) عددها ٣٦ شخصاً، قسمنا الى ثلاث وجبات، كل وجبة ١٢ شخصاً، بعد أن نتناول وجبة العشاء نتهيأ للنوم، فمن يُرِد الدخول الى الحمام (التوالي) يجب عليه أن يدخل قبل وقت النوم، حيث كنا نستغل حتى الحمام للنوم، وذلك بوضع الأحذية في سيفوم الحمام (فتحة المرافق)؛ كي تتساوى مع أرضية التواليت ثم تفرش ببطانية سوداء، ويجلس عليها ستة أشخاص. أخذ هذا الحمام (التواليت) من مساحة الزنزانة متراً مربعاً وعرض الزنزانة المتبقي ٢ متر، توجد في الزنزانة زاوية مساحتها متر مربع، نفرش هذه الزاوية أيضاً، ويجلس فيها ٦ أشخاص آخرين فيصبح المجموع ١٢ شخصاً وهم يشكلون وجبة أو مجموعة وتسمى وجبة الجالسين.

المساحة المستغلة أو التي نستطيع أن نستغلها للنوم هي ٢م٢، (١٢) شخصاً ينامون كل ٦ أشخاص مقابل ٦ وبشكل تشابك يشبه تشابك أصابع اليدين، والنوم على أحد الجوانب، إما على اليمين أو على اليسار، إن كل شخص ينام توضع أقدام الشخص الذي يقابله أمامه، أي مقابل صدره وإذا كان الشخص الذي يقابله طويلاً فتكون الأقدام إما مقابل أنفه أو تكون مقابل عينيه، وكذلك عليه أن لا يتحرك؛ لأنه إن تحرك فسيحرك معه جميع النائمين، وعليه أن لا ينام عكس الاتجاه الذي ينام عليه البقية، وهو غير ممكن؛ لأنه لا يستطيع فالاتجاه المعاكس يأخذ مجالاً أكبر ولا يمكن أن يحصل عليه.

النائمون يشكلون كتلة بشرية وضعت في قالب واحد إذا قام أي شخص من غير النائمين بتحريك أولهم فيتحرك الجميع حتى آخرهم، وتسمى هذه الوجبة بوجبة النائمين، على الجانبين من جدران الزنزانة يقف (١٢) شخصاً، في كل جانب (٦) أشخاص يضعون أقدامهم بين رؤوس النائمين، وفي بعض الأحيان أحدنا لا يحصل على موضع لقدمه فيقف على واحدة والأخرى يضعها على ركبته أو يضعها خلفه ويتكئ على الحائط، وهؤلاء الواقفون عليهم أن يؤدوا واجباً، وهو أن يقوموا بعمل التهوية للنائمين، إن هذه العملية سهلة

جداً، ولكنها مُملة بسبب استمرارها طوال الوقت الذي تستغرقه الوجبة من النوم وبشكل متناوب بين الوجبة الواقفة، أما الوسيلة التي نقوم بها لتأدية هذه العملية فهي الملابس.
استغنينا عن هذه الملابس بسبب حرارة الجو فبعضها وضعناها مع الأحذية تحت رؤوسنا أثناء النوم، والبعض الآخر استخدمناها للتهوية، نربط كل قطعة مع الأخرى حتى تصل الى الجانب الآخر فيمسك بطرفها أحد الواقفين ويناول الطرف الآخر الى أحد الأشخاص الواقفين في الجانب الثاني، ثم يقومون بتحريك هذه الملابس يميناً وشمالاً وهكذا تحدث عملية التهوية، وعلى هؤلاء الذين يقومون بهذه العملية أن لا يتوقفوا لأن هذا يجعل الجو أكثر حرارة بالنسبة للنائمين، فإذا شعروا بالتعب يعطون هذه الملابس الى شخصين آخرين ليقوموا بهذا العمل وتسمى هذه الوجبة بوجبة الواقفين.
أصبح الآن لدينا ثلاث مجاميع أو ثلاث وجبات (وجبة النوم، وجبة الجلوس، وجبة الوقوف) تتناوب هذه الوجبات على النوم.
يقسم الوقت من أول الشروع بالنوم حتى النهوض وهو بعد صلاة الصبح بنصف ساعة، أقل أو أكثر حسب الحاجة، ويقسم الى ثلاثة أوقات، ولكل وجبة من الوجبات قسم من هذا الوقت تستغله للنوم، فيكون تناول الوجبات كالآتي:
بعد الانتهاء من وجبة طعام العشاء تنام وجبة وتقف وجبة وتجلس وجبة، وبعد انتهاء وقت هذه الوجبة النائمة ينهضون من مكانهم ويذهبون للحمام والزاوية كي يجلسوا، أما الوجبة الواقفة فيأخذون محل النائمين فهو وقتهم لينا موا، أما الوجبة الجالسة فيأخذون محل الواقفين فقد جاء دورهم للوقوف وهكذا حتى تستغل الوجبات الثلاثة أوقاتهم للنوم، بعدها ننهض لتأدية الصلاة (أي صلاة الصبح)، ثم يأتي الفطور، فنتناوله، ثم نجلس على جوانب الزنزانة وفي الوسط وفي الزاوية، أما الحمام فيستغل في هذا الوقت لقضاء الحاجة أو للاستحمام، تم استغلال حائط الحمام لوضع طعام الصائمين وآنية "سطل" معبأ بالماء للاحتياط في حالة انقطاع الماء نستخدم هذا الاحتياط، وكذلك استغل هذا الحائط لجلوس شخص فوقه في حالة ازدياد الأعداد أكثر من (٣٦) شخص. وفي بعض الأحيان ينام وهو جالس فوق هذا الحائط، حدثت طرائف في هذه الفترة سأذكرها بفقرة خاصة.

الموت بالجملة

لم يمض عليّ وقت طويل في زنزانة رقم عشرة، فبعد خمسة أو ستة أيام من وجودنا بها عادوا ثانية وأخرجونا منها وأدخلوني في زنزانة رقم (١٥) في الطابق الثاني، النظام فيها نفس النظام في الزنزانة رقم عشرة، لا أستطيع النوم في النهار بسبب استمرار التحقيق مع بعض المعتقلين في الشعبة الخامسة، ففي النهار يجلبون أشخاصاً ويأخذون آخرين لغرض التحقيق معهم ليلاً.
في تاريخ ١٩٨١/٦/١٤ انقطع التيار الكهربائي، فتوقفت مفرغة الهواء وفتحة الباب مغلقة، كان عددنا (٣٥) شخصاً أخذت الحرارة ترتفع، الهواء لا يتبدل، ارتفعت نسبة الرطوبة مضى وقت طويل ولم يعد التيار الكهربائي، الحراس الذين كنا نسمع أصواتهم أثناء تحدثهم فيما بينهم انقطعت تلك الأصوات انتهى الأوكسجين في الزنزانة، إننا نتنفس الزفير الذي يخرج من صدورنا، حصلت حالات اختناق فأخذنا نطرق على باب الزنزانة، المعتقلون في باقي الزنزانات يطرقون أيضاً على الأبواب، تصاعد الطرق بأيدينا والركل بالأرجل ولكن دون جدوى، إنهم لا يسمعون ولا يريدون عمل شيء، إنهم يريدون التخلص من الجميع، استمر التيار بالانقطاع فازدادت حالة الاختناق وحالات الإغماء كثيرة وقعت بين المعتقلين هدأت أصوات الطرق على الأبواب، إننا لا نملك القوة كي نستمر في الطرق كما أنه لا

جدوى من هذا الطرق أخذنا نتساقط بعضنا على بعض، مضت بحدود ثماني ساعات وتيار الكهرباء لم يعد، بعد مرور هذا الوقت فقَد الجميع وعيه وأُغمِي علينا فلم نشعر بما يجري وما يحدث، لا نعلم كم من الوقت مضى حتى عاد التيار الكهربائي، بدأ الوعي يعود لنا بعد أن عادت المفرغة للعمل، الجو أخذ يتحسن، عاد تيار الهواء الذي يدخل من فتحات الباب الصغيرة، ويخرج من فتحة المفرغة، دبّت الحياة مرة ثانية، تفقدنا بعضنا البعض، أغلب الموجودين قد تكدسوا في الوسط بعضهم فوق البعض، وأغلب هؤلاء لم يفيقوا، كان أحد الإخوة حالته جيدة ولم يُغمَ عليه وذلك لعثوره على فتحة كان الهواء يدخل منها فوضع أنفه في هذه الفتحة، وظل يتنفس من خلالها، وهذه الفتحة هي في داخل (التواليت) الحمام كانت بين أنبوب الماء والحائط فكان يدخل منها الهواء وقد استغلها هذا الأخ وحافظ على نفسه، قام هذا الأخ بعمل إنساني عظيم عندما وجدنا جميعاً مكدسين في الوسط قام برفع بعضنا عن بعض ولكن المساحة لا تسع لتفريق الجميع، وبعد أن عاد الوعي لأكثر الموجودين وكنت أنا من ضمنهم تفقدنا البقية فوجدنا ١٣ شخصاً فقدوا حياتهم. إن تيار الكهرباء كان قد استمر بالانقطاع قرابة ١٠ ساعات، وبعد عودة الكهرباء بفترة طويلة جاء رجال الأمن المشرفون على هذا السجن، وأخذوا يسألون الموجودين كم عدد الموتى، وقاموا بإخراجهم سحباً الى خارج الزنزانات، ووضعوهم في الممر وبعد الانتهاء من سحب الموتى في جميع الزنزانات حملوهم الى جهة مجهولة، ولم يسلموا الى ذويهم.

أريد أن أتساءل هنا: هل مديرية الأمن العامة لا توجد فيها مولدات كهرباء؟ فإذا كان الجواب نعم، فهذا غير معقول أبداً، لأن هذه المديرية هي إحدى الدوائر الحساسة والمهمة جداً بالنسبة للنظام فمن غير المعقول ان تترك بدون مولدات كهرباء ومن غير المعقول أن لا يحسب لها حساب في حال انقطاع التيار الكهربائي وتصبح بدون إنارة وخاصة أثناء الليل، وبالنسبة للمولدات فمتوفرة وبشكل كبير بالأسواق والكثير من الناس العاديين قد حصلوا على هذه المولدات فكيف بالنظام الذي يسيطر على جميع ثروات الشعب، وإذا كان الجواب توجد مولدات فلماذا لا تعمل، هل إنهن عاطلات، وإذا كنّ عاطلات فلماذا لم يقوموا بإصلاحهن قبل هذا الوقت، أي قبل انقطاع التيار الكهربائي، وإذا كانوا لا يعلمون بعطلهن قبل انقطاع التيار الكهربائي فلماذا لا يقومون بإصلاح العطل أثناء انقطاع التيار الكهربائي؟ ومدة ١٠ ساعات بالنسبة للنظام وقت طويل لإنجاز مثل هذا العطل، فإذا هم قاصدون قتل المعتقلين، وهذه إحدى طرق النظام للتخلص من معارضيه، إن عدد الذين قُتِلوا في هذا اليوم إذا أردنا أن نقيس على العدد الذي قُتل في زنزانة رقم (١٥) هو (١٣) شخصاً، ونأخذ كمعدل (١٠) أشخاص في كل زنزانة يكون العدد (٢٤٠) قتيلاً من مجموع (٢٤) زنزانة.

إن هذا العدد كبير جداً لمن يقيم اعتباراً للإنسان والإنسانية، ولكن هذا النظام لا يعير أي أهمية للإنسان ولا حقوق للإنسان.

رعد قُتل عمداً

ازدادت الأعداد بشكل كبير والاعتقالات لا تتوقف والسجون لا تتسع لضم هذه الأعداد التي فاقت التصور، المحافظات امتلأت، الأمن العامة غير قابلة لاستيعاب هذه الأعداد، سجن (أبو غريب) لا مجال فيه، بيوت الإيرانيين المقيمين في العراق وبعضهم حصل على الجنسية العراقية والذين أعادهم النظام وبشكل قسري الى إيران استغلت وبعد أن أجروا عليها بعض التغييرات لتصبح سجوناً، هذه البيوت أيضاً ضمت أعداداً كبيرة من المعتقلين، الحرب مستمرة وأخذت تأكل الأخضر واليابس، كان النظام في بغداد رفع شعار القضاء

على الشيعة بعد أن شعر بالنقمة عليه من الشعب العراقي، فأشعل الحرب مع إيران، ودفع في هذه الحرب الشعب والتي بمثل الشيعة نسبة ٧٥% من هذا الشعب وكان الجندي الشيعي هو أول من يذهب الى الجبهة وتُركت الأماكن الخدمية والقيادة لباقي المذاهب عدا الشواذ في هذه القاعدة التي استخدمت في هذه الحرب القذرة، وهذه إحدى وسائل تنفيذ الشعار الذي رفعه صدام.
أما الوسيلة الثاني فهي تهجير العراقيين الشيعة الذين يعتبرهم النظام إيرانيين وكانت أعدادهم كبيرة إضافة الى الإيرانيين الذين أعادهم الى بلدهم.
أما الوسيلة الثالثة، فالاعتقالات التي شملت الشيعة بشكل خاص، وإن نسبة المعتقلين من الشيعة تمثل ٩٥% من مجموع المعتقلين في جميع أنحاء العراق، وإن الطرق للتخلص من المعتقلين قد تحصل في جميع سجون العراق وطرق أخرى مارسها النظام مع المعتقلين للتخلص منهم وسنقوم بتوضيحها في حينه.
رعد هو أحد طلاب كلية العلوم في جامعة البصرة، ويسكن منطقة المعقل في البصرة، إن هذه المنطقة هي أكثر مدن البصرة وأستطيع أن أقول مدن العراق قدمت تضحيات في سبيل الخلاص من هذا النظام المتجبر.
كان الأخ رعد اعتقل نهاية عام ١٩٨١ وكان التحقيق معه في مديرية أمن البصرة قد انتهى ونُقِل إلى مديرية الأمن العامة، كان يتناول علاجاً وبشكل مستمر وعلاجه كان أقراصاً يتناولها وقت الحاجة وكان يشكو من مرض الربو وكلما تنتهي هذه الأقراص يخبرهم فيأتون له بكمية أخرى، وفي إحدى المرات طالبهم أن يأتوا له بالأقراص فكان الجواب: اصبر سوف نأتي لك بالعلاج، بعد نصف ساعة جاء شخصان الأول أبو جواد والثاني واصف وكان هذا الأخير يحمل بيده حقنة (ابرة) قام أبو جواد بفتح الباب، وطلب من الأخ رعد الخروج الى الممر بعد أن خرج ترك باب الزنزانة مفتوحاً، أوقفوه في الممر ومقابل الزنزانة وأمام المعتقلين زرقوه بهذه الإبرة التي كان واصف يحملها بيده، بعدها أعادوه الى الزنزانة ولم تمض إلا ساعة واحدة فإذا به يقع ميتاً، بعد لحظات دخلوا الى الممر، ثم فتحو الفتحة الصغيرة الموجودة في الباب وكانت مغلقة وظلوا ينظرون الى رعد وهو ممدد في وسط الزنزانة، فقال لهم أحد الموقوفين: إنه ميت على ما أعتقد، ففتحوا الباب، وسحبوه على الأرض، وأخذه واصف يسحبه في الممر، وأغلق أبو جواد الباب والفتحة الصغيرة، وذهب، أما رعد فلا أعرف هل سُلِّمت جثته الى أهله أو لا؟
وهذه هي إحدى طرق النظام للقضاء على المعتقلين، أما ما سمعت، وذُكِرت لي فكثيرة هي، مثل الاختناق، زرق الإبر، القتل بالتحقيق، عصير الفواكه، الشاي، المقابر الجماعية، حوادث السيارات، الاعدامات بالجملة، وطرق أخرى ابتدعها صدام جميعها، واستخدمها للقضاء على الشيعة في العراق الذين يعتبرهم معارضين له، فأنا لا أذكر إلا ما شاهدته بعيني أو رُوِيَ بالدليل.

الإدارة في هذا السجن

إن إدارة هذا السجن في عهدة شخصين، الأول كاظم أبو جواد وهو من الجنوب (الناصرية) قضاء الشطرة وهو برتبة مفوض شرطة أمن، وقد اختار له مجموعة من الشرطة ليشكل عصابة ومن هؤلاء المجرم واصف وهو شرطي أمن من أهالي بغداد منطقة الفضل وقيس أيضاً شرطي من بغداد منطقة الثورة وخالد برتبة عريف شرطة من الرمادي وآخرون، أما الشخص الثاني فهو أبو رعد وهذا الشخص مجهول الاسم بالنسبة لي وللمعتقلين وقد اختار

لـه مجموعـة مـن الشـرطة ليشـكلوا العصـابة الثانيـة، دوامهـم كـل ٢٤ سـاعة بالتنـاوب فيمـا بينـهم، أبـو رعـد ضـعيف البنيـة شـكله يميـل للبيـاض عينـاه صـغيرتان بعـض الشـيء كـان لا يـتكلم مـع المعتقلين إلا بمجال عمله وكان نادراً ما يفتح الباب الذي يفصل غرفهم عن الزنزانات.
أمـا أبـو جـواد فعكسـه تمامـاً فهـو يتميـز بضـخامة جسـمه وعينيـه الكبيـرتين وصـوته المرتفـع حتـى فـي كلامـه الطبيعـي، أسـمر اللـون وقـد تسـلل الشـيب الـى شـعره الأسـود كثيـر الثرثـرة وطول فترة خفارته يقضيها متنقلاً بين الزنزانات.
اختـار لنفسـه أشخاصـاً مـن الشـرطة الموجـودين فـي هـذا السـجن يتلائمـون مـع شخصـيته ويلبـون لـه كـل رغباتـه وبسـرعة متناهيـة وخاصـة فـي تعـذيب المعتقلـين فـإنهم يتلـذذون ويتنافسـون ويظهرون قوتهم في ممارسة تعذيب المعتقلين.
فـي خفـارة أبـي جـواد لا هـدوء، الأبـواب تفـتح بـين لحظـة وأخـرى إمـا لإرسـال بعـض المعتقلـين الـى التحقيـق فـي الشـعبة الخامسـة والمجـاورة لهـذا السـجن، وإمـا أن يخلقـون مبـرراً لإخـراج المعتقلـين الـى الممـر ليضـربوهم، وأمـا خفـارة أبـي رعـد فالهـدوء يسـود السـجن، حيـث إنـه لا يـتكلم مـع المعتقلـين حتـى يحصـل علـى مبـرر لتعـذيب المعتقلـين والأبـواب تفـتح فقـط للـذين يُطلَبـون للتحقيـق والـذين يُجلَبـون مـن الشـعبة الخامسـة مـن بـاقي المـديريات فـي المحافظـات، ولكـن أبـو رعـد وأبـو جـواد وجهـان لعملـة واحـدة، إنهمـا يمـثلان جهـاز الأمـن وهـو جهـاز قمعـي تعسفي وذو السمعة ذائعة الصيت بالإجرام.

التعذيب بسبب مجالس العزاء الحسيني

زنزانـة رقـم (٢٠) تختلـف عـن بـاقي الزنزانـات التـي تنقلـت بينهـا، فـي هـذه الزنزانـة كانـت صـلاة الجماعـة تـؤدى علـى شـكل ثـلاث مجـاميع وكـان ائمـة الجماعـة ثلاثـة (ع ـ م) و(ف ـ ح ـ د) و(سـيد ك ـ ر) وهـم مـن قضـاء القرنـة وقـد اعتقلـوا وأمضـوا ثـلاث سـنوات فـي هـذا السـجن ثم أطلق سراحهم بدون أن يقدموا الى المحاكم.
فـي هـذه الزنزانـة يقـرأ القـرآن قبـل كـل صـلاة ودعـاء بعـد كـل صـلاة وفـي ليـالي الجُمَـع يُقـرأ دعـاء كميـل ثـم زيـارة الإمـام الحسـين (ع) ثـم مجـالس العـزاء الحسـيني، نـؤدي صـلاة المغـرب والعشـاء بعـدها يجلـس الجميـع ويتـولى أحـدنا الحراسـة كمـا كنـا نسـميها وهـذه الحراسـة عبـارة عـن بقـاء شـخص واقفـاً فـي البـاب لمراقبـة الممـر وفـي هـذه الفتـرة كانـت فتحـة البـاب الصـغيرة يتركونهـا مفتوحـة الـى سـاعة متـأخرة مـن الليـل، فمـن خـلال هـذه الفتـرة تـتم مراقبـة أو رصـد الممـر، وفـي حالـة سـماعه أو مشـاهدته لأحـد رجـال الأمـن يعطـي الإشـارة لنـا فيتوقـف كـل شـيء ويكـون الأمـر طبيعيـاً، فـي إحـدى ليـالي الجُمَـع أدّينـا الصـلاة، وجلسـنا، وأخـذ أحـد الإخـوة واسـمه فيصـل مـن أهـالي البصـرة منطقـة (خمسـة ميـل) مكانـه فـي البـاب؛ ليقـوم بعمـل الرصـد للممـر وباشـرنا بقـراءة الـدعاء تـلاه الأخ سـيد (ك ـ ر) ثـم تـلا الأخ (ع ـ م) زيـارة الإمـام الحسـين (ع)، وبعـدها باشـرنا بمجلـس العـزاء الحسـيني وكـان الأخ (ف ـ ح ـ د) وكالعـادة يقـرأ هـذا المجلـس، كـان كـل شـيء علـى مـا يـرام، سـمع قـيس أحـد أفـراد عصـابة أبـي جـواد وأقسـاهم صـوت بكـاء فـي الزنزانـات، ولـم يسـتطع أن يميـز فـي أي زنزانـة، فـتح البـاب الـذي يفصـل الإدارة عـن الزنزانـات وبكـل هـدوء بحيـث لـم نسـمع لـه صـوتاً، كنـا نسـمع صـوت هـذا البـاب أثنـاء فتحـه فـي الأيـام العاديـة بخـلاف هـذه المـرة، سـار قـيس وهـو منحنـي وملتصـق الـى الحـائط وعلـى جهـة أبـواب الزنزانـات فـي الممـر، ولـم يشـعر بـه أحـد ويصـعب علـى الأخ فيصـل الـذي كـان واقفـاً يترقـب أن يـراه، ففاجأنـا قـيس بوقوفـه فـي بـاب الزنزانـة وهـو ينظـر إلينـا مـن الفتحـة، فلمـا شـاهدنا بأننـا نقـيم مجلـس عـزاء وفـي هـذا المجلـس كنـا نبكـي لـذكر مصـيبة الإمـام الحسـين (ع)، صـاح قـيس بـأعلى صـوته يـا ابـا جـواد فجـاءه أبـو جـواد مهـرولاً فقـال لـه: مـاذا جـرى

لك؟ فأخبره بما رأى وسمع، إنهم يقرأون ويبكون، ولا أعلم ما الذي يزعجهم ويغضبهم من العزاء والبكاء والشيء الوحيد الذي يسعون إليه هو محاربة الشعائر الحسينية ومحاربة الحسين (ع) لأنه ثار على الظلم والظالمين، فثورة الإمام الحسين (ع) هي ثورة على الظالمين والطغاة، وإن مبادئ وثورة الإمام الحسين (ع) تسري في دماء المسلمين وخاصة الشيعة جيلاً بعد جيل، وإن هؤلاء يحاربون الله ورسوله والمؤمنين ومن يحارب الله ورسوله والمؤمنين فمصيره الذلة والخسران في الدنيا والآخرة.

طلب منا أبو جواد أن نقترب الى فتحة الباب واحداً بعد الآخر، وأخذ ينظر الى عيوننا ومن يشك به أنه كان يبكي يقول له: قف جانباً، وهكذا حتى شخّص (١٧) شخصاً، بعدها أمر واصف وهو أحد المجرمين من عصابة أبي جواد بأن يجلب الهراوات (جيب السودة)[1] فهرول واصف وهو فرح لأنه سيمارس ما يهوى ويرغب وهو تعذيب المعتقلين، في هذه اللحظة فتح أبو جواد الزنزانة ووقف في باب الزنزانة من الداخل هو وعصابته، وصل واصف وهو يحمل الهراوات فوزع الهراوات على العصابة وأعطى واحدة الى أبي جواد، أمرنا أبو جواد نحن الذين لم يستطع تشخيصنا بالدخول الى الحمام، وكان عددنا ٢١ شخصاً من مجموع المعتقلين في هذه الزنزانة البالغ ٣٨ معتقلاً، ٢١ شخصاً لا يسعهم الحمام، فأجبرونا على الدخول الى الحمام، وأصبحنا واحداً فوق الآخر على الرغم من هذا فإن الحمام لا يتسع لهذا العدد وظل بعضنا في الزاوية الموجودة في هذه الزنزانة وكنت أنا أحدهم.

أحد العصابة كلفه أبو جواد بأن يقوم بالضغط علينا حتى لا نخرج الى بقية مساحة الزنزانة وأخذ هذا الوحش ينهال علينا بالضرب، أبو جواد وعصابته أدموا الذين شخّصهم من شدة الضرب، وأخذ الصياح يتعالى مع أصوات الهراوات التي تنهال على أجسام هؤلاء، الهراوة التي تنهال على أجسامهم تترك أثراً أو تجرح الجسم لأنهم لا يرتدون إلا الملابس الداخلية وبعضهم فقط يرتدي اللباس الذي يستر العورة لشدة الحر، بعد أن أعياهم التعب أمر أبو جواد العصابة بالتوقف، ثم قال موجهاً كلامه للجميع: من كان يقرأ لكم؟ فلم يُجبْه أحد، فقال: إذا لم تقولوا وهو يقصد الذي كان يقرأ مجلس العزاء، فسوف نعاقب الجميع، سمع أبو جواد صوتاً يأتي من الحمام، أنا أنا، فقال له أبو جواد: اخرج، كان من الصعب عليه الخروج من الحمام بسبب العدد الكبير الذي تكدّس في هذا الحمام، قال أبو جواد: اخرجوا من الحمام، وأمر العصابة بالخروج من الزنزانة والوقوف في الباب، خرج الأخ (ف ـ ح ـ د) وكان أبو جواد يعرفه لبقائه مدة طويلة في هذا المكان، فقال له أبو جواد: هو أنت، فقال: نعم، قال له اخرج الى الممر، خرج الأخ الى الممر، وأغلقت الزنزانة، المعتقلون الذين تعرضوا لهذا العذاب كانوا في معنويات عالية جدا على الرغم من جراحهم التي تسيل منها الدماء ويفتخرون لأنهم ضُرِبوا في سبيل الإمام الحسين (ع) ويعتبرون هذه الجروح وسام شرف وأنها سوف تشفع لهم عند الله يوم القيامة، الأخ (ف ـ ح ـ د) سمعنا صوته وأصوات الهراوات التي تنهال عليه ولعدة دقائق حتى انقطع الصوت فتحت إحدى الزنزانات وأدخل إليها ولم التقِ به إلا بعد خمسة أشهر وفي الزنزانة رقم ٢٢.

الشيء الوحيد الذي لم أصل به الى نتيجة هو: لماذا عاقبونا داخل الزنزانة ولم يخرجوا الذين شخّصهم أبو جواد الى الممر كالعادة ويضربونهم؟ وهذه هي أول وآخر حالة تحدث بهذه الصورة طوال الفترة التي أمضيتها في مديرية الأمن العامة.

---

١ وهذا الاسم متعارف فيما بينهم ويعني بها الهراوات من نوع أنبوب الماء البلاستيكي الأسود

نقل الأخبار بين الزنزانات

الأخبار لا تنقطع عنا، وتصلنا بشكل يومي وإن كانت متأخرة بعض الشيء وبعضنا وصلته أخبار عن عائلته، وذلك عن طريق المعتقلين الجُدُد الذين يجلبونهم يومياً الى الأمن العامة، فينقلون لنا الأخبار عن الحرب التي زادت ضراوتها في هذه الفترة، وكذلك الأخبار السياسية. جريدة الثورة التي تصلنا يومياً كما ذكرت سابقاً أغلبنا لا يقرأها للسبب الذي ذكرت، والأكثر من هذا أن هذه الجريدة هي حالها حال جميع الصحف ووسائل الإعلام العراقية الأخرى لا مصداقية لها. إن هذه الوسائل جُلّ أخبارها هي التمجيد بشخصية جلاد العراق، ونقل الأخبار الكاذبة، وإخفاء الحقيقة عن الشعب العراقي، فمثلاً لا تجد في هذا الإعلام الإشارة ولو بشكل غير مباشر الى حملات الاعتقال التي تُشَنّ في وسط الشعب العراقي، وإن هذه الوسائل قد صبّت جُلّ اهتمامها للترويج لما يهرج له رمز العراق وسيف العرب المسلط على رؤوس الشعب العراقي والعربي، وهو يدعي أنه ليس لديه معارضة أو سجناء، وإن عدد الموجودون لا يتجاوز عددهم أصابع اليد وهؤلاء نالوا عقابهم لارتكابهم جرائم بحق الشعب، أي شعب هذا الذي يدّعي صدام الدفاع عن حقوقه وهو الذي يتهم الشيعة الذين يمثلون ٧٥% من هذا الشعب بأنهم غير عراقيين، وأنهم نزحوا من الهند الى العراق والأكبر من هذا يتهمهم أو يصفهم بالغجر وإنهم رعاة جاموس.

بالله عليك أي حاكم في العالم يصف الأغلبية من شعبه بهذه الصفات الشائنة ويفتري عليهم كما فعل صدام في لقائه في بداية الثمانينات مع الصحف السعودية عندما قال: أن الشيعة يعتقدون أن جبرائيل (ع) خان الأمانة التي أُوكِل بها من الله تبارك وتعالى بأن يُنزِل الرسالة السماوية على الإمام علي (ع) فخان وأعطاها للنبي محمد (ص) هذا ما يعتقده الشيعة كما يتهمهم صدام.

وأراد أن يؤكد، أو يُثبّت هذا الاتهام المفروغ من الصحة فيقول: إنهم - أي الشيعة - يقولون وفي نهاية صلاتهم خان الأمين مع رفع أيديهم من الركبتين الى الأعلى، ويكررونها ثلاث مرات، أنا أتحدى صدام، وكل مَن يدّعي هذا الادعاء أن يأتي بالدليل ومن مصادر الشيعة ليؤكد ادعاءه، إن ما نقوم به نحن – الشيعة - بعد الانتهاء من الصلاة نكبر ثلاثاً وهذه التكبيرات بعد كل صلاة من المستحبات وليست واجبة. مثل هذه الثرثرة التي يطلقها صدام بين الحين والآخر لا تنطلي على أصحاب الضمائر الحية وعلى كل ذي عقل سليم. إن وسائل إعلام النظام المقروءة والمسموعة والمنظورة تجعل من هذه الثرثرات مادة لبرامجها وموضوعاتها التي تنشرها في صفحاتها اليومية إضافة الى مثل هذه الثرثرة.

فإنها لا تنشر حقائق ما يجري في الجبهة، لذلك فإن الوسائل ليست لها أي مصداقية بين أوساط الشعب العراقي، فكيف نحن – السجناء- الذين اطلعنا على حقيقة النظام وما يُخفيه من جرائم ارتكبها بحق الشعب العراقي، فمصادر أخبارنا هي عن طريق المعتقلين الجُدُد.

أما كيفية نقل هذه الأخبار من زنزانة الى أخرى فهي تنقل بطريقة (المورس)، وأصبحت هذه الطريقة تُمارَس بشكل واسع بين المعتقلين حتى وصلت الحالة بنا الى نقل السور القرآنية والأدعية غير المحفوظة لدينا.

طريقة (المورس) هي الطرق على الحائط الذي يفصل بين زنزانة وأخرى وعلى شكل رمز، الحروف العربية (٢٨) حرفاً كل حرف له رقم، من رقم واحد حتى رقم ٢٨، والحروف المستخدمة هي الحروف الأبجدية (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ وأخيراً الهمزة). كل هذه الحروف تحمل أرقاماً، فالحرف ألف يحمل الرقم واحد والباء الرقم ٢ والجيم الرقم ٣ والدال الرقم ٤ والهاء الرقم ٥ والطاء الرقم ٦ وهكذا الى آخر حرف يحمل رقم ٢٨ الأرقام ٥، ١٠، ١٥، ٢٠، ٢٥، الرمز الذي تحمل هو خط،

أما باقي الحروف فتحمل الرمز نقطة عن كل حرف. تستعمل مادة صلبة للطرق على الحائط وهذه المادة الصلبة إما أن تكون عظماً نأخذه من اللحم الذي يجلبونه لنا، أو حصى أو أية مادة أخرى صلبة، فإذا أردنا أن نكتب وعلى سبيل المثال جميل (الجيم ثلاث طرقات على الحائط) (...) والميم خطين على الحائط وثلاث طرقات (//...) فالخط الأول هو الرمز رقم ٥ والخط الثاني هو الرمز رقم عشرة، أما الياء خطان (//) واللام خطان وطرقتان (//..) فيكون الرمز لاسم جميل في طريقة المورس هو (ج...٣، م//...٣، ي//١٠، ل//..١٢) إن بعض المعتقلين المتمرسين على هذه الطريقة يستخدمونها بشكل سريع جداً، ولا يُسمَع منهم إلا الطرق والخط على الحائط والفاصل بين كلمة وأخرى هي الطرق على الحائط باليد في حالة عدم استلام الكلمة، فيطرق على الحائط بالمادة الصلبة طرقات غير منظمة فتعاد الكلمة حتى يتم استلامها.

وطريقة أخرى نستخدمها للاتصال مع الطابق الأرضي أو بالعكس، وذلك عبر أنابيب المياه بنفس الطريقة التي تستخدم على الحائط بالطرق على الأنابيب، ويوجد في كل زنزانة أنبوب للمياه يتصل بالزنزانة في الطابق الثاني.
وطريقة ثالثة للاتصال هي: كتابة الحروف في الهواء منفصلة وهذه الطريقة مقتصرة على ٦ زنزانات، وهي: ٩، ١١، ١٢، في الطابق الأول و١٢، ٢٣، ٢٤، في الطابق الثاني، فهؤلاء يشاهدون بعضهم البعض من خلال الفتحات الموجودة في أبواب الزنزانات، وقد خدمهم تصميم هذا السجن وهو يشبه حرف L بالإنكليزي.
وبهذه الطرق الثلاث كنا نحصل على كل الأخبار التي تصل الى هذا السجن عن طريق المعتقلين الجدد.

اختراعات داخل الزنزانة

إن أي شيء في هذا السجن ممنوع، ومن قائمة الممنوعات القلم والورقة وإبرة الخياطة، وبسبب الحاجة الملحة لهذه الوسائل قمنا باختراع إبرة الخياطة والقلم والورق، فمثلاً ملابسنا الداخلية تتمزق لكثرة استعمالها وخاصة اللباس الذي يستر العورة، أخذنا نفكر بطريقة أو اختراع وسيلة لترقيع أو إعادة خياطة هذه الملابس أو نصنع غيرها من الملابس التي لا نستخدمها طوال المدة التي يُمضيها بعض المعتقلين في هذا السجن، ولا تبقى له ثياب سالمة بسبب الرطوبة وشدة حرارة الجو.

<u>الاختراع الأول:</u>

كانوا يجلبون لنا في وجبة العشاء قليلاً من اللحم وفي هذا اللحم نعثر على عظام فنأخذ العظام الضعيفة والرقيقة و(نحكها) في الأرضية الخشنة أو على الحائط الخشن ونتيجة هذا الاحتكاك يتآكل العظم شيئاً فشيئاً حتى يصل الى شكل دائري وضعيف بضعف إبرة الخياطة اليدوية تقريباً وفي هذه المرحلة تحتاج الى دقة متناهية فإذا انكسر هذا العظم فإن كل الجهود التي بُذِلت لإيصاله الى هذه المرحلة تذهب هدراً، فكان هناك أشخاص متخصصون بهذا العمل، فيكون شكل هذا العظم مُدبَّباً من طرف واحد وغليظاً من الطرف الثاني، ثم تأتي مرحلة ثقب هذا العظم وهذه المرحلة هي أدقّ مرحلة وأيضاً تحتاج الى أشخاص متمرسين أكثر؛ حرصاً على كل المراحل السابقة حتى لا تذهب هدراً، أما وسيلة ثقب هذا العظم فهي سلك ضعيف جداً (سيم) كنت أنا أحد هؤلاء الذين يقومون بعملية الثقب.

وبهذه الطريقة صنعنا الإبرة، أما الخيوط فنأخذها من الملابس وخاصة القطنية، وبالأخص الملابس الداخلية (الفانيلة) ويقوم بعض الخياطين الماهرين بخياطة الملابس، وكان الأخ مجيد النجفي أمهر خياط في الزنزانة، وكان يقوم بخياطة جميع ملابسنا.

الاختراع الثاني:

هو صناعة المسبحة (السبحة) ومن العظام أيضاً ومن بعض العجين المتواجد في داخل الصمون (الرغيف) الذي يجلبونه لنا، نأخذ العظام الغليظة، ونحكها أيضاً على الأرض الخشنة أو على الحائط الخشن حتى يصل إلى الحجم المطلوب، ثم نجعله بالشكل الذي نريد، إما دائرياً أو أسطوانياً ثم يُثقَب، ثم نصنع (الشاهود)[1] كما نسميه في العراق ونصنع ثلاثة، اثنان منه صغيران وواحد كبير.

العدد الذي كنا نصنعه هو ٣٣ خرزة لكل سبحة ونادراً ما نقوم بصنع سبحة ١٠١ لأنها تحتاج الى أكبر كمية من العظام أو العجين، أما العجين فالعملية بسيطة وسهلة جداً، نأخذ ما بداخل الصمون (الرغيف) ولو في كل يوم جزء بسيط لأن كمية الصمون كانت لا تكفي أغلب الأحيان لإشباع المعتقلين، نضع هذا العجين الموجود داخل الصمون في إناء ونضيف إليه قليلاً من الماء ونحركه حتى يكون طرياً ثم نقوم بعمل الأشكال التي نريدها.

الاختراع الثالث:

وهذا اختراع بمنتهى الخطورة فهو يعتبر من أكثر الأشياء منعاً وهو صناعة الورق والقلم واستخدامها للكتابة. في بعض الأحيان يجلبون لنا وفي فترات متباعدة اللبن وهذا اللبن يكون داخل أقداح بلاستيكية صغيرة ومغلفة بغطاء ويكون الغطاء من (السلفان) الخفيف، نقوم بتنظيفها وتجفيفها، بعد ذلك نأخذ شيئاً مسطحاً وخالياً من الخدوش ونضع هذه الأغطية واحداً بعد الآخر على هذا المسطح، ونقوم بصقلها حتى تصبح متساوية وخالية من الخدوش تماماً، وبهذا توفرت لنا الأوراق. أما القلم فهو ما ينكسر من إبرة الخياطة في جميع مراحلها وخاصة التي تنكسر أثناء عملية الخياطة، نأخذ أحد الأوراق ونضعها على أحد أواني الطعام (الصحن) بعد أن قلبناه، ووضعنا فوقه قطعة قماش، وأخذنا العظم، ومارسنا الكتابة على هذه الأوراق.

الكتابة تكون على شكل حفر مثل النقوش التي ترسم على الأشياء، وهكذا أخذنا نكتب ما نريده من معلومات لتداولها فيما بيننا وخاصة كتابة سور من القرآن والأدعية، وإذا انتهينا من حفظ هذه المعلومات أو السور القرآنية نعيد صقل هذه الأوراق ونستخدمها مرة ثانية في حال عدم توفر غيرها.

تكمن خطورة هذه الأوراق في عملية التفتيش التي تجري بين فترة وأخرى أولاً، وثانياً يوجد في بعض الزنزانات منافقون يخبرون رجال الأمن بما يجري في الزنزانات... كان معنا في الزنزانة ١٦ شخص يدعى عبد الرحمن وهو متهم بانتمائه الى الحزب الشيوعي العراقي وكان جباناً الى حد كبير بحيث إذا جاء أبو جواد الى الزنزانة؛ ليتكلم مع المعتقلين من خلال الفتحة يصفرّ لونه وجسمه يرتجف من شدة الخوف.

عبد الرحمن هذا يعرف أن لدينا هذه الأوراق، ولكنه لا يستطيع أن يمنعنا، فالجميع يستخدمونها باستثناء شخصين عبدالرحمن وصديقه المتهم معه بنفس التهمة وهما من محافظة بغداد، وكان العدد في هذه الزنزانة ٣٧ معتقلاً.

حصلت في أحد الأيام حملة تفتيش للزنزانات، وقبل أن يصلوا لنا قام عبد الرحمن بجمع هذه الأوراق، وأراد أن يرميها في الحمام (التواليت) وكان مكتوباً عليها بعض السور

---

١ الشاهود: هو الذي يكون في بداية المسبحة ويجمع الطرفين، أما الاثنان الصغيران فموقعهما بين خرز المسبحة ويقسمان المسبحة الى ثلاثة أجزاء

القرآنية فقلت له: لا يصح أن ترميها في التواليت، وقد كتب عليها بعض السور القرآنية، فقال: ولكن أفضل من أن أتحمّل الضرب بسببها، فأخذتها من بين يديه وهو يحاول رميها داخل التواليت، ثم قلت له: أنا أتحمل مسؤوليتها، قال: كيف تتحمل مسؤوليتها؟ قلت له: إنهم لن يعثروا عليها، فأخذتها، ووضعتها تحت ملابسي الداخلية/ ثم ارتديت الدشداشة التي استلمتها خلال التوزيع الذي حصل في بداية شهر ١٩٨١/١٢ وهذه أول مرة يتم بها هذا التوزيع. بعد ان ارتديت الدشداشة وصل أبو جواد وعصابته الى الزنزانة التي كنت فيها، فتح باب الزنزانة، وأمرونا بالخروج واحداً تلو الآخر، وكنت أتلو بعض الآيات القرآنية؛ كي يقيني الله شر هؤلاء العصابة، خرجت من الزنزانة الى الممر، فأتاني خالد[1] وهو أحد أفراد عصابة أبي جواد كما ذكرت سابقاً، فتشني فلم يعثر على شيء. كنت في لحظة التفتيش مطمئناً ولا يبدو عليّ أي شيء من الإرباك والحمد لله تمت عملية التفتيش بسلام، وعدنا الى الزنزانة بعد أن تم تفتيش الزنزانة أيضاً، ولم يعثروا على شيء ممنوع، دخلنا جميعاً وأغلق الباب فاقترب مني عبدالرحمن وقال: أين أخفيت تلك الأوراق؟ قلت له: ليس مهماً أن تعرف أين أخفيتها؟ لكن المهم لم يحصل ما كنت منه تخاف، وترتجف.

التدخين داخل الزنزانة

التدخين في الزنزانات يسبب مخاطر لنا جميعاً، الأولى إذا عرف أبو جواد أو غيره فإن جميع الموجودين في الزنزانة يُعاقبون، وثانياً التدخين في الزنزانات يسبب اختناقاً وخاصة للإخوة غير المدخنين وبالأخص للمصابين بمرض الربو.

تصلنا هذه السجائر عبر الأشخاص الذين يذهبون إلى محكمة الثورة، وتؤجل محاكمتهم، وفي هذه المحكمة يلتقون بأشخاص يتعاطفون معهم بسبب الوضع الذي نعيشه في مديرية الأمن العامة، كانوا يعطونهم أشياء يستطيعون إخفاءها تحت ملابسهم، وأنهم لا يتعرضون للتفتيش أثناء عودتهم الى الزنزانة، وكانت السجائر من ضمن هذه الأشياء التي يحصلون عليها.

ذهب شخصان من الزنزانة رقم (٢٢) التي كنت فيها، وهما من السليمانية (كرديان) أحدهما كان اسمه عبد الكريم ولا أتذكر الآخر، كانا طيبين يحترمان الجميع والجميع يحترمهما، في الساعة الثالثة بعد الظهر أعيدوا الى الزنزانة وبعد أن أدّينا صلاة المغرب والعشاء باشرنا بتناول وجبة العشاء، الأخوان اللذان عادا من المحكمة لم يُخبرا أحدا بأنهما جلبا معهما سجائر، وكانا في الوجبة الأولى للنوم فناما ضمن وجبتهما.

انتهى وقت نومهما فنهضا، كنا نحن جالسين بعد ان نهضوا من نومهم، نهضنا، وأخذنا محل الوجبة التي كانا واقفين، فوقفنا وهكذا تم تبادل الأماكن بكل هدوء حسب البرنامج المتفق عليه، جلس الأخوان الكرديان في الحمام وبعد مرور ساعة من وقت نوم الوجبة الثانية، أخرجا سجائرهما، وأشعلاها، وأخذا يوزعان السجائر على الجالسين معهما، وكانا قد جلبا معهما علبة سجائر (سومر، الأزرق الطويل) فلو أنهم لم يشعلوا عدد السجائر مرة واحدة لما حدث الذي حدث.

إنهم أشعلوا عدة سجائر، وأخذوا يسحبون الدخان بكل شغف، ثم ينفخون الدخان في جو الزنزانة، فتشكلت كتلة من الدخان في الزنزانة، المفرغة لا تستطيع سحب كمية الدخان بسرعة بحيث لا يبقى منه شيء في الزنزانة، وأن سحب المفرغة للدخان لا يتناسب مع كمية الدخان الذي انطلق من صدور المدخنين، أنا كنت أدخن قبل الاعتقال وهذه أول مرة

---

١ نُقِل هذا الشخص فيما بعد الى سجن إبو غريب وبعد إطلاق سراحي شاهدته في سيطرة التفتيش في جسر القرنة العام

أشم رائحة دخان السجائر شعرت برغبة للتدخين، كان الأخ (ع - ع) من محافظة البصرة قضاء ابو الخصيب موظفاً في البتروكيمياويات، وكان يشكو من مرض الربو، وكان هذا الأخ ذا أخلاق رفيعة متديناً ويتمتع بثقافة إسلامية عالية. اخترنا له مكاناً بجانب الباب كي يشم الهواء الذي يدخل من الفتحات الصغيرة حتى لا يتعرض الى حالة اختناق، وكنت واقفا الى جنبه، كان يشكو لي من الدخان الذي أخذ بالانتشار في الزنزانة، فقلت له: تكلم مع الإخوة؛ كي يطفئوا سجائرهم فهم يحترمونك، ويسمعون كلامك، فقال لهم: ايها الإخوة إن سجائركم تؤذينا جميعاً وخاصة أنا وأنتم تعرفون حالتي فأطفئوها أرجوكم، فلم يستجيبوا لكلامه ولم يقدروا الوضع الذي وصل إليه، فأبقوا سجائرهم مشتعلة، تزايد الدخان وازدادت حالة الاختناق عند هذا الأخ فقام يتنفس بصعوبة بالغة، الجالسون في الحمام لم يشعروا بما يحصل في داخل الزنزانة، صاح الأخ بصوت مرتفع: لقد اختنقت، لقد قتلتموني وبدون شعور أخذ يطرق على الباب، فنهض الجميع حتى النائمون وهم يتساءلون ماذا جرى؟ ماذا حصل؟ وشاهدوا الدخان في الزنزانة،
أطفئت السجائر جميعها، وطلبنا من الجميع الجلوس في وسط الزنزانة وعلى الجوانب وأخذنا نقوم بالتهوية فتحرك الدخان بعد أن شكل غيمة في جو الزنزانة وأخذ ينفذ من المفرغة شيئاً فشيئاً حتى زال جميعه.
استلقى الأخ (ع - ع) على الأرض ووضع رأسه قريباً من الفاصلة الموجودة بين الباب والأرض ويدخل منها هواء بارد وكأنه يندفع من مكيف هواء كما وصفناه سابقاً.
أخذ يُعيد نشاطه رويداً رويداً، جلس وتبرع أحد الإخوة من وجبة النوم له بوقته لينام مكانه فأبى أن يأخذ حق أحد، ثم نهض، وقال للإخوة ضمن وجبة النوم أكملوا نومكم فأنا بصحة جيدة فعاد كل شيء الى محله.
ولكن هل أن رجال الأمن سمعوا الصوت الذي صدر من الأخ وأصوات الطرق على الباب أم لا؟، فإذا كانوا جالسين فإنهم بالتأكيد سمعوا، وإذا كانوا نائمين وخاصة أن الوقت كان متأخراً من الليل فإن هذه الأصوات تجعلهم ينهضون من النوم مرعوبين، فيبقى السؤال المطروح: هل سمعوا أو لا؟ أخذنا نفكر بعواقب ما حدث واحتملنا أنهم لا يستطيعون أن يميزوا الصوت من أي زنزانة وسوف يأتون غداً في الصباح ويحققون في الأمر ومن المحتمل أن يعاقبوا الجميع.
بعد صلاة الصبح توجهنا بالدعاء الى الله ليخلصنا من شر هذه العصابات لأنهم سوف لن يرحمونا مهما قلنا لهم، بعد أن أنهينا الدعاء وبشكل جماعي اعتذر الإخوة (الذين كانوا يدخنون) من الأخ (ع - ع) وقَبِلَ اعتذارهم، ثم اعتذر هو عما بدر منه بسبب الوضع الذي كان فيه، فقال: كان من المحتمل أن أعرضكم للعقاب بسبب تصرفي في الليلة الماضية، فأرجو أن تسامحوني، في الصباح وبعد أن تناولنا الفطور سمعنا أبو جواد ينادي أسماء اعتقدنا أنهم جاؤوا؛ ليفتشوا عن مصدر الصوت الذي حدث في الليلة الماضية.
استمر أبو جواد يتنقل من زنزانة الى أخرى وهو ينادي بالأسماء حتى وصل الى الزنزانة رقم(٢٢) مصدر الصوت في الليلة الماضية وقف أبو جواد منحنياً لطول جسمه، ووضَعَ رأسه في فتحة الزنزانة، ثم نادى باسمي، وقال لي: اخرج، فتح الباب، وخرجت، وأمرني بالوقوف الى جانب الأشخاص الذين أُخرِجوا من بقية الزنزانة وبعد أن أكملوا جميع المطلوبين قيدونا كل اثنين معاً، وكان هؤلاء الأشخاص جميعهم من أهالي البصرة وهم أقربائي وأصدقائي. أمرونا بالسير والنظر الى الأرض وأن لا نرفع رؤوسنا إذ إنهم لو يضعوا قطعة قماش على عيوننا بعد أن نزلنا السلم توجهوا بنا الى الباب الرئيسي فوجدنا السيارة قد التصقت بالباب، فخرجنا من الباب ومباشرة وضعنا أقدامنا على سلم السيارة ودخلنا الى هذه السيارة.

السيارة هي نفس السيارة التي نقلتنا من مديرية أمن الكوت الى مديرية الأمن العامة. سارت بنا بحدود نصف ساعة تقريباً ولا أستطيع أن أحدّد الوقت بالضبط بعدها توقفتْ، أمرونا بالنزول، نزلنا أمام بناية كبيرة بعض الشيء ومحاطة بسياج وقد انتشر عدد من الجنود المسلحين في ساحة هذه البناية، شعرت بحرارة الشمس على الرغم من ان الجو كان بارداً وكان ذلك في نهاية الشهر الثاني من عام ١٩٨٢ وخصوصاً أني لم أرَ الشمس قرابة السنة. في باب هذه البناية سُلَّم صغير ينزل الى قاعة الانتظار وهي واسعة، هنا أجلسونا في زاوية من هذه القاعة، وفتحوا أيدينا.

هذه هي محكمة الثورة، قاعة كبيرة وأناس يتحدثون بعضهم مع بعض وينظرون إلينا باستغراب من هؤلاء؟، حمامات في إحدى زوايا القاعة، لا أحد يقترب منا ولا نقترب من أحد، مضى الوقت ونحن على هذا الحال، الموجودون في هذه القاعة ينهضون من أماكنهم ويذهبون الى الحمامات والمغاسل ونحن لا نتحرك، هكذا طُلِب منا. هؤلاء الناس جاؤوا الى هنا لوجود قضايا مدنية في هذه المحكمة وبعضهم متهمون بقضايا غير سياسية. جاءنا أحد الحراس وقال لنا: لماذا لا تذهبون للحمامات ولا تتحركون؟، وشعرنا أنه تعاطف معنا، فقلنا له: أمرونا أن لا نتحرك، قال: اذهبوا الى الحمامات مجموعة بعد أخرى، وهكذا نهضنا من مكاننا، وذهبنا الى الحمامات، بقية الناس أخذوا ينهضون من أماكنهم، ويتوجهون الى الحمامات كي يلتقوا معنا؛ حتى يعرفوا من نحن؟ وأين كنا، وماذا فعلنا حتى يفعلوا بنا هكذا؟.

وقف الى جانبي رجل متوسط العمر وسألني بالله عليك وقالها باللهجة العراقية البغدادية (شنوا انتو) من أنتم ماذا فعلتم حتى يعاملوكم بهذا الشكل؟. قلت له: إننا جميعاً من أهالي البصرة، ولم نعمل شيئاً سوى أننا كنا نصلي ونتردد على المساجد ولذلك اتهمونا بالانتماء الى حزب الدعوة، ثم شرحت له ما حصل لنا في أمن البصرة وعدد المعتقلين، ثم نقلت له ما حصل لنا في السيارة وفي أمن الكوت والأمن العامة. اندهش لما ذكرت له، وقال: إن الشباب الذين يختفون وبشكل يومي هم انتم، فقلت: نعم، أثناء حديثي معه ناولني سيجارة قلت له: إنني لم أدخن منذ فترة تقارب السنة وهي ممنوعة علينا وإنها تسبب لنا مشاكل داخل الزنزانة، وذكرت له ما حصل لنا في الليلة الماضية، وقلت له: من المحتمل الآن أن يعاقبوا الذين بقوا في الزنزانة بسبب ما صدر من صوت في وقت متأخر من الليل. انتهى حديثي معه وأردت أن أودعه أدخل يده في جيبه وأخرج محفظة فتحها وأخرج منها مجموعة دنانير من فئة عشرة دنانير وخمسة دنانير وناولني إياها، فقلت: ماذا أفعل بها ونحن لا نرى شمساً ولا يدخل لنا أي شيء حتى نشتري، ثم إنها من المحتمل أن تخلق لي مشكلة أثناء التفتيش فهي ممنوعة أيضا فهم قد أخذوا كل ما كان في جيوبنا ويعلمون أننا لا نملك شيئاً فإذا عثروا عليها فسوف يسألونني من أين جئت بها فماذا يكون جوابي، قال: تستطيع أن تخفيها في أي مكان، قلت له: إنهم لا يتركون مكاناً إلا وفتشوه ولكن إذا كان لا بد منها سوف آخذ منها قليلاً كي لا أجرح شعورك، فتناولت خمسة دنانير ووضعتها في جيبي وقلت له: أعِد البقية الى محفظتك وضعها في جيبك وأنا أشكرك كثيراً وطلبت منه أن يذكر ما حدّثته به في أي مكان يجلس فيه بما لا يسبب له ضرراً، قال: سوف أفعل، ثم أخرج علبة الدخان وقال: خذ هذه معك، فقلت له: لقد ذكرت لك ما حصل لنا في الليلة الماضية ولكن لا بأس بسيجارة واحدة أدخنها هنا، أشعلت السيجارة وسحبت منها أول نفس ثم الثاني شعرت بالنيكوتين يسري الى جميع جسمي مع الدم ثم لف رأسي الدوار فجلست وكدت أن أفرغ ما في معدتي ولكن لا يوجد شيء فيها وهي خاوية من الجوع، فأنا لم أتناول أي شيء منذ الصباح سوى رغيف الإفطار وقليل من الزبد وقد تلاقفتها معدتي الفارغة طوال الليل وهضمتها وانتهى كل شيء، الساعة الآن تقارب الواحدة بعد الظهر

استعدت توازني وأكملت السيجارة وأنا جالس ثم نهضت وودعت هذا الرجل الذي أبدى تعاطفاً كبيراً معنا طلب مني أن أبقى معه الى آخر الوقت كي أتحدث له بالتفاصيل، فقلت له: إننا لا نعلم في أي وقت ينادوننا الى المحكمة، فقال: الله يحفظكم وينصركم على أعدائكم وهكذا صافحني بحرارة وذهب الى مكان جلوسه وذهبت أنا الى المغاسل غسلت وجهي ويدي وقدمي وكنت حافياً وذلك للعجلة التي خرجت بها من الزنزانة وكانت أحذيتنا قد لفت بالملابس كي نضعها تحت رؤوسنا أثناء النوم وتستغرق وقتاً حتى نفتحها وإن أبا جواد واقف أمام الباب وهو يقول بين فترة وأخرى: هيا اخرج، بعدها عُدت الى مكاني وجلست، مضى من الوقت نصف ساعة جاءنا أحد الحراس وبيده الكلبجات وقيدنا كل اثنين معاً وقال: لقد تأجلت محكمتكم هيّا اخرجوا، خرجنا من قاعة الانتظار الى ساحة المحكمة كانت الشمس ساطعة وتبعث بضوئها وحرارتها التي تغلب عليها الهواء البارد بعض الشيء ولكننا شعرنا بالحرارة والدفء الذي ينبعث من الشمس وانتابتنا رغبة في البقاء تحت هذه الشمس ولو لفترة نصف ساعة، صعدنا الى تلك السيارة باتجاه السجن الذي جئنا منه، في الطريق توقعت أن الإخوة في الزنزانة(٢٢) قد تم تفريقهم على الزنزانات بعد أن عاقبوهم بسبب ما حصل في الليلة الماضية.
توقفت السيارة ونزلنا منها ودخلنا الى هذا السجن ثم اتجهنا نحو السلم المؤدي الى الطابق الثاني وأعادونا كلاً الى زنزانته، دخلت الى الزنزانة رقم(٢٢) فوجدت الجميع ولم ينتقل منهم أحد، فقلت لهم: ماذا حصل لكم؟ هل عرفوا مصدر الصوت؟ قالوا: كلا، إنهم لم يأتوا للبحث عن أسباب ما حدث، فقلت: الحمد لله. قالوا: وأنت ماذا حصل لك، قلت لهم: لقد تأجلت المحكمة، وأخذت أشرح لهم وضع المحكمة والأسلوب الذي يتعاملون به معنا، وذكرت لهم أنني دخنت سيجارة وقد حصلت على علبة سجائر ولم أجلبها معي بسبب ما حصل لنا في الليلة الماضية، فشكرني الأخ (ع - ع) على هذا، وقال: لقد وقانا الله شرهم في الليلة الماضية، وذكر الآية الكريمة (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)، ثم أردف بآية أخرى (فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين) فقلت له: الحمد لله.

المصير المجهول

في نهاية العام ١٩٨١ وتحديداً في الشهر (١٢) منه، وحتى بداية الشهر الثاني من العام الجديد ١٩٨٢ ومن هذا السجن (مديرية الأمن العامة) اختفت أعداد كبيرة من المعتقلين يتعذر علينا إحصاؤها وبشكل يومي ولا نعرف مصيرهم حتى هذه اللحظة.
الشهر الأخير من العام ١٩٨١ توقفت محكمة الثورة عن إصدار قرارات حكم بحق المتهمين بقضايا سياسية واستمرت بالتوقف مدة تقارب الشهرين، في هذه الفترة قام جهاز الأمن القمعي بأخذ وجبات وبشكل يومي الى جهة مجهولة لا يعلمها أحد سواهم.

كان هناك أشخاص لم نشاهدهم من قبل في هذا المكان، يأتون كل يوم وبعد الظهر ينادون بأسماء مجموعة من المعتقلين؛ ليتأكدوا من وجودهم، وليضعوا رقم الزنزانة مقابل أسماء المطلوبين، ثم يذهبوا، ويعودوا الساعة الثانية عشرة ليلاً، ويفتحوا أبواب الزنزانات، ويخرجوا مجموعة الى الممر، ويأمروهم بأن يقفوا ووجوههم الى الحائط، ثم يعصّبوا عيونهم، ويقيدوهم بالكلبجة الى الخلف كنا ننظر إليهم من الثقوب الصغيرة الموجودة في الباب، بعد الانتهاء من هذه الإجراءات يمسكونهم من أكتافهم ويذهبون بهم لأنهم أي هؤلاء المجموعة لا يستطيعون السير بمفردهم بسبب إحكام ربط قطعة القماش على عيونهم، استمرت هذه العملية والتي سميت بالوجبات استمرت مدة تقارب الشهرين.

الاعتقالات مستمرة وفي كل يوم يدخل معتقلون جدد الى هذا المكان، فعلى الرغم من استمرار الاعتقالات تناقصت الأعداد في الزنزانات بشكل كبير، الوجبات مستمرة والقلق يسيطر على الجميع وكل شخص يتوقع أنه سوف تشمله هذه الوجبات وأن المصير المجهول ينتظره، أعداد قليلة بقيت في الزنزانات أما زنزانة رقم ١٣، ١٤، ١٥ فقد أُفرِغت تماماً من المعتقلين، بعد أن انتهت الأسماء المطلوبة في هذا السجن استمروا بجلب معتقلين في الليل ويضعونهم في الزنزانة رقم ١٣، ١٤، ١٥ وفي الليلة الثانية يأخذونهم وكان أغلب هؤلاء هم من محافظة البصرة.
العملية مستمرة وبشكل يومي، أصابتنا الدهشة مما يحصل الى أين يذهبون بهذه الأعداد؟ وتصورنا أنها خطة للقضاء على شباب العراق حيث استمرار الاعتقالات وبهذا الشكل الجنوني وطاحونة الحرب تدور رحاها وتسحق الشباب العراقي.
أثير كلام كثير حول هذه الوجبات، البعض يقول: إنهم دُفِنوا أحياء في مقابر جماعية، والبعض الآخر توقع أن هذه المجموعات ذهبوا بها الى سجون أخرى تحت الأرض، وهذا الاحتمال أكثر واقعية ولكنه لا ينفي الاحتمال الأول، وتوجد في العراق سجون في مختلف المحافظات تحت الأرض وأكبر هذه السجون في محافظة الكوت، وكذلك توجد سجون تحت الأرض في محافظات البصرة، والرمادي، والموصل، وبغداد، وتكريت، والسماوة، والحلة، أما المقابر الجماعية فكانت أغلبها في صحراء الرمادي والسماوة وكربلاء والبصرة.
السجون توجد تحت الأبنية الرئيسية في المحافظات وخاصة في بغداد والبصرة، وما حصل في الانتفاضة ما هو إلا دليل على وجود هذه السجون. حيث يوجد تحت الأسواق المركزية في البصرة سجن، وكذلك تحت الأورزدي، وتحت كل الدوائر الحكومية وخاصة الدوائر الأمنية والأبنية الحكومية الكبيرة. وقد عثر أثناء الانتفاضة وتحت مرقد عون في كربلاء على سجن وقد أطلق سراح من كانوا في هذا السجن، وإن الحادثة الأكثر شيوعاً في العراق هو السجناء الذين أطلق سراحهم أثناء الانتفاضة وهم يسألون: هل احمد حسن البكر أزيل من الحكم؟ وإنهم يشبهون الإنسان القديم، حيث قالوا: نحن لا نرى أحداً لأنهم لا يدخلون لنا وأن المواد الغذائية تُلقى علينا من فتحات في الأعلى بين فترة وأخرى وفي بادئ الأمر كانوا لا يستطيعون أن يفتحوا عيونهم في ضوء الشمس، وإن هذه الحادثة انتشرت كثيراً في العراق على المستوى الشعبي، في أي مكان كان هؤلاء بحيث لا يعلمون أن أحمد حسن البكر قد أزيح من الحكم عام ١٩٧٩ من قبل صدام وإن الانتفاضة حدثت في عام ١٩٩١ في أعقاب حرب الخليج الثانية!

كل هذا لا ينفي وجود مقابر جماعية، والشواهد كثيرة على وجودها وانقل لكم حادثة واحدة.

شاهد عيان

التقيت بأحد الأشخاص في إحدى الدول المجاورة للعراق بعد إطلاق سراحي وهو سيد من أهالي الحلة، وقد اعتقل من قبل جهاز الأمن في كربلاء، يقول: بعد الانتهاء من التحقيق قيّدونا الى الخلف، ووضعوا قطعة قماش على عيوننا بحيث لا نرى شيئاً، وأركبونا في سيارات مكشوفة عرفنا هذا من شدة الهواء نتيجة سير السيارة بسرعة، المسافة التي قطعتها السيارة طويلة، خفت السرعة، وشعرنا بأن السيارة تسير على شارع ترابي من خلال المطبّات التي تمر بها السيارة، وأيضاً الغبار الذي أصبحنا نتنفسه، سارت السيارة على هذا الطريق لمسافة طويلة أيضاً بعدها توقفت، وأنزلونا من السيارة، وأوقفونا، وطلبوا

منا عدم الحركة، لحظات مرت ثم سمعت صوت إطلاق مسدس بعدها بلحظات سمعت الأخرى، وهكذا توالت الطلقات بين لحظة وأخرى حتى شعرت بأحدهم يقترب مني، وأطلق رصاصة على رأسي فسقطت على الأرض ولم أشعر بشيء بعدها، يستمر في الكلام فيقول: لا أعلم كم هي الفترة التي مضت حتى عاد لي الوعي، وشعرت أنني في مكان ضيق ومحصور فحاولت أن أحرك جسمي فلم أستطع، شعرت بالاختناق استجمعت قواي، وحرّكت قدمي، فتحركت، وشعرت بخفة الضغط، خرجت قدماي من تحت التراب ثم حركتها يميناً وشمالاً حتى خرج جسمي من تحت التراب، الكلبجة التي كنت مقيداً بها الى الخلف قد فُتِحت ويداي حرتان، ففتحت قطعة القماش من عيوني، ونظرت الى نفسي وجدت الدم قد اختلط مع التراب، ثم نظرت الى آثار اتجاه السيارات و(الشفل)، وقلت لنفسي: أسير عكس الاتجاه الذي سلكته السيارات، سرت مسافة بحيث ابتعدت عن هذا المكان، تعبت فجلست؛ لأستريح، وبعدها أتابع السير، شاهدت سيارة من مسافة بعيدة، نهضت، وأخذت، أبعث إليهم بالإشارة، فبعد دقائق، وأنا ألوّح لهم بيدي، اتجهوا نحوي مسرعين، جلست بعد أن اقتربوا مني توقفت السيارة أمامي نزل منها اثنان وبخفة سألوني من أنت؟ ومن الذي فعل بك هذا؟ وما هذه الدماء التي على وجهك وملابسك؟ كانت بأيديهم بنادق صيد، اطمأننت لهم، وفهمت من خلال سيارتهم وبنادقهم أنهم قد خرجوا للصيد، فقلت لهم: جلبني بعض الأشخاص الى هنا وأطلقوا على رأسي رصاصة، وتركوني هنا، وولّوا، وأنا من محافظة الحلة، حملوني الى السيارة، وانطلقوا، وأخذوني معهم الى بيت أحدهم، فأدخلوني الحمام، وأعطوني ملابس غير ملابسي، ثم قالوا لي: هيّا بنا الى المستشفى، فرفضت، وقلت لهم: إنها مشكلة عشائرية فيما بيننا، وإذا ذهبت الى المستشفى فسوف أتعرض للسؤال والجواب حول هذه الحادثة، وأنا لا أريد أن تصل الى هذا الأمر، وإننا سنحلها عشائرياً، فإذا أردتم أن تتفضلوا عليّ، فلا تفعلوا ذلك وسأردّ لكم هذا الجميل، فقالوا: لا نردك الى بيتك حتى تقضي عندنا هذه الليلة، فرفضت، وقلت لهم: إن أهلي سوف يقلقون علي، فقالوا: إذاً تناول وجبة من الطعام، فقلت: لا بأس بذلك، فجلبوا لنا الطعام، وتناولناه معاً وشربنا الشاي ثم قلت لهم: هيا بنا، فصعدنا في سيارتهم، وانطلقت بنا الى الحلة، وصلنا الى بيتنا طرقت الباب فتحت والدتي الباب وشاهدتني فتفاجأت فأشرت لها بعدم الكلام، وقلت لها افتحي غرفة الضيوف، ذهبت والدتي مُسرعة لفتح غرفة الضيوف، سمعوا الحديث الذي جرى بيني وبين والدتي، وبعد أن التفتّ إليهم وقلت لهم: هيّا تفضلوا، قالوا: كلا، نحن عائدون الى أهلنا ولقد أدّينا ما يجب أن نؤديه، فتوسلت بهم بأن يدخلوا، فرفضوا ذلك، وقالوا: يجب عليك أن ترتاح وتهتم بنفسك، فودّعوني، وشكرتهم على هذا العمل النبيل الذي قاموا به.

دخلت الى البيت، واختليت بوالدتي، وشرحت لها ما حصل لي، وطلبت منها أن لا يعلم أحد أني هنا حتى أقرباؤنا وجيراننا، وكذلك أخبرت زوجتي، وأيضاً قلت لها: أن لا يعلم بي أحد أيضاً، ذهبت والدتي الى الصيدلية، وجلبت لي بعض الأدوية التي ذكرتها لها، استخدمت هذه الأدوية خفت الآلام عندي، وأخذت والدتي تجلب لي الفواكه والمواد الغذائية الغنية بالفيتامينات؛ كي أعيد ما فقدته من دم، وكانت زوجتي تُعِد لي وجبات طعام شهية.

بعد فترة من التئام الجرح عاد نشاطي، وكلّفت والدتي بالبحث لي عن طريق للخروج من العراق، وفعلاً حصلتُ على ما أريد، فخرجت من العراق، وبعد مرور سنة لحقت بي والدتي وزوجتي وأطفالي.

وقد أجريت معه لقاءات صحفية وفي التلفزيون والراديو في تلك الدولة، وشرح ما حصل له عبر هذه اللقاءات.

أما عمله الآن فهو يُصدِّر الجوز الى الدول الخليجية، وقد عملت معه فترة قصيرة، وهذا هو أحد الأدلة والشواهد على ارتكاب صدام جريمة المقابر الجماعية.
هناك احتمال ثالث كثر الحديث عنه حول مصير الوجبات التي ذهبت من مديرية الأمن العامة وهو استخدام هؤلاء الذين ذهبوا في هذه الوجبات الى الحرب مع إيران لفتح ثغرات في حقول الألغام قبل الهجوم الذي تقوم به القوات العراقية، وفي هذه الطريقة يتخلص صدام من المعارضة، وفي نفس الوقت يستفيد منهم لتأمين الطريق لقواته أثناء الهجوم، والطريقة الأخرى التي استخدمها صدام للتخلص من هؤلاء هي الإنزال الجوي على القوات الإيرانية؛ كي يحقق أهدافه في الهجومات التي تقوم بها قواته على القوات الإيرانية بالقضاء على هؤلاء، وهكذا تحصل المباغتة من قبل القوات العراقية، وتقوم بإنزال في مكان آخر من الجبهة. وهكذا حقق صدام أهدافه للتخلص من هذه الأعداد الكبيرة من المعتقلين وخدع الجيش الإيراني، وحقق المباغتة. ومن هؤلاء الذين قُتِلوا بهذه الطريقة "صبيح حسين يوسف" فقد سُلِّمت لعائلته ورقة من قبل جهاز الأمن في قضاء القرنة، تبيِّنُ بأنه استشهد في الجبهة وصُرفت له حقوق شهيد، وكان صبيح قد اعتقل في عام ١٩٨٠، وبعد أربع سنوات استلمت زوجته هذه الورقة، إن صدام يبتكر الطرق للتخلص من الشعب العراقي، وهو عكس الحكام في العالم الذين يسخّرون كل شيء في بلدانهم لترفيه شعوبهم وتطوير بلدانهم، إن صدام لا يفكر إلا بشخصه وكرسيه وعائلته فقط.

تفريق المعتقلين

توقفت الوجبات بعد استمرار دام ما يقارب الشهرين، وعادت الحياة في الزنزانات الى ما كانت عليه قبل فترة الوجبات، فالأعداد وبسبب استمرار حملات الاعتقال عادت أيضاً الى ما كانت عليه، محكمة الثورة أخذت تعمل بإصدار الأحكام التعسفية والجائرة بحق المعتقلين.
إن أحكام هذه المحكمة التي تصدر يومياً هي ٩٠% إعدام وبشكل جماعي، وينفذ بهم الحكم في سجن (أبو غريب) الكبير الذي يوجد فيه قسم خاص بالإعدام.
أبو جواد لا يشعر بالارتياح إذا شاهد المعتقلين في الزنزانة منسجمين ولا تثار بينهم مشاكل، وهو الطابع السائد في هذه الزنزانات حيث روح التسامح والإيثار والتعاون تعمّ الزنزانات، وهذا لا يروق لأبي جواد فهو يريد المشاكل وعدم الانسجام والتفاهم بين المعتقلين؛ حتى يأتي ويقف في باب الزنزانة؛ ويهرج ولمدة طويلة، فيعمد أبو جواد على تفريق الزنزانة التي يرى المعتقلين فيها منسجمين، فيفتح الباب، ويأمر المعتقلين بالخروج الى الممر، ويمارس معهم هو والعصابة التي اختارها التعذيب الجسدي، ثم يوزعهم على باقي الزنزانات، ثم يقومون بجمع المعتقلين من الزنزانات ويضعونهم في الزنزانة التي فرّقوا الموجودين فيها، وهؤلاء يحتاجون الى وقت طويل لترتيب أوضاعهم، فتحدث بينهم مشاكل، ويقوم أبو جواد بدسّ أحد المنافقين بين هؤلاء، فينقل له كل ما يحدث في الزنزانة.
كنت في الزنزانة ٢٤ ومعي ابن عمتي وأربعة من أبناء منطقتي، وأغلب الموجودين من البصرة، ومعنا بعض المعتقلين من بغداد والنجف، كنا في منتهى التفاهم والانسجام... نحفظ القرآن والأدعية ونقيم المحاضرات الإسلامية وصلاة الجماعة على الرغم من الازدحام ونصلي ثلاث وجبات، وإذا قامت إحدى الوجبات لتأدية الصلاة استعدت مجموعة للتهوية فلا تحدث لنا أية مشكلة، وتغلّبنا على الازدحام وحرارة الجو وفقدان عوائلنا بالانسجام والتفاهم.

في هذه الفترة وبالتحديد في ١٩٨٢/٤/١٥ نادونا للذهاب الى المحكمة، واتخذوا معنا نفس الإجراءات السابقة، وصلنا الى المحكمة، وكانت الإجراءات مشددة بحيث لا نستطيع اللقاء مع أحد، انتظرنا لفترة طويلة صعدت مجموعة كبيرة من التركمان من محافظة كركوك وكان من ضمن هؤلاء بطل العراق برمي القرص، صدر بحقهم قرار من محكمة الثورة بالإعدام جميعهم.
في الساعة الثانية بعد الظهر أعادونا بعد أن قالوا لنا: إن محكمتكم تأجلت الى الأمن العامة، ومن ثم الى الزنزانة رقم ٢٤.
إن ابا جواد لا يروق له الوضع الذي نعيشه، فأخذ يبحث عن سبب ليفرقنا على باقي الزنزانات، كان أحد الإخوة من أهالي القرنة (ع ـ م) يكثر في الطرائف؛ ليلطف الجو، ويرسم البسمة على وجوه المعتقلين، أثناء ذكره لإحدى طرائفه ضحكنا بصوت عالٍ، وكان أبو جواد داخل الممر فسمع الصوت فأتى مهرولاً الى الزنزانة رقم ٢٤ وفي لحظة وصوله توقفنا عن الضحك، فقال: هيا تهيأوا، فنادى العصابة واصف وقيس وخالد وآخرين، ثم فتح الباب، وأمرونا بالخروج من الزنزانة الى الممر، والوقوف ووجوهنا الى الحائط، كان أبو جواد يضرب كل واحد منا ضربة واحدة لا غير وهذه الضربة تعادل عشر ضربات من ضربات بقية العصابة فهو يمسك بيده الهراوة (الصوندة) ويرفع يده الى أقصى شيء، ثم يقوم بإنزال الهراوة على ظهورنا، وبكل ما يملك من قوة وهكذا حتى آخر واحد منا، ثم يأتي دور خالد مباشرة فيضع يده على مؤخرة الرأس، ويدفعه باتجاه الحائط، فكنت غير منتبه الى ما يفعل هذا الجلاد، فلما جاء دوري وضع يده على مؤخرة رأسي، ودفعه الى الحائط، ضرب أنفي وفمي بالحائط، فسال الدم من أنفي وأسناني، بعدها جاء دور واصف فهو يتلذذ عندما يرى الضحية تتألم تحت يديه، فكان دوره بإشعال السيجار ثم يطفئها في رقابنا من الخلف، ثم يأتي آخر بالهراوة، يقوم بضربنا على سيقاننا، وهكذا ينتهي ما كان يريده أبو جواد.
أخذ يوزعنا كل ثلاثة الى زنزانة، ثم قام بجمع آخرين، فوضعهم في الزنزانة رقم ٢٤... الزنزانة رقم ١٨ هي الزنزانة التي أدخلوني فيها، وهي آخر زنزانة أدخلها في مديرية الأمن العامة، فبعد أيام قليلة من دخولي لهذه الزنزانة توفي فيها رجل كبير في السن وهو (سيد عباس) من محافظة البصرة منطقة كرمة علي، وسبب وفاته مرضه الذي استمر لفترة طويلة ولم يعالجوه.

محكمة الثورة

يوم ١٩٨٢/٦/٣٠ وفي ساعات الصباح الأولى نادوا بأسمائنا، وقالوا لنا: اليوم ستذهبون الى المحكمة، فخرجنا من الزنزانات، واتُخِذت نفس الإجراءات في المرة الأولى والثانية، فهذه المرة الثالثة التي نذهب فيها الى المحكمة. ولما وصلنا الى المحكمة وفي نفس الزاوية المخصصة للسياسيين جلسنا، كان جماعة أخرى من المتهمين سياسياً محجوزين في سجن تكريت وعددهم كبير، في هذه المحكمة بابان أحدهما لدخول المتهمين وأيضاً لخروج الذين تصدر بحقهم أحكام بالسجن، أما الباب الآخر فيخرج منه كل من يُحكَم عليه بالإعدام.
بعد مرور ساعة من وصولنا الى المحكمة صعدت المجموعة الى المحكمة وحُكِموا جميعاً بالإعدام.
جاءنا أحد حراس المحكمة وقال لنا: هيا انهضوا الى المحكمة، وأدخلنا من باب الدخول الى قاعة المحكمة، كانت مجموعتنا كبيرة وهي ٧٥ شخصاً قُسِّمت الى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى مصيرها مجهول ولحد هذه اللحظة، المجموعة الثانية صدر بحقهم الحكم

بالإعدام قبل هذا التاريخ وبالتحديد في الشهر الأول من عام ١٩٨٢، وكان من ضمن هذه المجموعة ابن عمتي عبد العباس جعفر مروح، وسأذكر قائمة بأسماء المعدومين من مجموعتنا الكبيرة، وقفنا داخل قفص الاتهام أمام مسلم هادي الجبوري رئيس محكمة الثورة الصورية، هذه المحكمة صورية بمعنى الكلمة، في الوسط رئيس المحكمة وعلى جانبيه مساعداه وعلى الجهة اليمنى واليسرى أشخاص يرتدون (الزي العسكري) وفوق أكتافهم رتبهم العسكرية وهي رتب عالية، وفي أحد الجوانب من المحكمة يجلس المدعي العام ويقابله من الجهة الأخرى مكان توجد فيها منصة ولا يوجد أحد خلفها، قلت لنفسي: إذاً هذا هو مسلم الجبوري رئيس محكمة الثورة ولطالما سمعنا باسمه من دون أن نراه، فانتشر بعض الأشخاص في قاعة المحكمة، يرتدون زي الانضباط العسكري، ونحن واقفون في قفص الاتهام هذا القفص الذي أُخرِجت منه مجاميع الأبطال الى مشانق صدام، ومنه ذهبت خيرة شباب العراق الى مجازر صدام، ومن هذا المكان ذهب شباب العراق المؤمن المتدين الى الموت نتيجة أحقاد صدام وحزبه عليهم، وفي هذا المكان أيضاً أُهينَ النظام وعلى رأسهم صدام سواء بالكلام أم بالبصق على رئيس المحكمة الذي يمثل النظام، ومن هذا القفص قُذِف رئيس هذه المحكمة بالأحذية من قبل أبطال العراق الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل العراق، من أجل أن يعيش العراق حراً أبيّاً دون صدام ودون الظلم والاضطهاد، ومن أجل الإسلام والحرية، فمن هؤلاء الأبطال الذين قذفوا مسلم هادي الجبوري بأحذيتهم الشهيد البطل رياض كاظم أبو الهيل وهو من محافظة البصرة قضاء القرنة، قام مسلم الجبوري بإصدار حكم الإعدام بحقه فما كان من هذا الشهيد إلا أن يخلع حذاءه العسكري ويقذف به رئيس المحكمة فسقط الحذاء أمام رئيس هذه المحكمة، فأخفى رأسه وراء الطاولة، فتدحرج الحذاء واستقر على ظهر رئيس المحكمة، هذه الأحذية تُقذَف بها رموز النظام؛ لتهينهم وهم في عُقر دارهم، أما رئيس هذا النظام فستطلق عليه رصاصة الغضب واللعنة؛ لأنه لا يخضع للمنطق، ولا يوجد في منهجه شيء يسمى حوار أو حرية أو ديمقراطية والاعتراف بالآخرين، أما هذه المواقف البطولية فستذكر في التاريخ ومصيرها الخلود، وما قام به الشهيد كاظم أبو الهيل يفتخر به كل المعتقلين والسجناء العراقيين وخاصة أهالي البصرة وبالأخص أهالي القرنة، وإن هذه الحادثة يتداولها السجناء فيما بينهم إذا ما ذُكِرت محكمة الثورة.

بعد أن دخلنا جميعاً في قفص الاتهام قال رئيس المحكمة: هل لديكم محام، فابتسمنا، إنه سؤال يُثير السخرية حقاً!.

فمن أين نأتي بالمحامي ونحن لا نلتقي مع أحد سواء من عوائلنا أم من غير عوائلنا بحدود السنة والشهرين؟، وهل يحق لنا أن نعترض على ما وُجِّه لنا من اتهام باطل؟ وهل نستطيع أن نتحدث مع الآخرين حول قضيتنا وكيف؟ وهل أن مسلم هادي الجبوري لا يعلم بوضعنا؟ وأين كنا وكيف يتعاملون معنا؟ وإننا لم نرَ الشمس طوال هذه المدة، فإذا كان لا يعلم فمن حقه أن يقول لنا: هل لديكم محامٍ وهذا لا يعقل! وإذا كان يعلم فلماذا يسألنا؟!، إذن هي محكمة صورية ويجب أن يتم ما أُريدَ منها، قال رئيس المحكمة: إذا لم يكن لكم محامٍ فالدولة أوكلت لكم محامياً ونادى لشخص كان جالساً على الجانب فنهض من مكانه، وتوجه الى المنصة، ثم وقف خلفها، طلب رئيس المحكمة من المدعي العام أن يذكر ما لديه، تكلم هذا المدعي فوجّه لنا اتهامات لا صحة لها ولم نعترف بها فقال: إن هؤلاء هم أعضاء في حزب الدعوة العميل وقد عُثِر بحوزتهم أسلحة، وأضاف: وكانت لهم علاقات تربطهم بالمجرم - والكلام للمدعي العام - عبد الأمير المنصوري وهو أحد قياديي حزب الدعوة في البصرة.

انتهى كلام المدعي العام بعد أن أضاف بعض الكلام حول خيانة الوطن وغيرها من موضوعات إنشائية، طلب مسلم الجبوري من المحامي أن يدافع عنا إن كان لديه دفاع، فتحدث المحامي فقال نصاً: (أطالب بإنزال أقصى العقوبات بحق هؤلاء المجرمين ووفق المادة ١٥٦ من قانون العقوبات) انتهى كلام المحامي. وهذه المادة تنص على الحكم بالإعدام، فهل ذكر لنا التاريخ مثل تصرف هذا المحامي بحق موكله؟ هذا أولاً، وهل ذكر لنا التاريخ أن دولة تسمع لهؤلاء المحامين الذين لا يمارسون مهنتهم بشرف إلا دولة صدام ثانياً. فأي محكمة تصدر منها هذه الأحكام الجائرة وبأي صفة شرعية تعمل هذه المحكمة؟!.

بعد نهاية كلام المحامي جاء دور رئيس المحكمة ليعبّر عن حقده الأسود على العراق، فقال وفي أول كلامه: أهالي القرنة أيها الكلاب تريدون أن تأتوا بالإيرانيين على أعراضكم، وكان أغلبنا من القرنة، إذ كان معنا بعض الإخوة من البصرة المركز واثنان من منطقة الفاو ولم ألتق معهم من قبل لذلك لا أعرف أسماءهم.

بدأ مسلم الجبوري يصدر قرارات حكمه دون أن يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا فقال: المجرم (غ - ع - م) (هـ - ك - ج) (م - ع - ع) صادق جعفر مروح (ح - ن - ع) (جميل وهو أنا) (هـ - م - ث) حكمت عليهم المحكمة بالسجن المؤبد، ثم قال: وحكمت المحكمة على كل من (أ - م - ف) و(ب - ع - ع) بالسجن لمدة (١٥) سنة لصغر سنهم، ثم قال: وحكمت المحكمة بالإفراج عن كل من (هـ) و(ح) وهؤلاء من منطقة الفاو، ولا أعرف أسماءهم الثلاثية؛ لأني لم أتعرّف عليهم في وقتها، أما الباقون فحكمهم بالإعدام وسوف نذكرهم في قائمة خاصة بأسماء المعدومين من مجموعتنا الكبيرة.

انتهت المحكمة، وأخذوا الذين صدر بحقهم حكم الإعدام، وأخرجوهم من الباب المخصص لهم، ثم أخرجونا من الباب الذي يؤدي الى قاعة الانتظار، خرجنا ونحن نضحك على ما شاهدنا، وسمعنا، كان الجميع في القاعة جالسين كل في مكانه وفي لحظة خروجنا من قاعة المحكمة ونحن نضحك، ونهض الجميع، وتوجهوا نحونا وقالوا: إن شاء الله إفراج، فقلنا لهم، لا، حُكِم علينا بالسجن المؤبد، فخاب أمل الجميع، وقالوا: لماذا تضحكون وأين البقية؟ فقلنا لهم: لقد حُكِم عليهم بالإعدام، فسكت الجميع. ثم جاء الحراس الذين أتوا معنا، وطلبوا منا الخروج من القاعة والركوب بالسيارة التي تنتظرنا في الخارج، وهكذا انتهت فترة ما يقارب السنة والشهرين من العذاب النفسي والجسدي في مديرية الأمن العامة وأمن الكوت والبصرة وفوق كل هذا يصدر بحقنا هذا الحكم الجائر وعلى شيء لم نفعله وراح الكثير من الإخوة والأصدقاء ضحية دون سبب. والأكثر من هذا سنُمضي بقية حياتنا بالسجن المؤبد، ولا نعلم الى متى يستمر صدام في الحكم؟ وكم سنة تستمر الحرب؟ وماذا سوف يحصل في نهاية هذه الحرب؟.

سجن (أبو غريب)

غرب مدينة بغداد يقع سجن (أبو غريب) الكبير وهو على طريق بغداد – الرمادي، يحيط بهذا السجن سياج كبير يصل ارتفاعه الى خمسة أمتار، في هذا السجن عدة أقسام، وكل قسم يحيطه سياج بنفس الارتفاع، وهذه الأقسام هي:

قسم الأحكام الثقيلة، قسم الأحكام الخفيفة، قسم الإعدامات، قسم الأجانب، قسم الإفراج الشرطي، وأخيراً قسم الخاصة (قسم الأحكام السياسية)، المسافة التي تفصل بين قسم وآخر بعيدة وتتطلب وجود سيارة للتنقل بين هذه الأقسام.

أما أبراج المراقبة فمنتشرة على السياج الخارجي، وعلى سياج كل قسم، فسياج قسم الأحكام الخاصة توجد فيه أربعة أبراج مراقبة.

قسم الأحكام الخاصة يُقسَّم الى ثلاثة أقسام، وهي: الأقسام المفتوحة، والأقسام المغلقة، وقسم المخابرات، إضافة الى هذه الأقسام توجد مدرسة ومسرح، ومستوصف. فالمدرسة لم يستفِد منها أي سجين، أما المسرح فتقام فيه الاحتفالات الخاصة بمناسبات حزب البعث الحاكم في العراق من قبل السجناء في الأقسام المفتوحة، أما المستوصف فكان معظم السنين التي عشتها في السجن مغلقاً، وقدم خدمة بسيطة خلال فترة وجيزة وسنذكرها، كذلك توجد مكتبة في قسم الأحكام الخاصة وهذه المكتبة قد تراكم الغبار على ما تحتوي من كتب ورفوف ولا تفتح أبوابها لنا إلا في فترة قصيرة، وبعد سنين طويلة حيث قمنا بتنظيف هذه المكتبة وترتيب ما فيها من كتب على الجهة الشرقية من هذا القسم يقع مطبخ السجن الذي يتم به طهي الطعام للسجناء، في جنوب هذا القسم توجد ساحة كبيرة، شملت ساحة لكرة القدم وأخرى لكرة السلة والطائرة وكانت محرمة علينا لمدة تسع سنوات تقريباً. في الشمال تقع دائرة السجن وقسم تقسم الى قسمين: دائرة خاصة بالأمن ومهمتها الإشراف على الأقسام المغلقة بصورة مباشرة ولا أحد يتدخل في شؤون هذه الأقسام إلا جهاز الأمن، والأخرى تابعة لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتسمى الشؤون ومهمتها الإشراف على السجن من حراسة وإجراء التعداد وأمور أخرى إدارية ولا علاقة لها بالأقسام المغلقة لا من بعيد ولا من قريب، أما الجهة الغربية من هذا القسم فتقع الأقسام المغلقة وبين كل قسم وآخر توجد ساحة صغيرة وتربط هذه الساحات الصغيرة ساحة أكبر وحجمها لا يكون إلا ربع تلك الساحة الكبيرة الخاصة بالأقسام المفتوحة.

هذه صور عن سجن (أبو غريب) قسم الأحكام الخاصة لكنها غير دقيقة ١٠٠% لأن بعض النقاط في هذا القسم لم نستطع الوصول إليها وخاصة الأقسام المغلقة لأنني أمضيت أكثر من ٨ سنوات لم أخرج إلى الشمس إلا في حالات نادرة ومتباعدة وسوف يتوضح ذلك.

وجدنا في السيارة التي انطلقت بنا من المحكمة الى جهة مجهولة بالنسبة لنا بعض الإخوة الذين حُكِم عليهم بالإعدام ومنهم كريم مهدي أبو الهيل، وسعيد يوسف ضاحي، ونايف عبد علي هادي، وخير الله ماضي وآخرين سنذكرهم في النهاية، أخذنا نعانق بعضنا البعض، والدموع تنهال من عيوننا كيف لا وإنهم إخوة أعزاء ولطالما جلسنا وأكلنا ودرسنا معاً، إنهم أبناء منطقة وأصدقاء الطفولة وهذه هي آخر لحظات نراهم بها ونجلس معهم ونتحدث إليهم.

نهض كريم مهدي أبو الهيل من مكانه وقال: أنا لم أكن أتوقع منكم ما أشاهده، واستمر بالكلام، نحن قدمنا ما علينا ولسنا على خطأ، نحن سرنا على ما جاء به رسول الله الذي من أجله ضحى الإمام الحسين (عليه السلام)، والذي رفض الظلم والطغيان فهل تشكون في ذلك. إذاً نحن ذاهبون للقاء الإمام الحسين (ع)، إننا ذاهبون للشهادة ولطالما انتظرناها، وأنا لا أحب أن أراكم في هذه اللحظات على هذا الحال أريدكم أن تضحكون وإن تباركوا لنا على ما سنناله عند ربنا من كرامة، هيا اضحكوا وذكر لنا طرفة حدثت لنا ونحن نلعب كرة القدم فضحكنا جميعاً، عاهدونا بأن يشفعوا لنا يوم القيامة وحسب الحديث، فإن من كرامة الشهيد أنه يشفع لأربعين مؤمناً يوم القيامة، أوصونا بوصاياهم، فالأخ سعيد يوسف ضاحي أوصاني ببعض أموره كي أوصلها الى أهله إذا أطلق سراحي.

السيارة تسير ولا نعلم الى أين، تعانقنا مع الإخوة المحكوم عليهم بالإعدام مرة ثانية، وهم يضحكون وخاصة كريم وسعيد، إنهم أعزاء وإنهم من خُلّص المؤمنين الذين ضحّوا بأنفسهم من أجل الدين الإسلامي، صحيح إننا لم ننتم ◌ الى أي حزب إسلامي سواء كان حزب الدعوة أم غيره من الأحزاب ولكننا نقوم بأعمال توعية للشباب وتثقيفهم ثقافة إسلامية وإطلاعهم على أمور دينهم، وكنا نوزع الكتيبات التي تحثهم على الصلاة وأمور أخرى وقد التف حولنا الكثير من الشباب، وإن أهالي المنطقة يحترموننا ويودوننا،

ويفسحون لنا المجال في الجلوس معهم، والحديث في جلساتهم، حيث كنا ننشر الأخلاق الإسلامية، كل هذا تسبب بدخولنا الى هذا المكان والحمد لله.
توقفت السيارة، وبعد أن فتح الباب، أمروا الإخوة المحكومين بالإعدام بالنزول، فودّعونا، ونزلوا، وعيوننا تتابع خطواتهم، أغلق الباب فمنع عيوننا من متابعة إخواننا ولو بالنظر إليهم، سارت السيارة وكنا نحن عشرة أشخاص تسعة من أهالي القرنة واضيف لنا الأخ (ك ـ ح ـ ع) من أهالي العمارة. كان الصمت سيد الموقف، إنهم تركوا أثراً كبيراً في نفوسنا، لقد فقدناهم في هذه الدنيا، وستبقى أرواحهم تطوف على رؤوسنا تذكرنا بهم بين حين وآخر، رحمهم الله وحشرهم مع النبي محمد (ص) وآله الطاهرين، اللهم اجمعنا معهم في جناتك يا أرحم الراحمين.
نزلنا من السيارة التي توقفت أمام أحد الأبواب الجانبية، ثم سرنا عبر ممر ضيّق بعض الشيء، ثم خرجنا من هذا الممر الى ممر كبير عريض وطويل، سرنا في هذا الممر قليلاً، ثم ممر قصير وضيق أيضاً وعلى الجهة اليمنى فتح باب، وأمرونا بالدخول، فدخلنا، وأغلق الباب خلفنا، قاعة كبيرة وقد صفت على الجانبين مقاعد دراسية لا نعرف ماذا نفعل، إنهم تركونا وذهبوا، كنا حذرين جداً في حركتنا، انتابتنا فكرة بأن هذا المكان هو مؤقت وسوف يعودون ويأخذوننا الى مكان آخر فيجب علينا الجلوس وأن لا تبدر منا أية حركة ومن المحتمل أنهم يراقبوننا من مكان آخر وإن لهذه القاعة شبابيك كثيرة وكبيرة، كنا جميعاً صياماً فهو شهر رمضان، مضى الوقت ولم يأتِنا أحد، نهضنا من المقاعد الدراسية، وجلسنا في الأرض، حيث المكان واسع وكل واحد يستطيع أن يأخذ المكان والمساحة التي تمكنه من الحركة والنوم ولا يضايقه أحد ولا يقال له لا تؤذِ الآخرين بحركتك، بعضنا أخذ يمشي في القاعة ذهاباً وإياباً.
ننظر من الشباك الى السماء وكأننا لم نر السماء من قبل، فمدة أكثر من سنة حُرِمنا من كل شيء، الشمس على وشك الغروب إنه منظر غريب علينا على الرغم من حرارة الصيف وطول النهار، فإننا نسينا أننا صائمون فإن كل شيء نراه فهو غريب، شاهدنا قطة تقفز فوق تلة الخشب، فأخذنا ننظر إليها بتعجب، وننتقل من شباك الى آخر لمتابعتها، ومن يرصد حركتنا فيقول ماذا حلّ بهؤلاء إنها قطة وما أكثر القطط السائبة، وإن حركتنا تثير الدهشة والضحك لمن يشاهدنا.
جنّ الليل دون أن يأتينا أحد، أدّينا الصلاة بعد أن ذهبنا الى الحمام الموجود في مقدمة هذه القاعة، عُدنا الى الشباك ننظر الى السماء حيث تزيّنت بالنجوم وهي تتلألأ والقمر يبعث بنوره، آه ما أجمله من منظر حيث كنا نخرج في الليل، ونجلس تحت ضوء هذا القمر، وعادت بنا الذاكرة الى الوراء وظل كل واحد منا يسرح في خياله، ونادى (أ ـ م ـ ف) أيها الإخوة عثرت على سكر، تعالوا الى هنا وكان يحمل بيده كيساً كبيراً وفيه كمية من السكر، نحن لم نتناول أي شيء سوى الماء، فقال سأعمل لكم عصيراً، فأخذ إناء وسط (قزان)[1] ووضع فيه كمية من السكر، ثم أضاف عليه الماء، وأخذ يحركه حتى ذاب السكر وتذوقه ثم أضاف عليه قليلاً من السكر حتى أصبح بطعم معقول، وقال هيا اشربوا، فبدأ أكبرنا بالشرب وهو (غ ـ ع ـ م) حتى أصغرنا وهو (أ ـ م ـ ف) وكأننا شربنا عصير البرتقال، بعد دقائق فتح الباب رجل كبير في السن فشاهدنا وهمَّ بإغلاق الباب فصِحنا عليه يا حاج يا حاج انتظر، فوقف في الباب وقال: ماذا تريدون؟، فاقتربنا منه وقلنا له: يا حاج جاؤوا بنا اليوم ونحن صائمون ولحد الآن لم نأكل شيئاً، فقال: ولماذا لم تقولوا؟، فقلنا لمن نقول؟ لا أحد يصل إلينا حتى نتكلم معه، فقال: اطرقوا الباب، ثم قال: إن (التعيين) قد تم توزيعه

١ قدر طعام وسط وهذه التسمية (القزان) تطلق على قدر الطعام المصنوعة من الألمنيوم غير الخفيف

(المواد الغذائية) ولكن انتظروني سأذهب وأعود لكم، فقلنا له: إذا أمكن نريد علبة سجائر، وسوف نعطيك ثمنها، فأخرج علبة السجائر من جيبه، وناولها لنا، ثم أغلق الباب، وذهب. بعد مرور نصف ساعة من الوقت عاد لنا وهو يحمل كيساً مُعبّأ بالصمون وقال: لم أجد شيئاً سوى هذا الكيس من الصمون وسوف أعود لكم وقت السحور، وأجلب لكم الطعام، ناولته الخمس دنانير التي كانت معي، وقلت له خذ ثمن علبة السجائر، فرفض، ثم أغلق الباب، وذهب. قال (أ - م - ف) سأعمل لكم عصيراً كي نأكل معه الصمون، وهكذا أكلنا الصمون مع العصير المصنوع من الماء والسكر ونِمنا على الأرض دون أن نجد شيئاً نضعه تحت أجسامنا، نهضنا على أثر طرقات على الباب، ثم فتح هذا الرجل الباب، وأدخل لنا إبريقاً من الشاي وقدراً من الحساء (الشوربة) وكيساً من الصمون، قلنا له يا حاج: الى متى نبقى هنا، قال: غداً ينقلونكم الى القافات، ثم ذهب.
قال (هـ - ك - ج): فلنتناول الطعام حتى نشرب الشاي قبل أن يبرد، فأكلنا الصمون مع الحساء، ثم شربنا الشاي وهو ساخن وهي أول مرة بعد هذه المدة نشرب الشاي وبهذا الشكل، على الرغم من أن الشاي كان رديئاً ولكن ما أطيبه بالنسبة لنا.

ق ١*

يتكون هذا القسم من ٢٠ غرفة مساحة الغرفة الواحدة ٥ X ٥م٢ ومن ضمن هذه المساحة يكون الحمام في إحدى زوايا الغرفة، في الطابق الأول يوجد ١٠ غرف وكذلك في الطابق الثاني، في الجهة اليمنى هناك ٥ غرف والجهة اليسرى ٥ غرف لكل طابق في بداية القسم وعلى الجانب الأيمن يوجد سلم يؤدي الى الطابق الثاني بعده غرفة صغيرة استخدموها الخدمات فيما بعد للطبخ ثم تأتي غرفة رقم (١، ٢، ٣، ٤، ٥) ثم باب يؤدي الى ممر صغير وضيق ثم باب آخر يؤدي الى الساحة، أما الجانب الأيسر أولا غرف الخدمات الصغيرة مع حمام ثم تأتي غرفة (١٠، ٩، ٨، ٧، ٦).
أما الطابق الثاني فهو نفس الطابق الأول، فالغرفة رقم ١١ فوق الغرفة رقم ١ وهكذا، يوجد محجر صغير في هذا الطابق ومساحته متر مربع، يوجد ممر يفصل بين غرفة الجانب الأيمن والجانب الأيسر مساحة عرضها ٥ أمتار وطولها ٣٠ متراً تقريباً، القسم لا يوجد سقف في وسطه بحيث من يكون في الغرفة رقم ٨ كمثال يشاهد الغرف (١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥) في الطابق الثاني. ق١ هو مختصر لكلمتي القسم الأول وهو أحد الأقسام المغلقة والأقسام المغلقة هي (ق١ وق٢) ثم أضيفت أقسام أخرى بعد مرور سنوات.
الرجل الذي قال لنا غداً سينقلونكم الى القافات قالها وذهب ولم نفهم منه ما معنى القافات وأين تكون، وفي أي وقت من نهار غد سوف ينقلوننا، بعد صلاة الصبح من يوم ١٩٨٢/٧/١ لم نستطع أن نعود الى النوم بسبب القلق الذي سيطر على تفكيرنا وذلك المصير المجهول، الوقت يمر ثقيلاً رغم إننا مرة نقف أمام الشباك وننظر الى ما خلف هذا الشباك ومرة نتجول في القاعة طولاً وعرضاً ومرة نجلس ونتحدث عن ما حدث وذكرنا قول الأخ (ر - ن - ع) حيث قال في تجمع لنا قبل اعتقالنا سوف لن يبقى منا أحد بعد هذه السنة وكانت سنة ١٩٨٠ وفعلا تحققت مقولته فلم يبق منا أحد إلا صاحب القول، حيث اعتقلنا جميعاً ومن بين المعتقلين أخوته الثلاثة حيث أعدم أحدهم، مضى الوقت حتى حل وقت صلاة الظهر مرت ساعة تقريباً بعد الصلاة فتح الباب ودخل عدد من الأشخاص وكل واحد منهم يمسك بيده هراوة وأمرنا أحدهم أن نقف واحداً خلف الآخر ووضع اليد على

* اختصار كلمة الأقسام المغلقة برمز القافات وتعني ق١ وق٢ أي القسم الأول والقسم الثاني

كتف الشخص الذي أمامنا ووقف أحدهم بالمقدمة والبقية على الجانبين وأمرونا بالسير وهم يحذرونا من النظر الى الأمام أو الى إحدى الجهات فإن عواقب ذلك تكون وخيمة، سرنا في الممر العريض والطويل وهو من أول السجن الى آخره بعد سير قليل أوقفونا على الجانب الأيمن من هذا الممر فتحوا باباً وطلبوا من بعض الأشخاص المتواجدين خلف هذا الباب بالتهيؤ، أمرونا بأن ندخل واحداً بعد الآخر، فلاح عاكولة هو المشرف على هذا القسم بعد نقيب غالب الدوري ولديه صلاحية كبيرة في تعذيب السجناء. كان فلاح واقفاً في الباب ومنه تصدر الأوامر، دخل أول شخص منا الى القسم وهو (ق١) وفي أول خطوات صاحبنا الأول فإذا بفلاح ينهال عليه بالضرب حتى أوصله الى الأشخاص المتواجدين في داخل هذا القسم وهؤلاء منافقون يعملون مع جهاز الأمن وهم سجناء ويسمون خدمات. كل واحد منهم مسك بيده هراوة واستلموا صاحبنا من فلاح وانهالوا عليه بالضرب حتى أوصلوه الى المكان الذي خصص للوقوف وبعده يتم توزيعنا على الغرف، دخل الشخص الثاني واتخذوا معه نفس الإجراء وهكذا حتى جاء دوري فأول ضربة تلقيتها من فلاح هي على رأسي، كانت الهراوة فيها بعض المطاطية فالتفت على رأسي وجاءت نهايتها على أذني فجرحتها ثم توالت عليَّ الضربات من فلاح على ظهري ثم وصلت الى المنافقين فتوالت عليّ ضرباتهم حتى وصلت الى مكان الوقوف وهكذا حتى آخرنا. تم توزيعنا على الغرف فوضعونا أنا والأخ (ص، ج، م) و(ك، ح، ع) من أهالي العمارة في الغرفة رقم ٦، كل الموجودين لا تبدر منهم أية حركة وكان التلفزيون ينقل مباراة بكرة القدم ضمن دورة كأس العالم ١٩٨٢، جلسنا في الوسط لا أحد يقترب منا، الصمت يخيم على الجميع ولا نسمع إلا أصوات قرقعة المفاتيح في القاف حتى صوت التلفزيون قد أخمد. بعد أن تم توزيعنا على الغرف خرج فلاح وعصابته من القسم، بعده بلحظات جاء أحد المنافقين (الخدمات) وقال لشخص أسمه معمر وهذا الأخير منافق أيضا وضعوه في الغرفة رقم ٦ مراقبا لينقل لهم كل صغيرة وكبيرة، قال له أحلق لحاياهم وذهب، وبدوره معمر قال لأحد السجناء الموجودين في الغرفة بأن يقوم بحلق لحايانا وهذا الأخ هو (ي، ث، ر) من محافظة البصرة قضاء المدينة، فأنزل عدة الحلاقة البسيطة وهي عبارة عن علبة معلبات فارغة وضعت فيها أدوات الحلاقة، فجلس أمامي وقال لي: كيف حالك يا جميل، ففاجأني بذكر أسمي، ركزت النظر الى وجهه وقلت له أنت هنا، كيف حالك. كان معي في مديرية الأمن العامة وذهب الى المحكمة في بداية العام ١٩٨٢، سألته عن المجموعة التي ذهبت معه الى المحكمة، فقال لي: أخفض صوتك لا يسمعك معمر، ثم قال وهو يحلق في لحيتي: الجميع حكم عليهم بالإعدام إلا نحن الأربعة حكم علينا بالسجن المؤبد وهذا هو سيد (ك، أ) من ضمن الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد وهذا السيد هو أيضا كان معي في الأمن العامة، كان عددهم في الغرفة ٤٨ سجيناً وبدخولنا اصبح العدد ٥١ سجناً في مساحة ٥ X ٥م٢ وهي مساحة الغرفة سألته عن الوضع الذي يعيشونه فقال: أترك هذا الموضوع ولا تتكلم فيه الآن وعليكم الالتزام بكثير من الأمور وسوف تتوضح لكم شيئاً فشيئاً.

سبب وفاة أبي فرقان

عبدالحسين ثامر من محافظة البصرة منطقة العشار صاحب محلات عصير في العشار قرب صيدلية الشعب في ذلك الوقت، أي في عام ١٩٨٠ وما قبله، كنيته أبو فرقان.

يتمتع أبو فرقان بصحة جيدة يجب ان يمزح مع الجميع مبتسم دائماً مجامل وتشعر بالارتياح معه من أول لحظة تراه بها، لا يزعج أحداً يتلاطف مع الجميع وأول سجين في

الغرفة رقم ٦ في ق١ تعرفت عليه، لأن الأخ (ي، ث، ر) سبق وأن تعرفت عليه في الأمن العامة والذي قام بحلق لحيتي تعرف علي بطريقة الملاطفة فقال لي: (ها أخينا ان شاء الله من البصرة)، فقلت له: نعم، فقال: أكيد، ثم ذكر المثل العراقي الشهير (احنه ولد الكريه كلمن يعرف اخيَّه)*. قلت له: كيف، فقال: نحن أهالي البصرة نتمتع بسمار خاص يعلو وجوهنا، ثم سألني: من أي مكان في البصرة، فأجبته: من قضاء القرنة، ثم أخذ يسألني عن معارفه في القرنة.

أبو فرقان متزوج وله أطفال ويبلغ من العمر بحدود الأربعين سنة، كان يحب جميع السجناء وله علاقات جيدة مع الجميع باستثناء المنافق معمر حسين الذي عرفناه سابقا وهو مراقب الغرفة ٦ ق١.

كان هذا المنافق ينزعج كثيراً من أبي فرقان عندما يرى جميع السجناء يحترمونه وكذلك عندما يراه يجلس مع السجناء يتحدث إليهم ويبتسم للجميع ويتلاطف معهم وكذلك عندما يشعر هذا المنافق بأنه محتقر من قبل الجميع ولا يستطيع التعبير عن هذا الشعور.

أبو فرقان كان أكثر السجناء يحتقر معمر، وهذا ما جعل معمر يثير مشكلة شخصية مع أبي فرقان، أما أبو فرقان فكان لا يعيره أية أهمية ما جعل معمر يزيد من المشكلة وأخذ يتحرش به.

معمر هذا ضعيف الشخصية ومطعون في شرفه، أسمعه أبو فرقان كلاماً ينتقص منه وهو يستحقه، لأن معمر سافل بمعنى الكلمة، فتوعد معمر أبا فرقان بفلاح عاكوله، وفعلاً نفذ هذا المنافق وعيده، المجرم يقضان وهو مسؤول الخدمات (المنافقين) قام معمر بإخباره بأن أبا فرقان سب الرئيس (صدام حسين)، فتفاجأنا جميعاً وكذلك أبو فرقان لمكر هذا اللعين وكذبه وافترائه، فطلب أبو فرقان من يقضان أن يسأل بقية السجناء فرفض طلب أبي فرقان واكتفى بكلام معمر الملفق على ابي فرقان، ذهب يقضان الى غرفة المنافقين وهي في مقدمة القاف ينتظر مجيء فلاح أو النقيب غالب فلديه صيد سمين، أما معمر فظل ينظر الى أبي فرقان ويبتسم وكأنه يقول له بعد ساعات قليلة سوف ترى فعل المنافقين.

أبو فرقان وكّل أمره الى الله سبحانه وتعالى وطلب منا أن ندعو له، فتوجهنا جميعاً بالابتهال الى الله أن يقي أبا فرقان شر هؤلاء المجرمين، ولكن القدر المحتوم أراد أن يقع.

دخل النقيب غالب الى قاف واحد ومع صوت المفاتيح زادت نبضات قلوبنا خوفاً على أبي فرقان، كانت الغرفة رقم واحد مخصصة للتعذيب كما ذكرنا سابقا موضع تثبيت المروحة كان يستخدم لربط السجناء الذين يتم تعذيبهم في الطابق الثاني يوجد مكان مساحته متر مربع وبابه حديد يقع على الجانب الأيسر من هذا الطابق يسمى المحجر وهو مخصص للأشخاص الذين يعاقبون بالحجر لمدة تصل في بعض الأحيان إلى شهر، وهذا المحجر أرضيته غير مفروشة وخشنة وحار جداً في الصيف وبارد بشكل لا يطاق في الشتاء وفي بعض الأحيان يوضع فيه أكثر من سجين. بعد دقائق من دخول النقيب غالب وفلاح وعصابتهم الى القاف أخذنا نسمع صوت المفاتيح المزعجة تقترب شيئاً فشيئاً وكلما اقترب هذا الصوت أكثر ازداد قلقنا، لحظات وإذا بيقضان يفتح باب الغرفة رقم ٦ ويطلب من أبي فرقان الخروج من الغرفة فتوكل على الله وخرج واتجه الى الغرقة رقم ١ ويتبعه معمر كشاهد وهو المفتري والى جانبه يقضان.

النقيب غالب ينتظر وصول أبي فرقان ومعمر وهو في الغرفة رقم واحد، دخل الثلاثة الى الغرفة رقم ١ ولبضع دقائق وبعدما استمع النقيب غالب الى شهادة معمر عاد هذا الأخير الى الغرفة رقم ٦، بدأت أصوات الهراوات تنهال على جسم أبي فرقان تصل الى مسامعنا

* نحن أبناء منطقة واحدة يعرف بعضنا بعضاً

على الرغم من المسافة التي تفصلنا عن الغرفة رقم واحد فهي في أول القاف ونحن في الغرفة رقم ٦ آخر القاف.
أصوات الضربات تتزايد وتتعالى واختلط صوت أبي فرقان مع أصوات الهراوات لفترة حتى تلاشى صوته واستمر صوت الهراوات لبضع دقائق، بعدها أخرج أبو فرقان مرفوعاً بين الأيدي وذُهِب به الى الطابق الثاني ووُضِع في المحجر، أما نحن فلا يستطيع أحد أن ينبت بكلمة واحدة حول مصير أبي فرقان، ومن يظهر القلق عليه فمصيره مصير أبي فرقان، ولكن نحن قلقون عليه على الرغم من متابعة معمر للوضع وهو يضحك بتشفي وكأنه حقق انتصاراً كبيراً.
لا نعلم مصير أبي فرقان وماذا حلّ به وكيف هو وضعه، معمر يعرف ماذا حصل لأبي فرقان ويعرف الوضع الذي يعيشه، وذلك للتعاون الحاصل بين المنافقين سواء كانوا خدمات أم مراقبين الغرف، أمضى أبو فرقان في المحجر مدة طويلة حتى أُعيد الى الغرفة رقم ٦، أثناء دخول أبي فرقان الى الغرفة شاهدناه يمشي بصعوبة وكانت الدماء قد جفت على ثيابه وجسمه.
بعد هذه الحادثة التي وقعت وكان سببها معمر وبعد الذي حصل الى أبي فرقان تغير سلوك أبي فرقان مع معمر وأخذ لا يتكلم معه ولو بحرف واحد، استمرت هذه الحالة لفترة تجاوزت الخمسة أشهر بعدها طلب معمر من كبير المنافقين يقضان أن يعيد علاقته مع أبي فرقان ولو بالشكل الذي كانت عليه الذي دفع معمر الى هذا التصرف هو المقاطعة الشبه تامة من قبل السجناء.
توسط يقضان بين معمر وأبي فرقان وعادت العلاقة العادية بينهم، لا خجل عند هؤلاء المنافقين فيقضان توسط وكأنه لم يفعل شيئا ومعمر كان يضحك أثناء المصافحة التي جرت بينه وبين أبي فرقان، أما أبو فرقان فكان ينظر الى معمر ويتأمل ساعات الانتقام من هذا المنافق وكيف سوف تكون بعد فترة، دخل يقضان الى الغرف وعزل عن منصبه كما يعتبرونه كمسؤول للخدمات وبأمر من النقيب غالب، استلم صباح هذا المنصب وهم (أي المنافقون) يتنافسون فيما بينهم على هذا المنصب، بعدها دبت الخلافات الواسعة بين المنافقين.
وعلى أثر هذه الخلافات استلم باسم أو وسيم منصب مسؤول الخدمات وأدخل جواد أبا حيدر من أهالي الحلة وسعيد أبا علي من سكان مدينة الثورة في بغداد وهو من محافظة العمارة (ميسان) أدخلا الى الغرفة رقم ٦ وبطلب منهما، لأن الغرفة رقم ٦ هي أقرب الغرف الى التلفاز، أدى دخولهما الى هذه الغرفة اضافة الى معمر في زيادة صعوبة العيش في هذه الغرفة، أحالوا الحياة الى جحيم فلا أحد يستطيع أن يتكلم مع بقية السجناء خوفاً من أن يُفسَّرَ أو يُحرَّف أو يُحوَّل الى ممنوعات، وهكذا استمر هؤلاء الثلاثة يتابعون ويراقبون الغرفة حتى يعرفوا كل صغيرة وكبيرة حتى يتقربوا بها الى فلاح، أما علاقة أبي فرقان مع هؤلاء فطبيعية ويتعامل معهم بشكل طبيعي.
كنا أنا وأبو فرقان وبعض السجناء جالسين نتابع برامج التلفزيون وكان جواد جالساً قريباً منا وعينه الى التلفزيون ولكن أذنه صاغية لنا وما سيصدر منا من كلام حتى يحرفه وينقله الى فلاح، نحن حذرون من هذا المنافق الخطر، حين رآنا لم نتحدث ونلتزم الصمت، بادر هو وأخذ يتكلم حول صدام وهو يمجد به وكذلك استمر حديثه حول العراق، نحن كنا ننصت إليه ولا أحد يستطيع مناقشته لأن أي كلام سوف يبدل بآخر ويؤدي الى عواقب وخيمة نحن في غنى عنها، ولكن أبو فرقان لن يتحمل هذا الهرج ولا يسمح له بالاستمرار في التهريج، فقال له القول المعروف عند العراقيين بالعامية (لا تبيع علينه وطنيات). نهض جواد من مكانه وقال موجهاً كلامه الى أبي فرقان سوف ترى ماذا يحل بك.

حدث هذا قبل الظهر بحدود الساعة الحادية عشرة، توقع أبو فرقان أن جواد سوف يبلغ أفراد الأمن بما حصل وبشكل محرف كما فعلها معمر من قبله، ظل أبو فرقان يفكر بطريقة يتخلص بها من هذا المنافق ومن التعذيب الذي سيلحق به، في ذلك اليوم لم يأتِ فلاح وقت الظهر، جاء شخص آخر يُدعى خليل وهذا هو شرطي أمن صغير في السن وتصرفاته تدل على أنه غبي وغير قادر على تسيير حتى أموره الشخصية، كان جواد قد أخبر أبا وسيم مسؤول الخدمات بما حصل له مع أبي فرقان، وبدوره - أبو وسيم - أخبر خليل بما حصل فقال له: اتركها لفلاح، فصلاحيته محدودة ولا يستطيع التصرف بهكذا قضية.

كان الوقت ليس بصالح أبي فرقان فالتفكير سيطر على تصرفاته وفي هذه الفترة عزل نفسه عن كل السجناء ودائماً أعصابه متوترة، امتنع عن الطعام أثناء تناول وجبة الإفطار، مضى الوقت ولم يأتِ فلاح، قبل صلاة المغرب طلب أبو فرقان من الجميع الدعاء له وبإخلاص عسى ان يستجيب الله لأحدنا ويخلصه من شر الأشرار، في المساء وبعد الصلاة دخل خليل الى القاف أخرجوا بعض المسجلة أسماؤهم بسبب ارتفاع الصوت والأمور البسيطة عاقبوهم بإشراف خليل ثم أعادوهم الى غرفهم فتوقعنا أن ينادوا أبا فرقان ولكن سرعان ما خرج خليل وأغلق الباب خلفه - قضية أبي فرقان لم تحسم بعد وطال الوقت وهو ليس بصالح أبي فرقان من الناحية النفسية حيث كان يصارع نفسه وقد أخذ الخوف مأخذه من أبي فرقان مما سيلاقيه، واقصد الخوف لأن هؤلاء سوف لا يرحمونه وقد مر بتجربة سابقة معهم وهم لا يعطونه فرصة للدفاع عن نفسه وفي ما نُقِلَ عنه محرفاً.

عدم تناوله الطعام أثّر على صحته بشكل كبير إضافة الى التفكير بما سيجري به، فتدهور وضع أبي فرقان الصحي وأمضى الليل جالساً ولم تغمض له عين وأصبح طريح الفراش، كل الكلام الذي حصل بين أبي فرقان وبعض السجناء على عدم الطعام والكف عن التفكير بالموضوع لم يُجدِ نفعاً، في الصباح لم يستطع أبو فرقان النهوض من النوم بسبب المرض، دخل فلاح الى القاف وكان يعلم بما حصل بين جواد وأبي فرقان وقد أخبره بذلك خليل، توجه الغرفة ٦ وكان معه أبو وسيم وصل الى التلفزيون فأخفت صوته وكان التلفزيون يبث برامجه ولا أتذكر ما هي المناسبة هل كان يوم جمعة فهو يبث برامجه بصورة طبيعية، أو كانت عطلة رسمية وكان ذلك في الشهر العاشر عام ١٩٨٢.

وقف فلاح بجوار التلفاز وتوجه نحو الغرفة ٦ ونادى جواد فنهض جواد وقال: نعم سيدي، فقال له فلاح: اسمع يا جواد إني أكره ثلاثة (المنافق والـ... والـ...)[١] ثم قال بصوت مرتفع موجهاً كلامه الى جواد اجلس، فجلس هذا المنافق منكساً رأسه الى الأرض، اقترب فلاح من الغرفة وقال: أين عبد الحسين ويقصد أبا فرقان وكان أبو فرقان نائماً في الزاوية القريبة من الشبكة، فقال بصوت لا يسمع: نعم، قال جواد: سيدي إنه يدّعي المرض، فصاح بوجهه: فلاح (انجب)[٢].

أما أبو فرقان فلم يستطع النهوض لشدة المرض المفاجئ الذي ألمَّ به بسبب هذه الحادثة، نظر فلاح إلى أبي فرقان وقال له عبد الحسين لا تكرر ما سمعته عنك وذهب، أدخل السرور في قلوبنا وعمّ الفرح والسعادة على وجوهنا واقتربنا من أبي فرقان نبارك له وقد أنقذه الله وأعزه بعد أن أُهينَ جواد وكل المنافقين. ابو فرقان استمر به هذا المرض وأخذ منه مأخذه، فدرجة حرارته ترتفع وباستمرار ولا يستطيع تناول الطعام وكلما أكل شيئاً لا يستقر في معدته أصبح جسمه نحيفاً جداً، أخرج الى المستوصف وعاد بعد ساعة وهو

---

١ كلمات ليس من الذوق ذكرها هنا

٢ كلمة في اللهجة العامية تدل على إهانة أو زجر الشخص الموجه إليه الكلام، وتكتب (إنجب) بوضع ثلاث نقاط تحت الجيم

يمسك بيده بعض العلاج الذي لم ينفعه بشيء، ظل يعاني من هذا المرض مدة طويلة ووصلت به الحالة لا يستطيع النهوض من الفراش والذهاب الى التواليت وكنا نقوم بحمله والذهاب به الى التواليت، كنت أنا والأخ علي وهو من أهالي الديوانية طالب في إعدادية الزراعة وقد أطلق سراحه في عام ١٩٨٦ بعد أن نقل من الأقسام المغلقة الى الأقسام المفتوحة في عام ١٩٨٣. كنا نقوم بكل ما يحتاجه أبو فرقان وقبل وفاته بيوم واحد ناداني، ثم نادى علياً، وقال لنا: أنا سأموت، وكان يتكلم بصعوبة بالغة، فأرجوكما أن تسامحاني على كل تعب سببته لكما وأريد منكما براءة الذمة وكذلك من كل الإخوة السجناء، تكسّرت العبرات في صدري ولم أستطع الكلام، ونزلت دمعة من عيني وكذلك الأخ علي. أبو فرقان ينظر إلينا بعيون ذابلات وقد اغرورقت بالدموع وهو يتذكر عائلته وجاءت صورة ابنه فرقان أمامه لذلك نزلت دمعتان من عينيه وكادت تدخلان في أذنيه لولا أن قمنا بتجفيفهما.
في بداية الشهر الأول من العام ١٩٨٣ توفي أبو فرقان في المساء وبعد منتصف الليل والقليل من الإخوة يعلمون بذلك. نُقِل أبو فرقان قبل وفاته وبعد اشتداد المرض به الى الزاوية المقابلة للتواليت حتى يكون قريباً عليه وبنفس الوقت يكون بعيداً عن مكان الجلوس لمشاهدة التلفزيون، قبل الصلاة بنصف ساعة نهض الجميع لتأدية صلاة الصبح، كان أبو فرقان في الزاوية البعيدة عن الشبكة، أما معمر وجواد وسعيد فهم لا ينهضون لصلاة الصبح وهذا الوضع خدمنا فوقف بعض السجناء وشكلوا حاجزاً بين هؤلاء الثلاثة النائمين وبيننا وحتى صباح الذي كان يتجول في الممر لا يشاهد ما يجري في الغرفة، وجهنا أبا فرقان الى القبلة وأدّينا عليه صلاة الميت وكان عدد الذين صلوا صلاة الميت لا يتجاوز العشرة أشخاص بعد أن أنهينا الصلاة أعدناه الى مكانه ووضعنا عليه إحدى البطانيات، في الصباح أخبرنا معمر بوفاة أبي فرقان وبدوره أخبر أبا وسيم مسؤول الخدمات.
دخل فلاح وأخبره، فتوجه الى الغرفة ٦، وفتح الباب وقال للمنافقين: هيا ضعوه على بطانية واحملوه الى الخارج.
ولا أعلم هل سلمت جثته الى عائلته أم لا؟
رحمه الله ولعن المنافقين أمثال معمر وجواد وسعيد وصباح ويقضان وكل من تعاون معهم على إزهاق روحه الطاهرة.

أحداث لا تنسى

<u>الحادثة الأولى:</u>
بعد أن وصلت الى ق،١ ودخلت الى الغرفة ٦ كنت أتخذ من حذائي وسادة وهذه الحالة شبه عامة في الأقسام المغلقة، مرت فترة وأنا على هذا الوضع فقام أحد السجناء التركمان اسمه (بهاء الدين) من أهالي كركوك منطقة تسعين أطلق سراحه، ثم اعتقل مرة ثانية، وحُكِم عليه بالإعدام، قام هذا الأخ بتمزيق البطانية التي يمتلكها وهي سوداء اللون والوحيدة لديه وجعلها أربع قطع فأعطاني واحدة من هذه القطع واحتفظ بواحدة له وأعطى القطعتين الى بعض السجناء، فوضعت حذائي في وسط هذه القطعة وجمعتها واستخدمتها كوسادة أثناء النوم.
في تاريخ ١٩٨٢/١٠/١٣ جاء فلاح الى ق١ في الساعة الحادية عشرة مساء وكان وجهه يدل على شر وعيونه يتطاير منها الشرار، كان الوضع في الجبهة مع إيران ليس بصالح العراق وكذلك الوضع الداخلي غير مستقر، ففي هذه الفترة حصلت تفجيرات في بغداد، وكل هذه الأوضاع تنعكس علينا نحن السجناء. وقف فلاح عاكولة في وسط القاف

وصاح على المراقبين المنافقين في داخل الغرف: أريد من كل مراقب ان يسجل أسماء السجناء الذين مزقوا البطانيات، ثم صعد الى الطابق الثاني، بدأ فلاح في الغرفة ١٥ وهي مقابل الغرفة ٦ ولكنها في الطابق الثاني ونشاهدهم ويشاهدوننا، أمر فلاح بإخراج الذين سُجِّلت أسماؤهم، وانهال عليهم بالضرب بجنون هو وعصابته من أفراد الأمن والمنافقين.

كان فلاح يمسك بيده هراوة من الخشب الصاج وكان يضرب من يقع تحت يده بقوة وبدون تحديد للموقع الذي يضربه ما جعل الهراوة التي كانت بيده تنكسر، فسقط منها الى الطابق الأول وظل النصف الآخر بيده فأخذ أخرى من النوع الذي ذكرناه، واستمروا بتعذيب السجناء حتى انتهوا من الطابق الثاني، نزل فلاح ومن معه الى الطابق الأول وبدأوا بإخراج السجناء المسجلة أسماؤهم من الغرف وبعد أن يبرحهم ضرباً يعيدوهم الى غرفهم، وصلوا الى الغرفة ٥ وكان عدد المسجلة أسماؤهم ٦ أشخاص وكان فلاح هو أول من بدأ الضرب بهؤلاء وهو يلهث كالكلب حتى أنهكت قواه، فنادى على أحد المنافقين، وطلب منه أن يجلب له كرسياً كي يجلس، ويستريح، أخذ ينظر الى الضحايا وهو يلهث ثم طلب من عبدالله شناوة وهو أحد الأشخاص الذين أخرجوهم من الغرفة ٥ بأن يسب الإمام الخميني فهتف (عبدالله) الله أكبر فنهض فلاح ووضع قدمه على صدر (عبدالله) وقال له: هل نحن بريطانيون وأخذ الهراوة من (صباح) المنافق، وألهب جسم (عبدالله) بالضرب، ثم طلب منه أن ينهض ويعود الى الغرفة، فدخل، ثم عاد فلاح الى الجلوس على المقعد وهو يلهث.

جاء دور الغرفة ٦ وكان المنافق معمر قد سجل أسماء ٩ أشخاص وكنت أنا من ضمن هذه الأسماء بسبب قطعة البطانية التي كنت أضعها تحت رأسي والتي أعطاني إياها الأخ (بهاء الدين)... خرجنا من الغرفة الى الممر وطلبوا منا الجلوس وأخذوا يضربوننا ونحن جالسون بينما كان اثنان منا يضربونهم أسفل أقدامهم بطريقة (الفلقة) حتى تسيل الدماء من أقدامهم وهكذا حتى جاء دوري أمروني بأن أنام على ظهري وأرفع قدمي إلى الأعلى فوضعوا عصا طويلة كل طرف يمسكه منافق وفي وسط هذه العصا حبل يلف حول الأقدام بقوة، ثم بدأوا بضربي، كان (صافي) وهو منافق يمسك أحد أطراف العصا والآخر يمسكه أبو وسيم أما (طالب) و(صباح) فإني أشعر بضربهم وكأنهما يتنافسان فيما بينهما أيهما أسرع وأقوى ضرباً ويظهرا كفاءتهما وإخلاصهما أمام فلاح. كنت أشعر بقدمي تلتهب من شدة الضرب، أمرهما فلاح بالتوقف وصاح عليّ انهض فنهضت فلا أستطيع أن أضع قدمي على الأرض وكأنها ثبتت بها مسامير، قال فلاح: اذهب الى غرفتك، كنت لا أعرف أي اتجاه أسلك وذهبت باتجاه الغرفة ٥ وأنا لا أستطيع السير على قدمي وكلما تباطأت كلما ازداد الضرب على ظهري حتى وصلت الى الغرفة ٦. كانت الدماء تسيل من موضع الحبل الذي لف حول قدمي، وآثار هذا الحبل لحد الآن موجودة، دخلت الغرفة واستلقيت على الأرض، ورفعت قدميَّ إلى الأعلى بوضعهما على الحائط كي يخف الألم والأورام التي سوف تحصل.

هكذا مضت تلك الليلة وهي منقوشة في ذاكرتي وأثرها على جسمي يذكرني بها.

الحادثة الثانية:

أبو ناهض رجل كبير من أهالي بغداد (الفضيلية)، كانت لي معه علاقة كعلاقة الابن مع والده، هو صاحب تجربة وخبرة طويلة في الحياة، وكان يقول إنه اشترك في بناء هذا السجن بصفة عامل، يحفظ قصصاً كثيرة وكنا نطلب منه أن يقص علينا ما تسعفه به ذاكرته عن الوضع السياسي أيام الاحتلال البريطاني للعراق وكان يبدي ارتياحاً كبيراً لسرد هكذا أحاديث، في العام ١٩٨٣ كنا في الغرفة ١٢ في الطابق الثاني، كان الطعام الذي

يجلبونه لنا رديئاً جداً وبكمية قليلة وأغلبنا ينهض من المائدة وهو جائع. في أحد الأيام وكالمعتاد جلبوا لنا وجبة طعام العشاء، وكانت هذه الوجبة هي الماء الحار وفيه لون أخضر خفيف جاء من أوراق السلق التي فقدت لونها بسبب الغليان، كنت أنا أستلم الطعام في هذه الغرفة أيضا، استلمت هذه الوجبة وقمت بتوزيعها على صحون المجاميع وكنا نعطي الحاج أبا ناهض طعامه لوحده لكبر سنه وبعض الأحيان أتناول الطعام معه. في تلك الليلة رأيته على غير المعتاد وهو ينظر الى مرق السلق التي أقوم بعملية توزيعها على المجاميع، إن هذه المرق إذا نظرت إليها تشاهد قاع الصحن من خلالها، فإذا رفعت عنها أوراق السلق يبقى ماءً صافياً تغير لونه وتحول الى الأخضر الفاتح.

بعد أن أكملت توزيع هذه المرق على الصحون أعطيت كل مجموعة صحناً ثم أخذت صحن الحاج أبي ناهض ووضعته أمامه فظل ينظر الى ما في الصحن وهو منكس الرأس، مشهده كان حزيناً، فيا ترى ماذا يتأمل هذا الرجل الكبير؟ وبماذا يفكر؟ هل كان يفكر بنوع الأكل الذي تقدمه له عائلته؟ وكيف كان يجلس ومن حوله أطفاله وأسرته ليتناولوا الطعام معاً وعلى المائدة ما لذّ وطاب من أنواع الطعام، ظل دقائق على هذا الحال فقلت له: أبا ناهض لماذا لا تأكل هل تحتاج شيئاً؟ فلم يجبني ثم مسك الصحن بيده واتجه به نحو الشباك، وقف أمام الشباك، ثم أخرج الصحن من الشباك وهو يمسكه بيد واحدة وقد أخرج يده حتى إبطه، ثم قال: إلهي إذا كان هذا يرضيك وتقبل به فأنا لا يرضيني ورمى الصحن وما فيه الى الأعلى فسقط الصحن إلى الأرض وعاد أبو ناهض الى مكانه وجلس، مرت لحظات وخيّم الصمت على الجميع، رفع الجميع أيديهم من الطعام غلى الرغم من جوعنا وبعض الإخوة سالت دموعهم على وضع هذا الرجل المسكين الطاعن في السن، مرت علينا هذه الليلة كئيبة وحزينة وأغلبنا نام قبل موعد النوم.

في اليوم التالي وكالعادة تناولنا وجبة الإفطار الصباحية وعاد الوضع الطبيعي الذي نعيشه يومياً، ثم جاءت وجبة العشاء وكانت غير متوقعة، بل لم تكن بالحسبان وهي أول وآخر مرة تحدث في القاف جلبوا لنا طعاماً وهو مرق (قيمة)[1] الطبخ كان جيداً وذا قيمة غذائية وبكمية كبيرة، ثم وزعوا لكل غرفة أكياس خبز إضافية ونادراً ما يحصل، بعد أن استلمت الطعام وقسمته على الصحون وكانت الكمية كثيرة بعض الشيء وهي أكثر من المعتاد، وضعت في صحن أبي ناهض حصة شخصين، ثم قلت للإخوة في الغرفة: أيها الأخوة إنها كرامة من الله لأبي ناهض، أخذت صحن أبي ناهض ووضعته أمامه وكان يبتسم، وقال: الحمد لله، لقد استجاب لنا الله، ولكنه عبّر عن ندمه عما بدر منه من اعتراض ورفض للوضع الذي نعيشه وقال: لقد استعجلت كثيراً وأستغفر الله على ذلك.

إن الله تبارك وتعالى هو أعلم ما في قلب هذا الرجل ويعلم أيضاً أنه مظلوم من قبل أعتى نظام عرفه التاريخ ولكن لله حكمه في ما يجري في العراق كله وليس في السجن فقط.

الحادثة الثالثة:

كان تحديد يوم عيد الفطر يسبّب لنا مشكلة، حيث هناك خلاف بين المسلمين من السنة والشيعة على كيفية رؤية الهلال، وإن الحكومة البغثية هي من المذهب السني وإن هذه الحكومة لا تقيم للمذهب الشيعي أي وزن ولا تأخذ في الرأي الشيعي، على الرغم من أن الشيعة يمثلون الغالبية العظمى من الشعب العراقي، حيث تبلغ نسبة الشيعة ٧٥% أما باقي المذاهب الإسلامية والمسيح واليزيدية وغيرها فتبلغ نسبتها ٢٥% من الشعب العراقي، هذه

---

١ هي أكلة مشهورة في العراق وهي غنية باللحم مع بعض المواد التي تزيد من نكهتها، تجمع أكثر من نوع من المواد الغذائية

الأغلبية التي تتمتع بها الشيعة تجدها في العراق مضطهدة من الداخل، حيث إن النظام الذي يترأسه صدام يمارس ضدها الظلم والاضطهاد والتمييز الطائفي، وأيضاً مضطهدة هذه الطائفة من الخارج حيث لم تعط حقها حتى في وسائل الإعلام ولا تجد صحيفة أو إذاعة أو وسائل الإعلام الأخرى تتحدث عن هذه الغالبية التي تتمتع بها هذه الطائفة ناهيك عن نوع أو حجم الاضطهاد الذي تتعرض له هذه الطائفة وهذا ليس موضوعنا، فبالنسبة ليوم العيد الذي يعلن من قبل الحكومة فإن الشيعة في العراق لا يعتبرونه عيداً، وكان الشيعة في العراق يتلقون خبر العيد من النجف الاشرف حيث توجد الحوزة العلمية وزعيم هذه الحوزة هو الذي يصدر بياناً لثبوت رؤية الهلال عن طريق الشهود الذين يشاهدون الهلال.

هذا بالنسبة للذين خارج السجن، أما نحن داخل الأقسام المغلقة فهي مشكلة فقد كنا في داخل السجن نشاهد الهلال من خلال الشبابيك في الطابق الثاني في ق١ وق٢. ففي العام ١٩٨٤ وفي شهر رمضان وبعد أن أعلنت الحكومة يوم العيد لم نشاهد الهلال من خلال متابعتنا له من الشبابيك ولذلك لم نعلن العيد، في هذا اليوم الذي هو عيد بالنسبة للدولة (الحكومة) يجب أن يعود البرنامج السابق من حيث النهوض من النوم وجلب وجبات الطعام الثلاثة بدل الوجبتين هي العشاء والسحور، هذا كله لا يهم بالنسبة للنوم والطعام فهو يوم واحد ونتحمله كيفما كان، لكن المشكلة هي أين نضع الطعام حيث لا يوجد مكان ولا أوان ٍ تفي بالغرض على الرغم من هذا حاولنا جمع الرز في صحنين أو ثلاثة وكذلك الحساء (الشوربة) ووضعناها في الشباك، الحمد لله كنا في الغرفة ١٩ شخصاً لا يوجد معنا منافق (الخدمات).

المنافقون يتجولون في الممر وينظرون الى داخل الغرف وكان صباح يدقق في كل شيء في الغرفة، فإذا حدث أي تغيير في الغرفة يشعر به لكثرة تركيزه، في ذلك اليوم كعادته مر (صباح) من أمام غرفتنا قبل الغروب وشاهد الأكل الموجود في الشباك فقال: ما هذا الأكل؟ أصابنا بعض الارتباك لسؤاله المفاجئ، كان المراقب في غرفتنا إنساناً مؤمناً وغير متعاون مع المنافقين والأمن وهو من أهالي بغداد الكاظمية كردي فيلي (ع) نهض هذا المراقب وكان أسلوبه لطيفاً مع الجميع وخاصة مع المنافقين الذين نسميهم الخدمات لأجل ان يغضوا النظر عن غرفتنا وبالتالي لا يأتوننا بمراقب منافق، تحدث مع (صباح) حيث قال له: أخي أنت تعلم أن اليوم هو عيد، قال (صباح): نعم، فقال: ونحن بالأمس كنا صائمين وليست لدينا الشهية في هذا اليوم أن نأكل كل الطعام الذي جُلِب لنا في هذا اليوم، وما هذا الذي تراه أمام عينيك ما هو إلا طعام متبق ٍ من وجبة الظهر وسوف نأكله في العشاء، كان تبريراً جيداً ولكن (صباح) قال: إنك تكذب وإنكم لا تثقون بإعلان الحكومة بأن اليوم هو عيد وإنكم صائمون في هذا اليوم وسوف يأتي فلاح وترون ماذا يحلّ بكم.

أثناء صلاة المغرب جلبوا طعام العشاء وكان (فلاح) الذي فتح باب القاف وكان معه شرطي أمن اسمه (رائد)، أخبر (صباح) (فلاح) بهذه الحالة والظاهر أن (صباح) كشف أمر الكثير من الغرف، ذهب فلاح ولا ندري ماذا حدث، تناولنا وجبة العشاء بعد أن كنا صائمين جميعنا، وبعد مرور أكثر من ساعتين دخل النقيب غالب وفلاح ورائد وخليل وتكلموا مع الخدمات، وأخذوا يتجولون بين الغرف وبين الحين والآخر يتوقفون أمام الغرفة يختارون منها مجموعة من السجناء حتى وصلوا الى الغرفة ١٩ وقف غالب وفلاح والعصابة معهم أمام الغرفة وظل يختار حتى اختار مجموعة كبيرة من السجناء، أخرجهم من الغرفة، جمعوا جميع السجناء الذين وقع عليهم الاختيار في مقدمة القاف أمروهم بالجلوس، أمر النقيب غالب أزلامه المنافقين بأن ينهالوا عليهم بالضرب، وهكذا لا نسمع إلا أصوات الهراوات استمروا لفترة طويلة وبعد أن ألهبوا ظهورهم من الضرب أمرهم غالب بالتوقف عن الضرب، ثم أمر الضحايا بأن يمشوا على أيديهم وأرجلهم وقال لهم بالحرف الواحد: (أريدكم مثل الخرفان تأخذون الممر ذهاباً وإياباً) ففعلوا وكان فلاح يصيح

وكأنه راعي أغنام، أما بقية العصابة والمنافقين فكانوا يضربون على ظهورهم، هؤلاء المساكين وكان (صباح) أكثر المنافقين حقارة، أما النقيب غالب فكان جالساً على كرسي وُضِع له أمام غرفة واحد ويضحك... ونادراً ما تجد هذا الوغد يضحك.
إن هذه الحادثة لا يقبلها أي إنسان يحمل ذرة إنسانية لعدوه ومهما يكن فعل هذا العدو، أما هؤلاء الأوباش مثل (فلاح) و(صباح) فكانوا يضحكون.
أمر غالب الدوري بالتوقف واختار من هؤلاء السجناء أشخاصاً وقال لهم: قفوا على جانب، أما البقية فأمرهم بالعودة كل الى غرفته وبعد أن أدخلوا هؤلاء كلا الى غرفته أمر غالب بفتح المحجر وزج الذين اختارهم فيه وكان عددهم كبيراً قياساً بحجم المحجر، تركهم غالب على هذا الوضع وغادر الى خارج القاف، ومن يوضع في المحجر من قبل النقيب غالب فلا يخرج منه إلا بموافقة هذا النقيب.

الحادثة الرابعة:

طول هذه الفترة التي مرت، ونحن لا نستطيع أن نمشي أكثر من خمسة أمتار وهي طول الغرفة وبصعوبة وكذلك المسافة الواقعة بين غرفة وأخرى فنمشي هذه المسافة أثناء التنقلات التي تحدث بين الحين والآخر هذا بالنسبة للسير، أما بالنسبة للشمس فلم نرَها منذ يوم الاعتقال باستثناء يوم المحكمة، فعندما نزلنا من السيارة الى قاعة المحكمة كانت المسافة بين السيارة وباب القاعة مُشمِسة ففيها لامستِ الشمس أجسادنا.
في العام ١٩٨٥ وأيضا كنت في الغرفة ١٩ جاءنا فلاح ومعه الأشرار من جهاز الأمن وطلب من الخدمات الاستعداد، وقال لهم: سنفتح أبواب الغرف واحدة بعد الأخرى كي يخرجوا الى الشمس، أعطى المفاتيح لأحد المنافقين؛ ليتولى مهمة فتح الغرف، وإغلاقها وهكذا شرعوا بالغرف، نحن لا نعلم ما الذي يحدث في الخارج؟ ولكنا نشاهد السجناء يذهبون الى الخارج مهرولين ويعودون مهرولين وهكذا حتى جاء دور الغرفة ١٩ فتحوا الباب، وطلبوا منا الخروج، ثم الهرولة الى خارج القاف حيث الشمس، فاستقر بنا المقام أمام "فلاح" الذي كان ينتظرنا في الخارج، ويمسك بيده قضيب حديد طوله متر ونصف المتر تقريباً، كنا لا نستطيع أن نفتح عيوننا في ضوء الشمس إلا بصعوبة، أوقفنا "فلاح" صفاً واحداً بعدها استطعنا أن نفتح عيوننا شيئاً فشيئاً حتى أخذ بعضنا ينظر للآخر وإذا بوجوهنا صفراء وكأنها أوراق الشجر في فصل الخريف، في داخل الغرف نحن لا نشعر بهذا، قال فلاح سوف تركضون الى ذلك الحائط، ثم تعودون ومن يكن في الأخير سيعاقب.
المسافة بين مكان وقوفنا والحائط بحدود ٧٠ متراً، قال فلاح: هيا اركضوا، فركضنا نحن في تلك الفترة وكل السجناء في الأقسام المغلقة يعرفون ذلك إننا كنا لا نعرف كيف نمشي وأن حالة عدم التوازن في أجسامنا هي التي جعلتنا لا نستطيع أن نمشي بشكل متوازن ومستقيم لطول فترة السجن وعدم خروجنا من الغرفة وجلوسنا المستمر فكيف بنا والركض دفعة واحدة بعد هذا الرقاد الطويل.
أنقل هنا ما حصل لي أثناء الركض.
عندما بدأنا الركض شعرت أنني لست في الأرض وأن قدمي تتحرك ولا تلمس الأرض، وكذلك شعرت بسرعة فلم أركض من قبل بهذه السرعة، وأنا على هذه السرعة وفي هذه الحالة وإذا بنا نقترب من الحائط، المشكلة هي كيف أستطيع أن أخفف من سرعتي وأنا لا اشعر بشيء وفي غمرة تفكيري بكيفية الوقوف وإذا بها أمتار قليلة تفصلني عن الحائط فلم أجد وسيلة أتوقف بها أو تحد من سرعتي ولو بشيء قليل، فقلت لنفسي أضع يدي أمامي كي تصطدم بالحائط هي أولا فتخفف من شدة الاصطدام الذي سوف يحدث وهكذا وضعتها أمامي وكانت أول من عانق الحائط حيث تركت أثره على يدي ثم اصطدم رأسي بالحائط

وحدثت جروح بسيطة في رأسي وركبتي، شعرت بألم شديد ولفّني دوار، وعدت باتجاه فلاح وكان وضع الجميع تقريباً نفس وضعي، في العودة كانت الهرولة هي الوسيلة وأن أحد الإخوة وهو من كركوك (حسين) -أبو ليلى- وكانت لي معه علاقة طيبة كان بديناً جداً وكان مصاباً بمرض في الدماغ بسبب تضخم في الأطراف، وكان دائماً يفصح لي عن خوفه من هذا المرض وإن لديه طفلة اسمها ليلى كان يذكرها كثيراً وهو يحبها كثيراً كان دائماً يكرر عبارة (سوف أموت ولم أشاهد ليلى) المسكين حلّ في المرتبة الأخيرة أثناء الركض، من يصل الى فلاح يقول له: اذهب الى غرفتك وهكذا آخر واحد أبو ليلى وصل الى الغرفة وإذا بالماء تسيل من فخذه، فقلت له: ما هذا؟ قال: إن فلاح ضربني وبشكل عمودي بذلك القضيب الحديدي الذي كان بين يديه، كان الجرح عميقاً والماء لم تتوقف فوضعت في الجرح قطعة قماش نظيفة وتمت معالجة الجرح بالمواد البسيطة التي كانت بحوزتنا.
وهكذا كانت عقوبة وليس الخروج الى الشمس، فالذي سلم من ضربة فلاح لم يسلم من الحائط الذي كان يمثل شرطي أمن فأخذ مأخذه من الجميع.
كثيرة هي الأحداث التي حدثت في القافات وخاصة في ق١ وسأكتفي بهذه الحوادث.

الأمراض في الأقسام المغلقة

العراق ولقدرته المادية والتطور الذي حصل في الأجهزة الطبية، وما توصل إليه العالم من علوم وتكنولوجيا في معالجة الأمراض والتي حصل عليها (العراق) استطاع أن يقضي على الكثير من الأمراض الخطيرة التي كانت تفتك بالشعب العراقي، وذلك لم أرَ من قبل مثل هذه الأمراض التي حصلت في الأقسام المغلقة، إن هذه الأمراض أخذت أرواح الكثير من السجناء في سجن "أبو غريب" في الأقسام المغلقة خصوصاً في ق١ وق٢.
أن هذه الأمراض التي انتشرت في القافات ولوفرة العلاج لها داخل العراق قُضِيَ عليها في العراق منذ زمن طويل، إلا أنا نراها تعود منتشرة بين السجناء لأسباب يمكن أن نوجزها بما يلي:
١) قلة المياه.
٢) عدم الخروج الى الشمس.
٣) سوء التغذية.
٤) ضيق المكان وظلمته.
٥) عدم نقاوة الهواء.
٦) حرارة الجو.
٧) برك المياه في ساحات القافات نتيجة انسداد المجاري.
نأتي على بيان كل سبب وكيف ساعد على انتشار الأمراض. وكما ذكرنا سابقاً أن شحة المياه وعدم تمكننا من غسل أجسامنا أدى الى ظهور مرض بدايته حبيبات حمراء صغيرة، تنتشر في جميع أنحاء الجسم، ثم يكبر حجمها، ويظهر لها رأس أصفر وتكون مؤلمة جداً، كنا نعالجها بطريقة بدائية وشعبية ولا نستخدم أية أجهزة طبية، ونقوم بمسك هذه الحبيبات من الجهتين والضغط على الجانبين حتى تخرج المادة الصفراء المتعفنة والدم الفاسد، ثم يظهر خيط أصفر وهو وسط هذه الحبيبات وفي العمق، فإذا استطعنا أن نتخلص منه فإن هذه الحبة (الدنبلة) كما كنا نسميها، تشفى، وإذا لم نستطع التخلص من هذا الجذر فإن هذه الدنبلة تعاود التورُّم من جديد، والعملية هذه ليست سهلة، فمن يظهر في جسمه هذا المرض عليه أن يتحمل ألم العملية، والألم شديد جداً وإذا لم يستطع تحمل العملية فعليه تحمل ألم هذا

المرض حتى يشفى ذاتياً بعد أن ينتشر في جميع جسمه ويشوهه ويستمر الى فترة طويلة، إن هذا المرض يترك أثراً في الجسم وإن بعض السجناء الذين أصابهم هذا المرض تجد أجسامهم عليها آثاره حتى الآن، كما ترك أثره في قدمي اليسرى الى الآن.

هناك مرض آخر انتشر أيضاً بين السجناء وهو الأكزمة، حيث تظهر بقع حمراء على الجلد وتسبب الحكة الشديدة وتبقى تنهش في الجسم ولا تهدأ هذه الحكة حتى يقوم الشخص بحك الموضع المصاب لتصل الحالة الى خروج الدم منه.

كان أفراد الأمن يوفرون لنا بعض الأدوية ولكنها لا تؤدي غرضها بسبب عدم إزالة الأسباب الحقيقية لهذه الأمراض الجلدية وغيرها، كذلك كان هناك مرض غريب ينتشر على العضو التناسلي، حيث تظهر حبيبات صغيرة وصلبة وتسبب الحكة الشديدة وبشكل تجعل من المصاب بهذا المرض يتألم كثيراً ولا تهدأ إلا أن يقوم المصاب بحك الموضع المصاب لفترة تصل في بعض الأحيان الى دقيقتين، ثم يخرج من هذه الحبيبات مصل أبيض اللون يشبه زلال البيض وفي بعض الأحيان تصيب العضو أكثر من أربع حبيبات كما حصل لي، وهذا المرض يسبب الإحراج الشديد أمام السجناء، فالمصاب بهذا المرض تجده واقفاً في إحدى زوايا الغرفة ويبقى ماسكاً بقضيبه ويحكه بشدة وهي حالة جداً مخجلة.

المرض الآخر هو انتشار القرّاد (الكراد) ويتخذ تحت الجلد مكاناً له، ويبقى ينهش في الجسم ومن يُصَبْ بهذا المرض يبقَ يحك جسمه حتى تخرج الكرادة ومن ثم الدم من المكان التي كانت تتخذه هذه الكرادة.

ومن الأمراض التي انتشرت أيضاً مرض التقطير، أصيب عدد كبير من السجناء بهذا المرض، وهو عبارة عن عدم قدرة المصاب على السيطرة على الجهاز البولي، حيث تلاحظ أن المصاب عند دخوله الى الحمام لغرض التبول لا ينقطع تبوله ويستمر نزوله على شكل قطرات بين فترة وأخرى، عانى الكثير من السجناء من هذا المرض وخاصة في أوقات الصلاة، فهم دائماً يتأخرون عن وقت الصلاة، ويشتد هذا المرض في فصل الشتاء لبرودة الجو.

كان علاج هذا المرض هو صنع كيس من القماش يغلفه كيس آخر من البلاستك ويوضع في فتحته (الكيس) رباط، يستخدم هذا الكيس بعد الانتهاء من التبول، فيضع المصاب بهذا المرض قضيبه حتى ينتهي التقطير بعدها يخلع الكيس ويغسله، ويتركه في مكان مخصص له بعد غسله، أما الذين كانت حالتهم شديدة فهم يرتدون هذا الكيس وبشكل مستمر، ومن الطرائف التي حصلت نتيجة هذا المرض كثيرة نذكر بعضها.

دخل أحد المصابين الى الحمام لغرض التبول فنسي أنه يرتدي الكيس فبال في الكيس حتى امتلأ، وآخر كانت حالته بسيطة أي في بداية إصابته به وقد استخدم الكيس حديثاً، فدخل الحمام ليغسل جسمه وكنا إذا انتهينا من غسل أجسامنا نخرج من الحمام في اللباس الداخلي، وكالعادة وبعد أن انتهى هذا السجين من غسل جسمه وبدل أن يرتدي اللباس الداخلي ارتدى الكيس وخرج من الحمام الى الغرفة، فشاهده أحد السجناء فصاح به: انتبه الى نفسك، فعاد مسرعاً الى الحمام وارتدى لباسه الداخلي.

ومن الأمراض التي أصيب بها السجناء بشكل كبير مرض القرحة وهذا من الأمراض التي تحتاج الى العناية الخاصة في نوعية الطعام.

وكذلك مرض الغدد وخاصة في العنق والتي عانى منه الكثير من السجناء.

ومنها مرض الفطريات الذي يصيب المعدة.

ومنها دخول الأظافر تحت الجلد والذي يسبب ألماً شديداً.

ومنها التهاب الأسنان وهو أحد الأمراض التي كانت موجودة في السجن ما أدى إلى أن يقوم الكثير من السجناء بقلع أسنانهم الملتهبة.

ومنها تساقط الشعر وهو أحد الأمراض التي انتشرت داخل السجن.
هناك حالة حصلت أدت الى وفاة الأخ إبراهيم عبد الجليل، وهو من محافظة البصرة، كان إبراهيم يدرس في لندن وقد اعتقل مع أخ له بعد عودته من لندن، عبد القادر عبد الجليل هو أخو إبراهيم وهو أستاذ جامعي في جامعة البصرة، اعتقل بسبب هروب أخيهم الثالث إلى إيران، كان إبراهيم معي في مديرية الأمن العامة وشتان بينه وبين الأستاذ الجامعي، فإبراهيم إنسان مؤمن ملتزم يتمتع بأخلاق رفيعة والهدوء صفته الطاغية ومتواضع الى حد كبير.
أما عبد القادر وهو أستاذ جامعي وكان مهرجاً ومتكبراً وينظر الى باقي المعتقلين بأنهم أقل منه شأناً وصاحب نفسية مريضة، فهو ضعيف جداً أمام أفراد الأمن، لذلك عمل معهم واصبح منافقاً ينقل كل ما يحدث في زنزانات الأمن العامة الى أبي جواد.
أصيب إبراهيم بمرض في قدمه وقد أهمله أفراد السجن وكان عليهم إرساله الى المستشفى لتُبتَرَ قدمه على أقل الاحتمالات، تُرك يعاني من هذا المرض ولم يوفروا له أي علاج حتى علاج مخفف الآلام. إن من سلبيات هذا المرض أنه ينتشر في الجسم الى أن يقضي على صاحبه، وهذا ما حصل للأخ إبراهيم وهذا المرض هو ما يسمى بـ(الكنكري) وهو نادراً ما يحصل في العراق.
هناك أمراض أخرى أيضاً انتشرت في السجن مثل الربو وارتفاع ضغط الدم والسكر، وحالة واحدة هي السرطان أصيب بها الأخ سيد محمد هاشم أبو رضا من أهالي الناصرية.
كان الادهى والأمرّ والأكثر فتكاً في السجناء هو مرض السل الرئوي (التدرن) وهذا المرض هو أخطر الأمراض فهو مُعدٍ وينتقل بين السجناء بشكل سريع ومن خلال التنفس ومن خلال تناول الطعام معاً ومن خلال رذاذ المصاب بهذا المرض الذي يرافقه السعال، كثيرة هي العوامل التي تساعد على انتشار هذا المرض حتى أدى الى انتشاره في جميع الغرف، فلا تخلو غرفة من أكثر من إصابة، كنا نطالب بتوفير العلاج لهؤلاء المرضى، فالمصابون بهذا المرض يعانون من ارتفاع في درجات الحرارة لديهم وعدم الشهية للطعام، والتعرق والسعال وخروج البلغم مع الدم من صدورهم وهذه هي أخطر مرحلة يمر بها المصاب بهذا المرض. اضطر النقيب غالب وبعد مراجعات كثيرة الى فتح قسم خاص بالمصابين بهذا المرض وتحسين ظروفهم من مكان وطعام وتوفير العلاج لهم.
أن هذا المرض لا يمكن التخلص منه بهذه السهولة، فالجرثومة ظلت في القافات لذلك فالإصابات بهذا المرض استمرت وتزايدت وكل من يصاب ينقل الى القسم الجديد وهذا القسم كانوا يسميه أفراد الأمن الانفرادي ونحن السجناء نطلق عليه اسم "المحجر".
ازدادت الأعداد في هذا القسم ما جعل السجناء المصابين في هذا السجن يتكلمون مع النقيب غالب حول كثرة عددهم وأن هذا القسم قد امتلأ، ولا يستوعب أعداداً أخرى حتى اقتنع بفتح غرفة رقم واحد وإفراغها مما فيها وخصصت للمصابين بهذا المرض في ق١.
كانوا يعطونهم مواد غذائية إضافية مثل الحليب واللبن والبيض والفاكهة مع صرف العلاج لهم، من يتناول العلاج الذي يصرف له تنفتح شهيته الى الطعام، لذلك خصص لهم طعام إضافي.
مدة العلاج هي تسعة أشهر متواصلة، يدخل الغرفة واحد يتناول العلاج لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر بحيث يصبح مرضه لا يؤثر يعود الى غرفته ويُجلب غيره من المصابين الى الغرفة رقم ١. الدكتور علي العبيدي يبذل جهداً كبيراً لمعالجة المصابين، فكان يوجه المرضى لتناول العلاج ويقوم بتوزيع الطعام عليهم وحسب حاجتهم وإعطائهم علاجاً إضافياً يحتوي على الفيتامينات، كما قام الدكتور العبيدي بتوضيح أخطار هذا المرض ومن المحتمل أن يُصاب به أفراد الأمن وآخرون وهذا الكلام مع النقيب غالب وفلاح، كما قام

الدكتور علي وبعد حصوله على موافقة النقيب غالب على إرسال بعض المرضى الى المستشفى، كما قام بإجراء عمليات جراحية وتوجيه مراقبي الغرف بكيفية الوقاية من هذا المرض، العمليات التي كان يقوم بها أغلبها ناجحة ويشفى من مرضه على الرغم من الأدوات الطبية البسيطة التي كانت متوفرة لدى الدكتور علي، ومن هذه العمليات تلك التي أجراها للأخ لفته ولكن لم يُكتَب له النجاح، كان لفته عبد علي حالته ميؤوس منها وهو مصاب بالتدرن وتوجد لديه أكياس مائية في صدره وكانت هذه الأكياس تؤلمه جداً فطلب من الدكتور إجراء عملية لمعالجة هذه الأكياس بعد أن يئس الدكتور والمريض من المراجعات لمعالجته، وافق الدكتور على إجراء العملية فأخذ شفرة حلاقة وبعد تعقيمها بمواد بسيطة وفتح فتحة في صدر لفته وأخذ خرطوم المغذي الضعيف وأدخل أحد أطرافه في داخل الأكياس المتواجدة في صدره، ووضع الطرف الآخر لهذا الخرطوم في قنينة بلاستيكية ثبتها على ساق المريض فأخذ الماء بالنزول من الأكياس الى القنينة وكان لون الماء النازل من هذه الأكياس يميل الى الصفرة، طلب الدكتور من النقيب غالب أن يخرج هذا المريض الى الممر كي يستطيع المشي حتى يعيد شيئاً من قوته، كان يسير في الممر ذهاباً وإياباً ويقف أمام الشبكة مع السجناء فكنا نشاهد الماء ينزل من صدره الى القنينة، ولكن في النتيجة توفي بعد أن تفاقم المرض عليه، لفته عبد علي من أهالي محافظة البصرة قضاء المدينة.

المنافقون والمصير المحتوم

أكثر ما عانيناه خلال فترة إحدى عشرة سنة في السجن هو النفاق، وفي أي سجن وأي موقف تجد فيه المنافقين، وهؤلاء يعانون كما نعاني نحن من حيث التحقيق والتعذيب الجسدي والنفسي وضيق المكان ورداءة الطعام ووحدة المصير، وبالتالي فهو مهما تكن له من امتيازات في كمية المياه والطعام والكلام بدون قيد فهو سجين في النتيجة وأي خطأ يقع فيه، وإن كان من غير قصد فإنه يلاقي المصير نفسه الذي وقع فيه الكثير من السجناء.

إن هذه المشكلة ليس السجناء وحدهم يعانون منها فحسب، بل إنها مشكلة يعاني منها الشعب بأكمله وهذه الحالة، أي النفاق قام صدام بتشجيعها وكل فرد عراقي صغيراً كان أم كبيراً يعرف هذه المشكلة، ففي أي شعب وفي أية أمة وأي عصر وزمان هناك أشخاص ضعاف النفوس أو من يشعرون بنقص في شخصياتهم أو مرفوض في المجتمع لسبب ما كأن يكون سيء الأخلاق أو غيرها من الصفات المرفوضة في المجتمع، هؤلاء لهم مسميات كثيرة مثل: وكلاء السلطة، ومخبرون، وعيون السلطة، أو جواسيس، أو منافقون.

كنا في السجن نسميهم (المنافقون) لانطباق صفة المنافقين عليهم، وإن من يختار هؤلاء للعمل معه فهو منافق مثلهم، ويريد أن يحقق هدفه من خلال هؤلاء، ثم الانتقام منهم ولو بعد حين، وفي هذه الحالة فهو غير نزيه وأهدافه غير نزيهة وعدم النزاهة هي صفات المنافقين، وعلى هذا الأساس تجد السلطة في العراق استغلت هؤلاء المنافقين في كل مكان في العراق، وإن هذه السلطة غير النزيهة استغلت هؤلاء المنافقين في دوائر الدولة وفي المعامل والمدارس والجامعات والسجون والجيش والأكثر من هذا استغلت هؤلاء حتى في أجهزة حمايتها كالأمن والمخابرات، ومع كل الأسف أن العراقيين يعانون من هذه المشكلة أينما حلّوا وليس في العراق فحسب، بل وحتى في باقي الدول التي يتواجد فيها العراقيون، فتجد المصابين بهذا المرض والمجنَّدين من قبل السلطة يفتعلون المشاكل بين العراقيين في تلك الدول، وما حصل في مخيم رفحاء في السعودية لهو خير مثال على استغلال السلطة في العراق لهؤلاء المنافقين وكذلك في أمريكا وأوروبا واستراليا وإيران وسوريا وغيرها،

ويختلف هؤلاء المنافقون حسب الدولة، ففي بعض الدول تراهم يخلقون الفتن والمشاكل للعراقيين فيما بينهم، وأخرى تجدهم يتعاملون مع تلك الدولة لمضايقة العراقيين وجعلهم في دوامة المشاكل، وعلى هذا الأساس استغلت الحكومة العراقية هؤلاء المرضى للنيل من خصومها حتى في داخل السجن، وما فعله هؤلاء المنافقون من مضايقة وتعذيب للسجناء خير دليل على استغلالهم من قبل النظام؛ لتحقيق أهدافه في كسر معنويات السجناء وإذلالهم والنيل من كرامتهم وزرع روح الانهزام في نفوسهم وجعل الخوف من هؤلاء المنافقين يسيطر على تفكيرهم وبالتالي عدم القيام بأي عمل يغيّر من أوضاعهم ولكن عزيمة المؤمنين أقوى من أي شيء وعزتهم هي من عزة الله، وإن الله يمهل ولا يهمل وإنه لناصر المؤمنين.

إن هؤلاء المنافقين نسوا الله بسوء تعاملهم مع السجناء بهذا الشكل، وما حلّ بهم (المنافقين) في نهاية المطاف ينطبق عليه القول: إن الكفر يدوم والظلم لا يدوم، كما قال مولانا أمير المؤمنين (ع): (يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم).

إن ما حصل للمنافقين في منتصف الثمانينيات لو كانت لهم ذرة من الشرف والحياء ولو يحتفظون بقدر من الإنسانية والرجولة لقتلوا أنفسهم قبل ان يقتلوا من قبل ضحاياهم في السجن، انبرى لهؤلاء المنافقين بعض السجناء، وقلبوا الموقف ضدهم وأول ما حصل هو إدخالهم الى الغرف بعد أن نالوا قسطاً مما يستحقون من العقاب من قبل فلاح والنقيب غالب. أبدلوهم بسجناء غيرهم وغير متعاونين مع الأمن ليكونوا خدمات، في هذه الفترة حدثت ثورة في داخل الغرف على مراقبي الغرف (المنافقين) وقد تحملوا ضرباً لا يتحمله بشر من قبل السجناء ولولا المساءلة القانونية لقتلناهم وأرحناهم وارتحنا منهم، بعد أن انقلب عليهم الأمر حاولوا أن يبنوا علاقات مع السجناء، يا لهم من أغبياء لتصورهم أننا نسينا ما فعلوا بنا، وللأسف أنهم لم يبقوا معنا فترة طويلة فخرجوا الى الأقسام المفتوحة فقضاياهم تختلف فهم محكومون وفق مواد مختلفة باستثناء المادة (١٥٦)، ولكنهم قبل أن يخرجوا من الأقسام المغلقة نالوا قسطاً مما يستحقون، ولقنوا درساً بليغاً، ولكنهم لم ينالوا كل ما يستحقون، قبل أن يذهبوا أصبحنا نتحيّن عليهم الفرص كي نستغلها لمعاقبتهم وخاصة في ق٢ بعد أن انهزموا من ق١ فاستلمهم إخواننا هناك فتفننوا في خلق الأسباب كي يعاقبوهم، وفعلاً أخرجوهم من الغرف وأبرحوهم ضرباً أشد مما كانوا يضربوننا وأدموا أجسامهم ومنهم من كسرت إحدى أطرافه ثم وضعوهم جميعاً في المحجر الصغير في ق٢، وقد نالوا من العذاب ما اقترفت أيديهم الملطخة بدماء الأبرياء، وصل بهم الحال بأن يلتمسونا حتى نتركهم وشأنهم، أغلب هؤلاء المنافقين انتقلوا الى الأقسام المفتوحة، ومن هناك أطلق سراحهم في العام ١٩٨٦ بعد أن صدر قرار العفو، أما الذين لم يطلق سراحهم ولم يخرجوا من الأقسام المفتوحة فمنهم قُتِل على أيدي أفراد الأمن مثل حيدر التركماني[1] فقد ضربه النقيب غالب على رأسه وقتله في الحال في ق٢، وبعض هؤلاء ظل تحت طائلة العقاب بين فترة وأخرى مثل معمر حسين، وهذا المنافق أكثر المنافقين نال عقاباً، فبين فترة وأخرى يتعرض للعقاب، وإذا حان موعده لا يعرف من أين تأتيه الضربات وفي أي مكان من جسمه ستأتيه اللكمات، وظل على هذا الحال حتى حان موعد إطلاق سراحه بتوسط أحد أزلام النظام له، أما القسم الأخير فظلَّ يحاول تحسين صورته القبيحة أمام السجناء، وحاول أن يبيّن أنه قد تاب من عمله السابق، ونسي أن الأوضاع تغيرت لصالح السجناء ومن غير الممكن عودتها على ما كانت عليه سابقاً.

---

١ هذا الرجل قمة في الأخلاق الحميدة وله موقف مشرف في السجن

إن كل ما بذلوه ذهب أدراج الرياح وظلوا منبوذين بين السجناء ومحتقرين، وهذا هو جزاء أي منافق يتآمر على المجتمع الذي يعيش فيه.
إن ما حصل في السجن لهؤلاء المنافقين وما حصل للمنافقين الآخرين من تصفيات أثناء الانتفاضة بعد غزو الكويت دليل آخر يُضاف الى الدروس كي يستوعبها مثل هؤلاء المرضى، بأن هؤلاء لا مكان لهم في المجتمع وأنهم لا يستحقون العيش ومهما يطُل بهم الوقت ومهما تكن حجم المكاسب التي يحصلون عليها من جراء نفاقهم فحتماً يأت اليوم الذي ينالون فيه عقابهم مهما طال الزمن والدروس في التاريخ كثيرة.

محاولات التغيير

بعد أن امتلأت الأقسام المغلقة المتمثلة في ق١ وق٢ بالسجناء الذين اعتقلوا في نهاية العام ١٩٧٩ و١٩٨٠، وبداية العام ١٩٨١ وكانت أحكامهم تتراوح بين خمس سنوات والسجن المؤبد.
كان أغلب هؤلاء من حَمَلة الشهادات، ففي تلك الأعوام شُنَّت حملة اعتقالات شملت الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات والمدرسين وأغلب هؤلاء حُكِم عليهم بالإعدام.
أما البقية منهم فقد حُكِم عليهم بالسجن حسب ما ذكرناه في أعلاه، وضعوهم في القافات وكان من ضمن هؤلاء عالم الذرة العراقي الدكتور حسين الشهرستاني.
بعد أن امتلأت القافات شملت هؤلاء الوجبات المجهولة التي حصلت أواخر العام ١٩٨١ كما ذكرنا سابقاً والتي حصلت في الأمن العامة، أما الدكتور حسين فلم تشمله هذه الوجبات، بعد أن توقفت الوجبات استمرت محكمة الثورة بإرسال الأفواج من المعتقلين الى سجن (أبو غريب) فمنهم من يُرسَل الى قسم الإعدام، ومنهم من يُرسَل الى قسم الأحكام الخاصة (الأقسام المغلقة) (القافات). وعادت مرة أخرى لتمتلئ القافات بعد أن أُفرِغت من السجناء الذين أرسلوهم إلى مصير مجهول الى تاريخنا هذا.
إن الوضع الذي يعيشه السجناء من معاملة سيئة، ونقص في المياه والطعام وانتشار الأمراض، ووجود المنافقين بينهم، وفرض حالة من الرعب والخوف والإرهاب، كل ذلك جعل بعض السجناء في تلك الفترة يفكرون بالتخلص من هذا الوضع وبأعلى ثمن حتى ولو حدثت تضحيات بين صفوفهم لذلك حاولوا عدة محاولات لكسر حواجز الخوف والرعب والإرهاب، وقد نجحت تلك المحاولات في تحقيق أهدافها.

<u>المحاولة الأولى:</u>
كانت في العام ١٩٨٢ وهي في قمة التحدي على الرغم من التوقيت غير المناسب لذلك حققت نتائج عكسية ولعدة أسباب وسنوضح هذه الأسباب لاحقاً.
جاءت هذه المحاولة نتيجة الضغوط المتزايدة على السجناء وقساوة الظروف التي نعيشها.
قام السيد هاشم العذاري بعملية جريئة وتحدٍ كبير حينما دخل عليهم (حاتم) وهو أحد أفراد الأمن، وأراد أن يُهينهم داخل الغرفة، وهو يمسك بيده الهراوة، وأخذ يضرب السجناء، فنهض السيد هاشم ومسك حاتم وطرحه أرضاً، ثم التف عليه بقية السجناء وأبرحوه ضرباً حتى أرادوا أن يقضوا عليه فظلَّ يلتمسهم ويتوسل بهم بأن يتركوه وهو يصرخ ويقول: اتركوني فأنا أخوكم، كان معه أفراد الأمن الذين قاموا بإغلاق باب الغرفة وولّى هارباً مستنجداً، فأخبر النقيب غالب بما يجري، وعلى الفور حضر النقيب ومعه جميع أفراد الأمن وتوجهوا مباشرة الى الغرفة ١٧، وأخرجوا (حاتم) يلعق بجراحه وهو في وضع لا يُحسَد عليه، وتعرّض للتوبيخ من قبل النقيب غالب أمام السجناء، ثم قاموا

بـإخراج السـيد هاشـم ومـن معـه فـي الغرفـة وعـذبوهم عـذاباً شـديداً، لقـد أدمَـوا أجسـادهم، كانـت في ذلك اليوم مجزرة ارتكبها النقيب غالب بحق الغرفة ١٧.

بعـد أن كلّـت أيـديهم، وأعيـاهم التعـب حيـث بـانَ علـى وجـوههم، وأخـذ المـاء يتصـبّب منهـا، أمـرهم النقيـب بـالتوقف بعـد أن جعلـوا السـجناء يسـبحونَ بـدمهم وخاصـة السـيد هاشـم، أعـادوهم الـى غـرفتهم وفـرض علـيهم عقوبـات وهـم فـي داخـل الغرفـة، وجعـل الغرفـة ١٧ محجـراً، حيـث قـرر قطـع نصـف كميـة الطعـام والميـاه عـنهم، علـى الـرغم مـن قلـّته وهـي لا تكفـي للشـرب وقضاء بعض الحاجات فكيف إذا أصبحت النصف؟!.

إن الـذي حـدث فـي الغرفـة ١٧ موقـف مشـرف وبطـولي مـن قبـل السـيد هاشـم فـي تحـدي النقيـب غالـب وكسـر شـوكة حـاتم المتجبـر علـى السـجناء، إلا أنـه حقـق نتـائج سـلبية أكثـر، حيـث تعـرض جميـع مَـن كـان فـي الغرفـة الـى عقـاب شـديد، كمـا أصـبحت هـذه الحادثـة مهبطـة للمعنويـات لـبعض السـجناء ممـن كـان ينـوي القيـام بمثـل هـذا العمـل، وأصـبحت مَضـرب مثـل لـبعض ضـعاف النفـوس والجبنـاء، فكلمـا أراد أحـدنا أن يقـوم بعمـل شـيء يُقـال لـه: أسـكت وإلا يحصل بنا مثل ما حصل لهؤلاء. وقد سمعتها أكثر من مرة.

إن هـذه الحادثـة جعلـت جهـاز الأمـن يتشـدد أكثـر ويتعامـل بقسـوة أشـد، إن أسـباب عـدم نجاحهـا جـاءت بـدون سـابق إنـذار وفـي لحظـة غضـب، كـذلك عـدم التنسـيق غيـر الممكـن مـع بـاقي الغـرف لكثـرة المنـافقين بـين السـجناء، وعـدم مـؤازرة بقيـة الغـرف للغرفـة ١٧ فـي مـوقفهم، هـذا كلـه حصـل لاحقـاً، بخـلاف بعـض السـجناء الـذين أبـدوا تأييـداً فـي قلـوبهم، وجعلـوا مـن الغرفـة ١٧ مفخـرة لهـم، ولكـن دون أن يظهـروا هـذا التأييـد علـى ألسـنتهم أو عملهـم وهـذا لا يقدم شيئاً ولا يؤخر.

المحاولة الثانية:

أريـد أن أذكـر هنـا شـيئاً أثـاره فـي القافـات بعـض الأشـخاص حيـث اعتبـروا ق١ قـد سـبّب لهـم مشـاكل مـع الأمـن فـي محاولاتـه لكسـر حـواجز الخـوف وتغييـر الواقـع الـذي يعيشـونه، واسـتمر هـذا الكـلام حتـى تحقيـق الإنجـازات البـاهرة، وأقـول أيضـاً: إن مـا حصـلت مـن إنجـازات فـي الأقسـام المغلقـة أصـبحت محفـزاً لإخواننـا فـي الأقسـام المفتوحـة كـي يحسـنوا مـن الأوضـاع التـي يعيشـونها علـى الـرغم مـن أن وضـعهم أفضـل مـن الأوضـاع التـي نعيشـها، فبعـد أن أُفِـرغ ق١ وق٢ مـن المنـافقين، وتخلصـنا مـن شـرهم، خـرج سـجناء مؤمنـون ملتزمـون لا يتعـاملون مـع الأمـن إلا بمـا يخـدم السـجناء، وأصـبحوا خـدمات محـل المنـافقين وعلـى الـرغم مـن بعـض المؤاخـذات علـى بعضـهم وكـذلك تغييـر مراقبـي الغـرف، وأصـبحت الغـرف هـي التـي تختـار الشـخص الـذي يقـوم بخدمـة إخوانـه مـن السـجناء، ويتمتـع بـالجرأة والشـجاعة فـي حالـة تعرضـه لموقـف مـن قبـل أفـراد الأمـن. فـي هـذه الفتـرة حصـل بعـض التغييـر علـى وضـع السـجناء حيـث تمكنـا مـن الاتصـال ببقيـة الغـرف، والتعـارف فيمـا بيننـا وفـي هـذه الفتـرة وبعـد صـدور قـرار العفـو عـام ١٩٨٦ لـم يبـقَ فـي الأقسـام المغلقـة إلا المحكومـون وفـق المـادة (١٥٦). وصـل التفـاهم والتنسـيق بـين الغـرف الـى ذروتـه. لقـد أخـذ المـرض مأخـذه وعـدم اهتمـام جهـاز الأمـن بمعالجـة هـذه الأمـراض الخطيـرة فبعـد أن فتكـت بنـا نشـطت لـدينا الفكـرة فـي الانتفـاض علـى هذا الواقع الذي نعيشه.

إننـا يومياً نخسـر واحـداً مـن إخواننـا وبالتـالي فسـوف تقضـي علينـا الأمـراض إن رضـينا بهـذا الوضـع فلمـاذا لا نفعـل شـيئاً؟ عسـى أن نحقـق بعـض مـا نريـد بعـد أن تغيّـرت الأوضـاع بعـض الشـيء لصـالحنا، ففـي حالـة فشـلنا سـوف يتخـذون ضـدنا إجـراءات مشـددة وصـارمة فنكـون فـي هذه الحالة نحن الخاسرين أيضاً.

وأما إذا قبلنا بهذا الواقع المفروض علينا فسوف تقضي علينا الأمراض، إذاً في كلتا الحالتين نحن الخاسرون، فلماذا لا نرفض هذا الواقع ونقف موقفاً تاريخياً على أقل شيء، وإن لم نحقق أهدافنا.

في يوم الـ ٧ من شهر رمضان المصادف ١٩٨٧/٦/٥ توفي ضياء عبد الأمير في الغرفة ٥ (ق١)، كنت أنا في الغرفة ٦ وبعد عدة تنقلات في الغرف (ق١) حيث انتقلت بين الغرفة ١١، ١٢، ١٩، ٥، ٧ ثم عُدت الى الغرفة ٦.

توفي ضياء بسبب مرض ارتفاع ضغط الدم وعدم توفر العلاج له، انتشر الخبر بين الغرف فخيّم الحزن على الجميع، وأخذ بعضنا يلوذ بالبكاء، أصبحنا نترقب الأحداث وماذا سيجري وهل سيأتي أفراد الأمن ويأمرون الخدمات بوضعه فوق البطانية السوداء ثم يحملونه ويرمونه خارج القاف وينتهي الأمر، أ هكذا يكون مصيرنا جميعاً؟!، أم أن هناك شيئاً سيحدث مما كنا نفكر به؟!.

إن الذي حصل أكثر من المتوقع ولم يكن يخطر ببال أحد أن يقوم ق١ بهذا العمل البطولي والتحدي الكبير ليس لجهاز الأمن فحسب، بل للسلطة القابعة في بغداد وهي التي تعودت أن لا يقول لها أحد: (لا)، ولا يستطيع أحد أن يقف بوجهها، ثم الاتصال بدائرة الأمن من قبل الخدمات الجُدُد عبر الجهاز الذي وُضِع لهذا الغرض والحالات الطارئة، اتصل الخدمات وأخبروهم بأن أحد السجناء قد توفي فأهملوا الأمر، ولم يأتوا ما زاد في تشنج الوضع، وبدأنا نضغط على الخدمات بأن يتصلوا مرة أخرى؛ حتى يستجيبوا، ويأتوا ليأخذوا الجثة. اتصل الخدمات بالأمن ولم يستجيبوا لهم فتوتّر الوضع أكثر، وبعد مرور فترة من الوقت فُتِح باب القاف وطلب من الخدمات حمل الجثة الى الخارج، ولما أراد أحد الخدمات فتح الغرفة ٥ لحمل جثة المرحوم (ضياء)، كان السجناء جميعهم واقفين على الشبكة يتابعون الأحداث، كيف ستُحمَل جثته (رحمه الله) ، الموقف صعب جداً لاتخاذ القرار المناسب، كل السجناء وفي الطابقين كأنما على استعداد لشيء ما سيحدث، فتحت الغرفة ٥ ودخل أربع أشخاص من الخدمات لرفع الجثة، ووضعت الجثة على إحدى البطانيات ورفعوها، ولما أرادوا الخروج بها من الغرفة ارتفعت أصوات البكاء في الغرفة وهم يودّعون أحد أعزائهم.

خرج الخدمات بها من الغرفة والوضع كان مهيئاً ويحتاج الى شرارة حتى ينفجر وفعلاً جاءت هذه الشرارة من الطابق الثاني حيث كان أحد أقرباء ضياء في الغرفة ١٨ فهتف بالهتاف الذي يرهب المنافقين والظالمين وهو هتاف (الله أكبر)، وكنا ننتظر هذه اللحظات وبصوت واحد لم يسبق له مثيل في القافات هتف الجميع (الله أكبر)، دوّى هذا الهُتاف في القاف ولفترة طويلة فكانت مرعبة، حيث إن الأصوات التي هتفت وهي تشيّع عزيزها (ضياء) أرهبت وأرعبت أفراد الأمن الذين أخذوا الجثة وبشكل سريع، وأغلقوا الباب الرئيسي للقاف.

هدأت الأصوات، وسكنت الأنفس، واستقر كل شيء، وعم الصمت في القاف، وغرقنا في التفكير بالمصير الذي ينتظرنا هل سوف نكون مثل ضياء ويُقضى علينا واحد بعد الآخر حتى آخرنا، أم سيكون الموت بشكل جماعي بسبب هذا التكبير، وكنا نفضل الأخير باعتبار أننا نموت جميعاً مرة واحدة أفضل من أن يموت في كل يوم واحد، ونحن ننظر إليه، ولا نستطيع أن نقدم له شيئاً.

بدأ الحوار والمناقشات فيما بيننا حول تلافي الأخطار المحتملة، ووصلت الى حد المشاجرة الكلامية فيما بيننا كادت أن تشق الصف، فالبعض يقول: إذا فُتِح الباب وأرادوا إيذاءنا فعلينا أن نكبّر مرة أخرى وأخرى حتى نصل الى نتيجة مُرضية، والبعض الآخر

يقول: علينا ألا نكبّر مرة أخرى، بل نعالج الوضع بشكل هادئ. ونحن على هذا الحال منشغلون في الجدال الدائر بيننا، وإذا بالباب ينفتح من قبل سامي وهو أحد أفراد الأمن وكانت بيده هراوة واتجه نحو الغرفة رقم واحد، وقال لهم: مَن الذي كبّر، قالها بصوت مرتفع وهو مرتبك وظلّ يصرخ، نهض الأخ (ص) من الغرفة رقم عشرة وهي مقابلة للغرفة رقم واحد وأخذ يصيح وبصوت عالٍ بوجه سامي المرتبك ثم دوّت الهتافات مرة أخرى وهذه المرة أكثر من الأولى بعد أن ارتفع هتاف (الله أكبر) بوجه سامي ولّى هارباً الى خارج القاف، وأغلق الباب خلفه.

بعض الإخوة ذهبوا أكثر من هذا، فرفعوا هتافاً ضد النظام الحاكم وبالخصوص ضد صدام (يسقط صدام وعاش الخميني)، دخل النقيب طارق الذي حلّ محلّ النقيب غالب الدوري بعد أن اكتشفت فضيحته داخل السجن، وكثر الكلام حولها، دخل هذا النقيب الجديد حاملاً معه مكبّرة للصوت وقال: ماذا تريدون، بسببكم لم أستطع تناول فطوري، فكلامه هذا يريد أن يقول لنا: إنه صائم، إنه ادّعاء باطل لأن الإنسان الصائم لا يؤذي الناس. تحدّث معه بعض السجناء في الغرف الأمامية، وبيّنوا له أسباب ما حصل، إن ما حصل لم يكن تحدياً وإن ما حدث هو أن للمتوفى أقرباء وأصدقاء وأبناء منطقة، إضافة للكثير من المرضى الذين يتوقعون أن يكون مصيرهم نفس مصيره، وأن سامي قام بأعمال تستفزهم، وقال لهم: سوف نقتلكم جميعاً، فقال النقيب طارق: ما هي مطالبكم، فقلنا له: العلاج والشمس وزيادة في الطعام وتحسين نوعيته وتخفيض الأعداد بفتح أقسام أخرى وزيادة كمية المياه، ونقل (سامي) وفعلاً تحققت بعض هذه المطالب، وكان ضمن مطالبنا مواجهة عوائلنا. تم نقل سامي وتنظيف ساعات القافات الصغيرة المتراكمة فيها القمامة والمياه المتسربة من المجاري كذلك تم إصلاح هذه المجاري وتحسّن وضعنا الصحي، وخرجنا الى الشمس في كل يوم ٤ ساعات.

في الحقيقة إن ما حصل من تحقيق بعض أهدافنا، إنما هي إرادة الله تبارك وتعالى، وتدخله في تغيير وضعنا بعد أن وصل بنا الأمر من التعاون فيما بيننا وإخلاصنا في عبادتنا وعدم ركوننا للظالمين، فاستجاب لنا ربنا ونصرنا وحقق لنا ما كنا نبتغيه.

المحاولة الثالثة:

بعد المحاولة الثانية تحققت لنا بعض المكاسب، ومنها المواجهة لبعض السجناء من أهالي بغداد، وقد استطاعوا من خلال عوائلهم أن ينقلوا أخبار بعض السجناء الى أهلهم، وبعد فترة توقفت هذه المواجهة علماً أن معظم السجناء لم يواجهوا عوائلهم وأنا كنت من ضمن هؤلاء.

ساءت الأوضاع في داخل القافات وخاصة بعد أن انقطعت عنا الأدوية - بالمناسبة كنا نقيم احتفالات، ونقوم بصُنع حلويات من الخبز اليابس والسكر، ويتم توزيعها بعد نهاية الحفل ويتضمن الحفل كلمات وقصائد شعر شعبي وعمودي، ووصلت بنا الحالة لأن نقوم بعرض مسرحيات تسخر من صدام ونظامه، كذلك نقيم مجالس تعزية في ليالي الجُمَع وفي المناسبات. في هذه الفترة بدأ جهاز الأمن بممارسة الضغوط علينا من خلال إعادة دور المنافقين؛ حتى يُعيد سيطرته على الأقسام المغلقة.

في يوم ١٩٨٨/٢/١٥ استدعوا المنافق معمر - الذي لم يشمله العفو في سنة ١٩٨٦ - الى دائرة الأمن؛ ليستفسروا منه عن وضع ق١ - في هكذا حالات أي من يستدعى من قبل الأمن فإننا نعرف أنه سينقل كل ما يحدث في الغرف صدقاً كان أو كذباً، وأثناء خروج

معمر من ق١ حتى عودته كان ق١ يغلي، وأنه مهيّأ للقيام بثورة لرفض معمر وكل من يحاول أن يكون مثل معمر.

كان الاتفاق في حالة عودة معمر الى القاف نرفض أن يدخل الى القاف مهما كلف الأمر، وفي أول لحظة دخول معمر الى ق١ ارتفعت الأصوات لرفض هذا المنافق ثم تحولت الى تكبيرة ورفع شعار (الله أكبر)، حاول بعض الإخوة تهدئة الأوضاع، فلم يستطيعوا لأن الأكثرية كانت لا تستجيب لنداءاتهم، علَت الأصوات (أخرجوا معمر من ق١)، فذهبوا به الى ق٢، فحصل معهم مثل ما حصل في ق١، كان ق٢ قد استفسر عن الأوضاع داخل ق١ فقام بعض السجناء من ق١ ومن خلال الشبابيك بتوضيح ما يحصل في ق١ الى إخواننا في ق٢، وهكذا كان الأبطال في ق٢ قد ساندوا ق١، ورفضوا معمر، فذهبوا به الى الانفرادي وطُوِّق السجن بقوات مسلحة، وأخذوا يطلقون النار في الهواء، عاد النقيب طارق؛ ليتفاوض معنا ،فشرحنا له سبب رفضنا لمعمر، فقلنا: إن معمر يكذب عليكم، ويختلق، ويلفّق أشياء لم تحدث وذلك لمرضه النفسي وأنتم تصدقونه ولا تسمعون لنا وبالأحرى إنكم لا تمنحوننا الفرصة للدفاع عن أنفسنا، ونحن لنا بعض المطالب، هي المواجهة لكل السجناء، وتحسين الوضع الصحي، والشمس، وتحسين نوعية الأكل والملابس، وهذه كلها لم تنفذ، فوعدنا النقيب طارق بأنه سيعمل على تنفيذ ما طلبنا منه.

المحاولة الرابعة:

بعد كل هذه المحاولات الناجحة ذهب هاجس الخوف، وأصبح شبه اتفاق بين السجناء في حالة حدوث أي شيء، أو عدم التجاوب معنا فستكون التكبيرة هي العلاج، كما وصلت بنا حالة عدم الخشية من هؤلاء الى ذروتها بفضل ما حصل في الماضي، وما تحققت لنا من مكاسب بعد أن كان الخوف يسيطر علينا، كانت الغرفة ٩ من ق١ تنذر بشيء ما سيحدث.

في يوم ١٩٨٨/١١/١٨ مساءً توفي السيد علي حمادي أبو عامر بشكل مفاجئ ولم يكن مريضاً، حيث قام ليغسل يديه وبعد أن تناول وجبه العشاء وتلاطف مع السجناء الذين كانوا معه كعادته، بعدها جلس في مكانه وبكل هدوء توفي. انتشر خبر وفاة أبي عامر بالقاف فأثار عواطف السجناء.

كان السيد أبو عامر محبوباً بين السجناء فهو كبير في السن وصاحب لحية بيضاء وقور يحب مَن حوله ويداعبهم بكلماته اللطيفة والكل يحترمه... عندما أخرجوا جثة السيد علي حمادي محمولة تفجرت العواطف ولا أحد يستطيع أن يخمد الثورة على الرغم من موقف بعض الإخوان الرافض لأي تصادم مع رجال الأمن، حيث هتفت الحناجر بهتاف (الله أكبر لا إله إلا الله) ضاعت كل صيحات المهبطين للمعنويات التي حاولت إخماد الثورة.

هكذا شُيِّع السيد علي حمادي وهو من محافظة البصرة، رحل هذا السيد الجليل كي يلتقي مع ولده الطبيب الدكتور عامر وهو لا يعلم أنه قد سبقه الى جنة الخلد حيث أعدمه النظام، بعد هذا التشييع للسيد أبي عامر دخل النقيب طارق الى ق١ وقال: لماذا تفعلون هكذا، ماذا تريدون، لقد حققنا لكم ما أردتم فماذا تطلبون بعد هذا؟!، فكان جوابنا: أن السيد علي توفي بسبب ما يعانيه من وضع نفسي لعدم مواجهته لعائلته وأن كثيراً من السجناء لم يواجهوا إضافة الى أن الكثير من مطالبنا لم تنفذ والتي نفذت ليست بالشيء المطلوب، فوعدنا خيراً، وذهب.

المحاولة الخامسة:

يحاول رجال الأمن بين فترة وأخرى فرض حالة من الضغط علينا ولأتفه الأسباب، أو لاختلاق الأسباب لإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه ولكنهم يصطدمون بإرادة صلبة،

تحققت هذه الإرادة نتيجة المحاولات السابقة، وأصبحت لدينا القوة في الموقف بعد نهاية الحرب وتحسن العلاقة بين إيران والعراق بالحفاظ على كل المكاسب التي تحققت وإننا لا نضحي بها لسبب بسيط.

في تاريخ الـ ١٩٨٩/٦/٢٠ كان كل السجناء في الساحة وإذا برجال الأمن أمرونا بالدخول الى الغرف، فرفضنا فأخذوا يضربوننا، كان دخولنا يعني أننا نفقد إحدى المكاسب التي حققناها، كان سبب طلبهم دخولنا الى الغرف هو تقرير من أحد المنافقين الذي لم يستوعب الدروس التي لُقِّنت للذين من قبله، وهذا المنافق هو حازم يحيى من بغداد . دخلنا الى القاف، ولم ندخل الغرف، وظلت الغرف مفتوحة فدخل غازي وهو أحد رجال الأمن، وطلب منا الدخول الى الغرف، فرفضنا طلبه وقلنا له: اذهب، ونحن نريد مسؤولاً أكبر منكم جميعاً وأكثر صلاحية. استمر بطلبه بأن ندخل الى الغرف، ونحن نرفض طلبه وبصوت واحد وبكلمة واحدة لن ندخل، فقال: هل هذا تمرُّد. في هذه اللحظات حدث شيء لم نكن مستعدين له حيث دخل النقيب طارق ومن معه من رجال الأمن في الدائرة الى ق١، وكانوا يحملون بأيديهم الهراوات، وأخذوا يضربون السجناء، حصل إرباك في الموقف، وتراجعنا إلى آخر القاف، وهذا ما جعل رجال الأمن يزيدون ضغطهم على السجناء، حيث قام أحدهم وهو نديم يتعقب السجناء بعد أن أصبحوا في وسط القاف أصبحت المبادرة للانقضاض عليهم بأيدينا، وهم لا يتجاوز عددهم العشرة، وعددنا كبير بنحو (٧٠٠) سجين فهل نتركهم يهينوننا بهذا الشكل ونقضي على كل المكاسب التي تحققت، فجاء الجواب ومن الطابق الثاني: موتوا أيها الإخوة جميعكم ولا تتركوهم يهينونكم بهذا الشكل، ونادى بصوت مرتفع إنها الشهادة استشهدوا أيها الأخوة. دبّ الحماس لدى الجميع، ثم نادى الله أكبر وعلت الأصوات بالتكبير، ثم بدأت العُلَب الزجاجية والمعدنية المعبّأة بالمعلبات وأكياس الزبالة (الفضلات) والأحذية تنهال على رؤوس طارق وعصابته من الطابق الثاني ومن الغرف في الطابق الأول أصبح رجال الأمن في الهزيمة كالغزال. تحوّل الموقف الى شيء مضحك لمن يشاهد هزيمتهم، فوضع طارق يده فوق رأسه يصدّ الأحذية عن رأسه وهو يهرول الى خارج القاف. أما (شلال) فكان بديناً جداً وله بطن قد تدلّت أمامه فكان أسرعهم في الهزيمة باتجاه باب القاف والسجناء يلاحقونه ويضحكون، حيث كان وضعه أكثر إثارة للضحك، وبعد أن هربوا جميعهم تاركين أحدهم داخل القاف وهو نديم لأنه كان في الطابق الثاني، حيث أخذ قسطاً من الضرب بالأيدي والعصي التي كانت بأيدينا لم يستطع الخروج وظل محشوراً في باب القاف نصف جسمه داخل القاف والنصف الآخر في الخارج والطرفان يضربانه. رجال الأمن تصوره أحد السجناء، فانهالوا عليه ضرباً ونحن نضربه بكل ما جاء بأيدينا، قام أحد السجناء بدفع عربة الزبالة الموجودة في مقدمة القاف، وأراد أن يضربه بها كي ينفتح الباب، ونخرج وكان هذا الأخ متشدداً جداً، فمنعه الأخ عقيل كوفة مسؤول الخدمات وقال له: إن هذا العمل غير صحيح، وإذا فعلت هذا فسينقلب الموقف ضدنا، بعد أن تعرف عليه أصحابه فتحوا له الباب قليلاً وسحبوه وكفانا الله شره؛ لأنه إذا بقي على هذه الحالة فسيموت.

أغلقوا الباب ثم جاؤوا بـ(آلة اللحيم) فلحموا الباب والشبابيك المطلة على الممر، ثم وضعوا قطعة حديد طويلة على الباب، فكان أحد أطرافها على الباب والطرف الآخر وضعوه على حائط الممر المقابل للباب، وحسب توقعهم أننا لا نستطيع دفع أو قلع الباب، إنهم خائفون ومرتبكون ولا يعرفون كيف يعالجون الموقف، استمر التكبير والتهليل (لا إله إلا الله).

علماً أن هناك بابين آخرين أحدهما يوجد في آخر القاف وبجانب الغرفة رقم ٥ مقابل الغرفة ٦ التي كنت فيها، يؤدي الى الآخر وكان إغلاقهما محكماً، إذاً لا منفذ للخروج، أخذنا ننظر إليهم من الشبابيك فكانت هناك قوات مكثفة تتواجد في الساحات وفوق سطح السجن،

وعرفنا فيما بعد أن جميع سجن "أبو غريب" قد طُوِّق بقوات من رجال الأمن والشرطة والجيش الضاربة، كانت أسلحتهم البنادق والقنابل اليدوية، كانوا يطلقون النار في الهواء وبشكل مستمر، فقلنا نحن (الواقفين): إنها نهايتنا في هذا اليوم، ففي هذه اللحظات المؤلمة ارتكبت خطأ حيث لم أتمالك أعصابي، فصرخت بهم من خلف الشباك، جبناء من تقابلون بهذه القوة، فوجّه أحدهم بندقيته وصوّبها نحو الغرفة التي أنا فيها، وكانت الغرفة ١١، وأطلق النار علينا والحمد لله طاشت رصاصاته، لم تُصِب أحداً منا وجاءت بجانب الشباك حيث خرجنا في اليوم الثاني الى الساحة وأخذت معي (ص، ج، م) وهو أحد أقاربي وقلت له: انظر الى هذه الآثار في الحائط كانت الرصاصات قد تركت حُفَراً في الحائط ولو أنها وصلت في يوم أمس الى صدري لما كنت معك الآن.

بعد أن أطلق النار نحونا انسحبنا من الشباك، وفي هذه اللحظات ألقوا علينا في داخل القاف قنابل مُسيّلة للدموع، وكان عددهن اثنين سقطت واحدة أمام الغرفة رقم واحد وواحدة أمام غرفة الخدمات، انتشر الدخان في القاف، ونزلت من الطابق الثاني، وذهبت الى الغرفة ٦، وكنت مراقباً في هذه الغرفة، الجميع قد توجهوا الى القبلة، وأخذوا يقرؤون الأدعية والزيارات وخاصة زيارة الإمام الحسين (ع)، كان الأخ (س، خ، د) يقرأ الدعاء وكأنه يرى الله أمامه، ويتكلم معه، لم أشاهد توجهاً بإخلاص وفي جميع الغرف مثل ما حصل في ذلك اليوم. ازداد حجم الدخان، ودخل الى الغرف فأغمي على الكثير من السجناء، خرجت من الغرفة فوجدت الأخ عباس عويل في باب الغرفة رقم ٧ وهو مراقب في هذه الغرفة، ذهبنا معاً الى مقدمة القاف، وكان عقيل كوفة واقفاً بالقرب من القنبلتين وبيده بطانية فقال لي: جميل خذ هذه البطانية وبلّها بالماء، فأخذتها والأخ عباس عويل وسكبنا عليها الماء بحيث جعلناها تقطّر من الماء. كان بعض السجناء متجمعين حول القنبلة يعالجون الموقف لإيقاف الدخان، فأخذوا البطانية من بين أيدينا، ورموها على القنبلة التي أمام الغرفة رقم واحد ثم سحبوا البطانية والقنبلة التي تحتها، ووضعوها فوق القنبلة الثانية، كان عقيل واقفاً وبيده دلو معبأ بالماء فسكبه فوق البطانية، توقف الدخان، ودموعنا كانت تسيل، ونشعر بحرقة في أنوفنا وحناجرنا على الرغم من أننا كنا نضع الكمامات على وجوهنا باستثناء العيون، وكانت هذه الكمامات عبارة عن قطع قماش قد غسلناها بالماء وتركنا الماء فيها ولم نجففها منه.

إن رحمة الله قد حفتنا وحمتنا من بطشهم ولولا هذه الرحمة لكنا في خبر كان، لأنهم لو اتخذوا القرار على الدخول الى القاف لكان الموقف ليس لصالحنا بسبب حالات الإغماء التي حصلت للكثير من السجناء والباقين لا يستطيعون فعل شيء، في أثناء هذه الأحداث تكدست العلب وأكياس الزبالة والأحذية في ممر القاف، وكذلك قام بعض السجناء بتمزيق صور صدام الموجودة في القاف، ورُميَت في الممر، وهذه تعتبر نقطة ضعف ودليل على ما قمنا به فيجب التخلص منها، الجميع دخل الى الغرف ينتظر ماذا سيحدث، ولا يوجد أحد في الممر إلا القليل، فقمنا أنا والأخ عباس عويل وزعفور واثنان آخران لم تسعفني الذاكرة بذكر أسمائهم بتنظيف القاف من أمام الغرفة ٦ الى الباب الرئيسي، ووضعنا كل ما جمعناه في براميل الزبالة، ووضعنا صور صدام تحت هذه الزبالة لإخفائها، ثم قمنا بغسل القاف وأصبح القاف نظيفاً ولا توجد عليه أي علامة تدل على الأحداث التي حصلت. بقينا في حالة ترقب وانتظار لما سيبدر منهم بعد أن تلاشى الدخان وخرج من الشبابيك الى الخارج.

ساحة ق١ الصغيرة لها باب يؤدي الى الممر، في هذه الأثناء عقدنا اجتماعاً نحن المراقبين في الغرفة ١٦، وتباحثنا حول الأجوبة التي سنتفق عليها جميعاً في حال مجيئهم للتفاوض معنا، وكان الاتفاق أن نتعامل معهم بمنتهى الدبلوماسية وضبط النفس، وتكون مطالبنا بعيدة عن السياسة وضمن حقوق السجين المشروعة، ومنها الخروج الى الشمس

لوقت أكثر والمواجهة تكون عامة ولكل السجناء والزيادة في الطعام وتحسين نوعيته وجلب العلاج للمرضى وحسن المعاملة من قبل أفراد الأمن، وهكذا تم الاتفاق على هذه النقاط في هذا الاجتماع، فتح باب ساحة ق١ المطل على الممر وإذا بهم يندفعون أفواجاً الى ساحة ق١ اندفعت مجموعة كبيرة من الحماية بالزي العسكري يحملون سلاحهم بأيديهم، ثم دخلت مجموعة من المسؤولين، وكان معهم النقيب طارق وجميع أفراد الأمن، كان طارق يتكلم مع المسؤول الكبير ويشير الى الشبابيك، كنا نحن واقفين في الغرفة ٣، وأغلب الموجودين هم مراقبو الغرف، أراد (تحسين) وهو المسؤول الكبير الذي جاء من القصر الجمهوري في بغداد الاقتراب من الشباك فمنعه طارق وقال له: سيدي إنهم سيضربونك فردّ عليه (باسم الحيدري) أبو مرتضى وهو مراقب غرفة ١٧ تفضل يا أستاذ اقترب حتى نسمعك وتسمعنا ونحن لا نريد شيئاً تعجزون عن تنفيذه. كنت واقفاً بجانب الأخ باسم فتحدث مع تحسين بأسلوب دبلوماسي وجذاب وعرض عليه بعض مطالبنا، فقال تحسين لباسم: تستطيع أن تجعل السجناء يدخلون الى الغرف وتقفلون الغرف، فأجابه أبو مرتضى (باسم): نعم، فقال تحسين: تعطونني الأمان في الدخول، فقال له: نعم، لك الأمان يا أستاذ، فقال تحسين: إذاً قُلْ لهم أن يدخلوا الى غرفهم، فخرجنا من الغرفة ٣ ونادى باسم بالقاف: أيها الإخوة أرجوكم ادخلوا غرفكم، وسنتفاوض مع هذا المسؤول الذي جاءنا من القصر الجمهوري، وإن شاء الله سوف يكون خيراً.

دخلنا جميعاً، ففتح الباب الخلفي لقاف واحد وتكدّس المسؤولون والحماية في الممر الصغير الواقع بين البابين الخلفيين، بعدها أمر تحسين بأن يقوم النقيب طارق بالتأكد من غلق الأبواب، فتقدم طارق نحو الغرفة ٦ وليس كما ذكر الأخ سليم العراقي: ومن شدة الإرباك الذي كان يسيطر على هذا الضابط لم يفرق بين الشبكة والباب، حيث ترك باب الغرفة ٦، ومسك الشبكة وهزّها، ثم انتبه الى نفسه، فعاد وأمسك الباب، وتأكد من إغلاقه. دخل تحسين الى القاف، وأخذ يسأل السجناء، واطلع على مطالبنا، فقال موجهاً كلامه الى النقيب طارق: ما هذا الذي أسمعه، إنهم لا يطالبون إلا بحقوق مشروعة، أين الأبواب المكسرة؟ أين التمرد الذي تدعونه؟، فطأطأ برأسه الى الأرض ثم قال تحسين: سوف يكون ما تريدون، وأنا لم أشاهد منكم إلا التعامل الحسن. بعد هذه المحاولة تحققت لنا مكاسب كبيرة، ونُفِّذت كل مطالبنا، فكانت المواجهة لكل السجناء، وفتحت الأبواب من الصباح حتى المساء وفي الجُمَع والعُطَل، ونقل النقيب طارق وتم تخفيف الأعداد بفتح أقسام أخرى، وتحسنت نوعية الأكل، وتوفر العلاج وبشكل يسد الحاجة.

المواجهة*

قبل أن يحصل أي تحسن في أوضاعنا عملت بعض عوائل السجناء ممن لهم علاقات وأموال تمكنهم من أن يدفعوا ما يطلب منهم من مبالغ لكل زيارة يقومون بها الى ذويهم في سجن (أبو غريب)، كان عدد هؤلاء قليلاً، ففي كل قسم كانوا في أول الأمر ٢ أو ٣.

كانت الآثار بين السجناء سارية المفعول وإن هؤلاء السجناء الذين حصلوا على مواجهة عوائلهم استطاعوا أن يغيّروا من أوضاع الغرف التي يعيشون فيها، بدورهم نقلوا الأوضاع التي يعيشها السجناء الى عوائلهم، فكانت عوائلهم تتعاطف مع السجناء، ولذلك كانت هذه العوائل تجلب مواد غذائية متنوعة وبكميات كبيرة من يشاهدها لا يصدق أن هذه المواد كلها لشخص واحد، إضافة الى جلب الملابس والعلاج لبعض الحالات وقد ساهموا في

* يعني هذا المصطلح الزيارة التي قامت بها عوائلنا في السجن

تخفيف بعض معاناة السجناء على الرغم من أن هذه المساهمة كانت بسيطة ولا تلبي إلا القليل مما يعاني السجناء منه.

إن هذه المساهمة من قبل هؤلاء الأشخاص تعتبر مجازفة لوجود المنافقين بيننا، ففي حالة معرفة جهاز الأمن أن هؤلاء الأشخاص يقدمون المساعدة للسجناء فإنهم يتعرضون للمساءلة والحرمان من مواجهة عوائلهم، فاستمرت هذه الحالة، وأخذت بالازدياد، حيث زاد عدد هؤلاء، أحد السجناء في الغرفة ٦ من البصرة حصل على هذه المواجهة، كانت حالة أهله المادية متواضعة، وعرفنا ذلك من خلال ما يجلبون له من أكل وملابس وبعض المستلزمات، كان (ن، ع، أ) صاحب المواجهة يقوم بتوزيع ما يأتي به أهله على الموجودين في الغرفة وبالتساوي، في إحدى مواجهاته جلبوا له دجاجة وثلاثة أرغفة من الخبز وفي وجبة الغداء وبعد أن تسلمنا الطعام الذي كان يجلبونه لنا قمت بتوزيعه على المجاميع، كان (ن، ع، أ) معي في المجموعة وقبل أن يتم التوزيع قال لي: نوزع هذه الدجاجة والخبز على المجاميع الذين كان عددهم ٤٢ سجيناً في الغرفة ٦، قمنا بتوزيع الدجاج مع الخبز عليهم وبالتساوي، وناله كما نال أي سجين في الغرفة، ولم يفضل نفسه أو مجموعته على الآخرين، مجموعتنا كانت خمسة أشخاص. إن المكسب الذي حصلنا عليه بعد حادثة وفاة المرحوم (ضياء) هو مواجهة أهالي بغداد وذلك بعد هذه الحادثة بأيام قليلة، وفي يوم عيد الفطر يوم ١٩٨٧/٦/٢٨ حصلت هذه المواجهة لأهالي بغداد فقط وعلى شكل وجبات وحسب المناطق أو دوائر الأمن الفرعية في بغداد. في هذه المواجهة فُتِح لنا الباب لتغيير الأوضاع في داخل السجن، ورفعت بعض المعاناة التي كنا نعانيها ولكن من جانب آخر اشتدت المحنة بالنسبة لباقي السجناء بسبب عدم مواجهتهم لعوائلهم.

بعد الحدث الكبير الذي حصل في ١٩٨٧/٦/٢٠ نادوا بأسماء وجبة من السجناء وجميعهم من البصرة، فذهبوا بنا الى ساحة مسقفة تسمى الجملون وهناك تجمعنا، وفتحوا الباب المؤدي الى الممر، وبدأت العوائل تدخل الى الجملون تباعاً.

القادمون يحملون على ظهورهم وبين أيديهم الأشياء التي جلبوها معهم لأبنائهم، حصلت بعض المواقف التي تثير العواطف، فبعضنا لم يتعرف على أمه والآخر لم يعرف والده وشخص ثالث لم يعرف زوجته وأطفاله، أما أنا فمر والدي من أمامي ولم أعرفه وكذلك هو لم يعرفني، فبعد هذه السنين الطويلة التي وصلت بحدود ٨ سنوات، وصل والدي الى آخر الجملون وأنا في الأمام كان الأخ (ح، م، ي) في آخر الجملون وهو من منطقتي قد تعرّف على والدي وشاهدته يتعانق مع والدي ولم أعرفه، فقلت من هذا الرجل بعد أن أنهى الأخ (ح، م، ي) سلامه عليه ناداني فذهبت إليه كان والدي ينظر إليّ وأنا لم أهتم به فكنت مشغولاً بالاستفسار عن هذا الرجلين فقال (ح، م، ي) سلم على أبيك فشاهدت دموع والدي تسيل من عينيه، احتضنته واحتضنني لفّ يديه على جسمي، وسقطنا نحن الاثنين على الأرض ولا أحد منا يتكلم، مضت لحظات ونحن على هذا الحال، ثم مسكته من يديه، ونهضنا سوية، وذهبت به الى المكان المخصص لي، وقد فرشت بطانية على الأرض كي نجلس عليها، فسألته: من الذي جاء معك؟، فقال: والدتك وابنة عمتك، وبعد مرور ربع ساعة تقريباً وإذا بأمي تدخل، فأشار إليها أبي ها هي أمك، فنهضت واستقبلتها، والدتي تعرفت عليّ احتضنتني وهي تبكي وأخذت تشم في عنقي لم أستطع أن أخلص رأسي من بين يديها، فقلت لها: أماه فلنجلس وأضع رأسي على صدرك وأفعلي ما تشائين، فأخذت أسحب بها نحو المكان الذي يجلس فيه أبي، وصلنا وبشق الأنفس جلسنا، وضمت رأسي على صدرها، وأخذت تفتش في ظهري وصدري وقدمي ويدي ورأسي وقالت: ماذا فعلوا بك، هل ضربوك؟ هل عذبوك؟ وماذا كنت تأكل، لقد تغيرت معالم وجهك كدت لم أعرفك ولولا قدومك نحوي، دخلت ابنة عمتي، وسلمت عليها، ثم جلست وكان أخوها معي سألتني

عنه فقلت لها: إنه موجود وسوف يواجه في الأسبوع القادم. سألت والدي عن أخوتي، فقال لي: إن أخاك كان هنا في السجن وكنا نواجهه وفي أثناء خروجنا يكون في توديعنا يوصلنا الى باب مغلق يقول لنا: إن جميلاً داخل هذا الباب، فكنا نقف نبكي، ثم نذهب وقد أطلق سراحه عام ١٩٨٦.

ثم أردف قائلاً: أما أخوك الآخر فقد اعتقل في مديرية أمن البصرة، وظل بحدود ستة أشهر، ثم أطلق سراحه، وقد تزوج وله طفل، ثم سألته عن أبناء عمي وأقربائي لما سمعت ابنة عمتي سؤالي ظلت تبكي، فقلت لها: لماذا تبكين، فقالت وهي تبكي: إن عباساً أعدم، فبكينا جميعاً وعباس هو أخوها، بعدها قلت لها: أنا أعرف هذا، استمرت والدتي وابنة عمتي بالبكاء، وأما والدي والذي استغل هذا الموقف، وهمس بأذني وقال: إن فلانة قد تزوجت بعد أن أجبرها خالها، وقد تزوجت فلاناً، وهذا الشخص صديقي وأحد أقاربي، وقال والدي: إن الناس يعتقدون أنكم معدومون، ونحن لا نستطيع أن نقول: إنك موجود، فقلت له: يا أبي أنا الآن غير الذي كنت تعرفه فقد تغيّر تفكيري وطريقتي لحب الناس، وإن المسألة طبيعية جداً أن تتزوج فلانة، فماذا تنتظر بعد مرور ٨ سنوات، ولا علم لها أين أنا، هل أنا على قيد الحياة أم لا، عادت أمي وسألتني عن أوضاعنا، وكيف مضت هذه السنون عليكم، فشرحت لهم كل الأوضاع التي عشتها من أول يوم اعتقالي وبشكل مختصر، وتجنبت المواقف المأساوية؛ مراعاة لمشاعرهم، نادى أحد أفراد الأمن بأن الوقت قد انتهى وهو ساعة ونصف، ودّعتهم، فشعرت بالسعادة على وجوههم بعد أن اطمأنوا عليّ، حمّلوني التحية والسلام الى ابن عمتي وذهبوا.

العصر الذهبي

إن الوضع الذي كنا نعيشه في بداية الثمانينات تغير تدريجياً ولكن ما حصل في العام ١٩٨٧ أي بعد حادثة وفاة ضياء عبد الأمير هو بداية التغيير الجذري للأوضاع التي نعيشها، الأمراض التي كانت منتشرة في السجن بعضها قُضِيَ عليه كالأمراض الجلدية والقُرّاد، وخفت حالات أخرى كالتقطير الذي وضحناه سالفاً ومرض التدرن. كان ذلك بعد أن صُرِف العلاج للمصابين بأمراض مختلفة، وخاصة التدرن، أخذ المرض يضمحل بعد صرف العلاج بصورة منتظمة للمصابين وحتى المشكوك في إصابتهم، وقد طُوِّق هذا المرض بعزل المصابين في القسم الانفرادي وغرفة واحدة وكانت دورة العلاج لهذا المرض هي تسعة أشهر، والعلاج الذي صُرِف لهم الريفادين وبعض الأدوية المقوية التي تحتوي على الفيتامينات وأخرى مشهية لتناول الطعام وفي هذه الطريقة لم تحدث إصابات جديدة حتى إطلاق سراحنا، وساهمت في القضاء على هذا المرض توجيهات الأطباء السجناء للمرضى ولمراقبي الغرف في كيفية التعامل مع هذا المرض والمصابين، وكانت المراجعات لا تنقطع من قبل الأطباء والخدمات ومراقبي الغرف لدائرة الأمن لتوفير العلاج واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة هذا المرض، ولكن فوق كل هذا كانت رعاية الله تحيط بنا ولم تفارقنا، وإلا كيف لا يُصاب الجميع وهم يعيشون في جو موبوء بهذه الأمراض المُعدية والخطيرة.

توفرت المياه بكثرة وبشكل طبيعي بعد أن أصلحت شبكة المياه، فأصبح في كل غرفة أنبوب ماء نتحكم في فتحه وإغلاقه، وأصبحنا نستحمّ بشكل يومي في أيام الصيف على الرغم من أن زيادة الاستحمام يزيد من رطوبة الغرفة، وكذلك غسل الملابس أصبح يومياً وحسب الحاجة. أما الشتاء فالماء بارد ولا نستطيع الاستحمام، كما أجبرنا على تأسيس الكهرباء في كل غرفة وعلى حسابنا الخاص. وجعلنا من العُلب المعدنية هيتراً كهربائياً

لغلي الماء لغرض الاستحمام، وهذا الهيتر صُنِع من علب معدنية صغيرة أو أغطية العلب الكبيرة ونضع فاصلاً من البلاستك بين العلبتين ونربطهما معاً ثم نأخذ السلك الكهربائي ونربطه في هاتين العلبتين فيصبح هيتراً، نضع هذا الهيتر في السطل البلاستيكي ونملأه ماءً ونوصل الطرف الآخر بالسلك الكهربائي ونتركه حتى يغلي الماء ويأخذه أحد السجناء ويضيف عليه ماءً بارداً حتى يعادل حرارته وتكثر كميته ثم يستحم به.

الملابس تغيرت، وألغيت (الكانة) وهي الزي الموحد الذي كان يُوزّع لنا من قبل دائرة السجن بين فترات متباعدة، وأصبحنا نرتدي الملابس كل حسب رغبته، أو حسب ما يجلبونه له أهله من ملابس، وبعد أن كنا لا نرى الشمس أصبحنا نخرج للشمس يومياً ومن الصباح حتى المساء، في بداية الأمر كنا نخرج الى ساحات القافات الصغيرة بعدها فتحت الساحة الكبرى وهي تربط ساحات الأقسام المغلقة مع البعض، فأصبحنا نمارس الرياضة كل حسب رياضته المفضلة، وكان الإخوة الذين يمارسون رياضة كرة القدم يزاحمون السجناء كثيراً، حيث اقتطعوا قسماً من هذه الساحة وأخذوا يمارسون لعبتهم المفضلة، وبعضنا أخذوا يمارسون لعبة كرة الطاولة والسلة والطائرة، وكنت أنا أمارس كرة الطائرة وهي لعبتي المفضلة، والكثير من السجناء يعرفونني بلاعب الطائرة، بعدها فُتِحت لنا الساحة الكبيرة التابعة للأقسام المفتوحة وهي كبيرة جداً، نمارس فيها الرياضة، وكانت تُفتَح لنا في كل أسبوع ثلاثة أيام وبعدها أصبحت تفتح يومياً. تم الاختلاط مع السجناء في الأقسام المفتوحة وأصبحت لنا علاقات واسعة معهم وتعرّفنا عليهم، وتعرفوا علينا وهم سجناء إسلاميون ولا يختلفون في قضاياهم وأفكارهم عن الأقسام المغلقة، وكانوا متحمسين جداً للاختلاط بنا، والتعرف على ما يجري في الأقسام المغلقة. كنا حذرين منهم لوجود بعض السجناء غير الإسلاميين، وهم غالباً ما يكونون متعاونين مع جهاز الأمن (منافقين) ولكن بعد ثورتهم على هؤلاء المنافقين والتخلص من هذه الجرثومة كما فعلنا نحن قبلهم بسنين أصبحت علاقتنا معهم طبيعية ونتبادل الزيارات فيما بيننا، وتغير كل شيء في السجن أصبحت لدينا حاجات كثيرة، فصنعنا خزانات صغيرة من الكارتون وبعضنا صنعها من الخشب وقد ثُبِّتت في الجدران بعد ذلك صنعنا رفوفاً وثبّتناها بالجدران وقريبة من السقف، صنعنا هذه الرفوف من الحديد الموجود في الشبابيك، فقمنا بقلع هذه الشبابيك ثم جزّأناها، وأصبحت قطعاً حديدية ثبتناها في الحائط وصنعنا شبكة من الحبال وربطناها فوق الرفوف، ثم وضعنا الكارتون فوق الشبكة، فأصبحت هذه الرفوف قوية، تتحمل كل حاجاتنا أغراضنا الفائضة عن الحاجة، وأيضاً الفراش الذي نستخدمه في وقت النوم، بعض السجناء اتخذوا من هذه الرفوف محلاً لنومهم. أدخلت لنا الكتب بعلومها المختلفة، ووصلتنا نسخ من القرآن الكريم والصحيفة السجادية ومفاتيح الجنان وضياء الصالحين. استمرت قراءة القرآن ولكن هذه المرة من خلال نسخ من القرآن بعد أن كانت عن ظهر قلب، وتمكن عدد من السجناء من حفظ القرآن كاملاً، وبعضنا يحفظ ٢٥ جزءاً منه و٢٠ و١٥ وهكذا فكنت أنا أحفظ ١٨ جزءاً منه.

أما الأدعية المأثورة فحفظناها جميعها مثل دعاء كميل والافتتاح ودعاء الصباح وغيرها وكذلك زيارات أهل البيت (ع)، قرأنا الكثير من الكتب السياسية والاجتماعية والتاريخية وبعض الروايات والقصص وكانت أول رواية قرأتها في السجن هي البؤساء ثم تلتها رواية اللقيطة للروائي العراقي.

وصلتنا أجهزة الراديو من الحجم الصغير في أول الأمر، ثم دخلت بحجم أكبر مع جهاز التسجيل، وكنا نتابع كل أخبار العالم من خلال جهاز الراديو، واشترينا الهيتر الكهربائي، وألغي المُصنَّع محلياً، كما استخدم هذا الهيتر لغلي الماء والطبخ بعد ذلك اشترينا طباخات مع قناني الغاز لطبخ الطعام وخصِّص مكان كبير خارج القاف للطبخ. أصبحت في كل

غرفة مبردة هواء وُضِعت في الشباك من الخارج أدخلت المراوح والمجمدات والثلاجات وفتحت أقسام جديدة، وخففت الأعداد في الغرف الى النصف، وحصلت حالات زواج كثيرة في هذه الفترة حيث أصبحنا نصنع خياماً خاصة للمواجهة وتُرَفع بعد انتهاء المواجهة، وكان السجناء الذين يتزوجون يقيمون خياماً خاصة ليوم زواجهم، ثم نقيم لهم حفلاً في المساء بمناسبة زواجهم، ووصلتنا كاميرات تصوير فوتوغرافية وبعض السجناء اشتروا أجهزة تلفزيون.

هذه الفترة التي عاشها السجناء هي أفضل فترة عاشها السجين في كل سجون العراق ومهما تكن القضية التي سجن من أجلها، واستمرت هذه الحالة من منتصف العام ١٩٨٩ حتى نهاية حرب الكويت التي غزاها صدام بعصاباته وبعض المغلوبين على أمرهم وبالتحديد بعد القضاء على انتفاضة الشعب العراقي على النظام الحاكم في العراق بالتعاون بين النظام والحكومة الأمريكية وبعض دول المنطقة الذين لا يريدون لشيعة العراق أن يكون لهم دور في سياسة المنطقة بعد أن يتسلموا الحكم في العراق.

بعد أن انتهت الانتفاضة انعكست أوضاعنا وأصبحت سيئة بعد أن حصلت حالات هروب من السجناء، واستغل بعض المنافقين في الأقسام المغلقة والمفتوحة بإعطاء أسماء الأشخاص الذين يعتبرونهم الرؤوس المدبرة لكل ما حصل ويحصل في السجن، تم استدعاء الكثير من السجناء الى معتقل الرضوانية حيث كان صدام كامل وقصي صدام يشرفون على التعذيب والتحقيق مع المشاركين في الانتفاضة.

أشرف صدام كامل على التحقيق مع السجناء الذين استدعوا من سجن "أبو غريب"، حيث قام بقتل بعضهم، وأعيد قسم منهم الى السجن بعد أن دُوِّنت لهم إفادات ولم يحاكَموا، أما القسم الأكبر فمصيرهم مجهول الى الآن.

وبدورنا كسجناء ندعو المنظمات الدولية كافة وخاصة منظمة الأمم المتحدة الى الضغط على النظام بالكشف عن مصير هؤلاء، وإطلاق سراحهم، وكذلك الكشف عن مصير الآلاف المؤلفة التي اختفت من العام ١٩٨١ و١٩٨٢، ونناشد هذه المنظمات بأن تمارس دورها في كشف ما يجري في العراق من انتهاك صارخ لحقوق الإنسان.

حملة تثقيف واسعة

المكاسب التي تحققت لنا بعد كل المحاولات التي حصلت جعلتنا نقوم بحملة تثقيف واسعة، وتبنى هذه الحملة الكثير من السجناء الذين لديهم اطلاع في مختلف العلوم وكل حسب اختصاصه، فتشكلت الحلقات الدراسية في جميع الغرف وبعض الأحيان يكون إعطاء الدروس بشكل جماعي في الغرف وبعضهم اختصره على شخص أو شخصين، شملت هذه الدروس الفقه واللغة العربية والمنطق والفلسفة والاقتصاد والسياسة والتاريخ، بعض السجناء أخذوا يشكلون دورات لتعليم اللغة الانكليزية، وبعضهم من كبار السن الأميين تعلموا القراءة والكتابة، كان الفضل الكبير يعود في هذه الدروس وخاصة الفقه والعلوم الحوزوية لأسرة آل الحكيم، إن هذه الأسرة هي أسرة علم وتقوى وإنهم لا يبخلون على أحد إذا طلب العلم منهم، كنا نرجع إليهم في جميع مسائلنا الفقهية وفي الكثير من مشاكلنا التي يصعب حلها فيما بيننا فكلمتهم مسموعة والجميع يحترمونهم، وكانوا يعطون الدروس لبعض السجناء الذين لديهم أوليات في دراسة العلوم الحوزوية، وبدورهم يقومون بتدريس هذه العلوم الى من يرغب من السجناء في الحصول على هذه العلوم، بعض السجناء يأخذون هذه العلوم من هذه الأسرة مباشرة، كنا نكنُّ لهم الاحترام وما زلنا، باعتبارهم أسرة علم وتقوى ومعرفة، وكذلك هم أسرة زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف آية الله

العظمى السيد محسن الحكيم وكذلك كان مع هذه الأسرة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم وآخرون من رجال العلم في هذه الأسرة التي ضحت بالكثير من أبنائها في سبيل إعلاء كلمة الحق.
بعض السجناء كانوا قد درسوا قبل دخولهم السجن كتاب اقتصادنا وفلسفتنا للسيد الشهيد محمد باقر الصدر، وأخذوا على عاتقهم تدريس هذين الكتابين للسجناء وعلى شكل حلقات، كذلك بعض السجناء ممن لهم اطلاع في التاريخ الإسلامي وخصوصاً تاريخ أهل البيت (ع) أعطوا هذا التاريخ وعلى شكل دروس للسجناء.
أما ثورة الحسين (ع) فقد توضحت بشكل جليّ للسجناء كلهم ومن جميع جوانبها الدينية والسياسية والاجتماعية والشرعية والعاطفية.
إن هذه القضية أخذت جُلَّ اهتمامنا، وجعلنا من ليالي الجمع مجالس عزاء يتطرق الخطيب الى قضية الإمام (ع) وكذلك جميع المناسبات الإسلامية وفي دروسنا الخاصة كنا نتطرق لقضية الإمام (ع).
الخلاصة هي أننا كنا نركز على دراسة قضية الإمام الحسين (ع).

تيار الانحراف

بعد أن تخلصنا من المنافقين، وقبل أن تُفتَحَ الأبواب، ويلتقي السجناء بعضهم مع البعض، استغل بعض السجناء الذين يحملون أفكاراً منحرفة هذا الظرف بطرح أفكارهم على البسطاء من السجناء بإعطائهم دروساً تبدو من أول وهلة دروساً إسلامية بحتة، وهي دروس في أصول الدين وفروعه وبشكل مُبسّط وسطحي، بعد أن تتم هذه الدروس، يُطلَب من الشخص الذي تلقى هذه الدروس أن يكشف نفسه أمامهم. التبرير لذلك هو معالجة هذا الشخص نفسياً، وتعطى له الدروس حول نوع الذنوب التي ارتكبها وكشفها لهم، وبرنامج كشف الذات هذا يجعل الضحية يبوح لهم بأسراره الشخصية، ويقصّ عليهم حياته من الطفولة وحتى ما بعد السجن، وبهذا الشكل يكون أسيراً بين يدي هؤلاء، ولا يستطيع أن يختلف معهم مهما فعلوا به؛ خوفاً من أن يشهّروا به بكشف أسراره والذنوب التي كان يرتكبها، وأصبح في هذه الحالة ضعيفاً أمامهم، شكلوا من هؤلاء مجاميع للتصادم مع بقية السجناء إذا تعرضوا للمضايقات، كذلك استخدموا هؤلاء لقضاء حوائجهم من غسل الملابس وجلب الماء لهم ليشربوا وهم جالسون في أماكنهم ويفرشوا لهم فراشهم قبل النوم ويجمعوه لهم بعد النهوض من النوم، ومن ضمن برنامجهم إعطاء دروس في الزهد وإذلال النفس وغيرها وجميع هذه الأفكار مغلوطة ومُحرّفة، فقام هؤلاء يرمون جزءاً من الطعام المخصص لهم، ويكتفون بالقليل منه، ويعتبرونه زهداً، كذلك ظل قسم من هؤلاء البسطاء المندفعين من غير وعي ودراية يدخلون الى التواليت، ويأخذون مياهاً مخلوطة بالفضلات المتراكمة في قاعدة التواليت، ويسكبونها فوق رؤوسهم، ويبقى لفترة داخل التواليت على هذه الحالة، ثم يقوم بغسل (تطهير) جسمه ثم يخرج من التواليت وهذا يعتبرونه إذلالاً للنفس، كذلك استخدموا تلفيق التهم والكذب والافتراء والاحتيال لتسقيط معارضيهم، أيضاً استخدموا أسلوب التقزيم، وكانوا يرفعون شعار الغاية تبرر الوسيلة، استخدموا كل الوسائل غير المشروعة وتدخل في الحرمة الشرعية للوصول الى أهدافهم وغايتهم، وهي بعد أن يتم كشف أسرار كل السجناء يسيطرون عليهم ويبقون يتصرفون في السجناء كيفما يشاؤون، يقربون فلاناً ويُبعدون فلاناً، ويحاربون فلاناً، ويسالمون فلاناً، والحمد لله فإن هدفهم لم يتحقق، ولو تحقق لحلت كارثة بين السجناء، فقد تصدى لهم بعض السجناء وحاربوهم داخل غرفهم، وشنوا عليهم حملة توعية مضادة، وحاصروهم مع أفكارهم

المنحرفة، ثم تم الانقضاض عليهم، ووصلت هذه الحملة الى ضرب وإهانة رؤوس هؤلاء المنحرفين وأمام الجميع وتم تفريقهم بين الغرف.

وهكذا قُضِي على هذا التيار المنحرف، وألطف ما أطلق على هذا التيار من تسمية هي (السودجية) وكان مصدر هذه التسمية الغرفة رقم ١١ من ق١، والذي أطلق هذه التسمية هو الحاج (أ، ع، أ) الكربلائي، أما التسمية المعروفة لهذا التيار ولحد الآن هي (العوجان).

محاولات الهرب

أثناء حرب الخليج الثانية قامت قوات التحالف بضرب العراق مستخدمة الطائرات والصواريخ، التي كانت تطلق على العراق من كل الجهات باستثناء الجهة الشرقية حيث الحدود الإيرانية، فإيران لم تشترك مع هذه القوات الدولية بضرب العراق على الرغم من وجود خلافات بين الحكومة العراقية والإيرانية بسبب الحرب التي أشعلها صدام ضد إيران.

هذه الطائرات والصواريخ لم تترك شيئاً في العراق إلا وأحالته خراباً، حيث ضربت البنية التحتية في العراق من معامل ومصانع ومنشآت نفط ودوائر الاتصال والكهرباء والماء والجسور، وقد دُمِّر العراق من شماله الى جنوبه وذلك بسبب حماقات صدام، ونحن طبعاً لا نحمّل صدام وحده مسؤولية تدمير العراق، وإنما هناك أطراف أخرى دولية وإقليمية تتحمل المسؤولية في خراب العراق؛ لوقوفهم ضد الشعب العراقي؛ ووقوفهم مع صدام وهم الذين أوصلوا صدام الى الوضع الذي وصل إليه قبل غزوه الكويت، أثناء هذه الحرب القذرة، وبعد أن دُمِّرَ كل شيء في العراق، وأصبح يغرق في ظلام دامس أثناء الليل، فكان سجن (أبو غريب) ظلامه دامس أثناء الليل، وأغلب حراسه هربوا من الخدمة، فتوفرت الفرصة للهروب من السجن، فحصلت عملية هروب نفذها الدكتور حسين الشهرستاني عالم الذرة العراقي، قام بالتنسيق مع أحد السجناء في قسم المخابرات، وكان هذا السجين موضع ثقة لرجال المخابرات، فيستطيع الدخول حتى إلى غرفهم الخاصة، وقد سلموه مفاتيح الأقسام وغرفهم وسياراتهم.

اتفق الدكتور حسين معه على الهروب، فهربوا بسيارة المخابرات ومعهم شخصان آخران فأصبحوا أربعة هم الدكتور حسين الشهرستاني وعلي عريان الذي تم معه التنسيق والسيد جعفر الحكيم وصباح البصري.

أوصلتهم السيارة الى بغداد ثم تم تبديلها بأخرى أوصلتهم الى شمال العراق، وفي السليمانية فُقِد أحدهم، أما الثلاثة الباقون فقد وصلوا الى إيران وهي أول عملية هروب جريئة حصلت في سجن (أبو غريب)، حيث بعدها حصلت حالات هروب جماعية وفردية من الأقسام المفتوحة ليلاً، ولا أريد أن أتطرق للأحداث أو للحياة التي كان السجناء في الأقسام المفتوحة يعيشونها، هم أجدر من أي شخص لم يعِشها.

في الواقع نحن عايشنا بعض هذه الأحداث، ونستطيع أن نوضح بعض ما عايشناه ولكن لا نتطرق لها ونتركها لإخواننا من الأقسام المفتوحة، ليتصدى أحدهم لكتابتها فهم أحق بها وهم أكثر اطلاعاً من غيرهم عليها، ولا يحق لأي شخص غيرهم بأن يتطرق لهذه الأحداث؛ لأنه سوف يكون غير دقيق في نقل الأحداث، إنهم مروا بأحداث كثيرة وقاسية فواجبهم الإسلامي والإنساني والتاريخ يحتّم عليهم تدوين هذه الأحداث كي يطلع العالم والشعب العراقي بشكل خاص على جرائم أعتى نظام عرفه التاريخ.

استغل بعض السجناء حالة الإرباك التي سادت سجن (أبو غريب) بعد انقطاع التيار الكهربائي، وهروب الكثير من حراس السجن، وقيام الانتفاضة، كل هذه العوامل كانت محفزة للتخطيط لعملية هروب جميع السجناء في الأقسام المغلقة والمفتوحة.

تم التخطيط من قبل السجناء، فحصل التنسيق مع بعض حراس السجن حيث كان من ضمن هذه العملية جلب سيارات لنقل السجناء الكبار في السن وستكون ساعة الصفر في الواحدة بعد منتصف الليل، كانت الخطة، أن يقوم أحد حراس السجن المتعاونين معنا بفتح الأبواب ثم تخرج مجاميع للسيطرة على دائرة الأمن والشؤون ومخازن الأسلحة، وقد تم تكليف بعض الإخوان لقيادة المجاميع التي تخرج من السجن حتى يلتحقوا بالثوار الذين سيطروا على ١٤ محافظة عراقية من أصل ١٨ محافظة.

لاقت هذه الخطة معارضة من بعض السجناء وكان رأيهم أن صدام سوف ينتهي بعد وصول الثوار الى بغداد، وأنهم الآن في الحلة والكوت وأن بعض مناطق بغداد قد وصلت لها الثورة مثل مدينة الثورة والشعلة وغيرها، والأفضل أن نبقى ننتظر حتى يأتونا ويطلقوا سراحنا.

فكنا نرفض هذا التخاذل، ونرد عليهم: يجب علينا مشاركة شعبنا، ونحن أحق من غيرنا بالانقضاض على رأس النظام في بغداد، فظل هؤلاء متحفظين على هذه العملية، أما بعض السجناء فليس لديهم علم بما يجري ولم يخبرهم أحد.

تمت الاستعدادات لهذه العملية فجمعنا بعض حاجاتنا البسيطة، ووضعنا ما يتوفر لدينا من طعام في أكياس صغيرة يسهل حملها، وارتدينا الملابس التي تساعدنا على خفة الحركة، تمت الاستعدادات كافة، ولم يبقَ إلا وصول ساعة الصفر. ولكن حصل ما لم يكن بالحسبان، فقبل ساعة الصفر بنصف ساعة كان بعض السجناء يراقبون الأوضاع وحركات بعض حراس السجن الذين لم يُعيروا أهمية لواجبهم المكلفين به، كنا ننتظر مجيء الحارس المُتفقَ معه لفتح الأبواب، وإذا بقوات طوارئ كثيفة ومسلحة تنتشر فوق سطح السجن وفي الساحات، وقد علموا بمحاولة الهروب الجماعية من خلال أحد عيونهم الذي زرعوه بين السجناء في الأقسام المفتوحة، فشلت هذه العملية ولم تتخذ أية إجراءات ضد السجناء.

أثناء المواجهة في تلك الفترة رُفِع التشدد على العوائل أثناء الدخول والخروج، فانتهز بعض السجناء هذا الوضع وهرب عدد منهم ومن ضمن هؤلاء السيد باقر القبانجي، كانت لي معه علاقة جيدة ومع السيد هاشم الحكيم وهو من أسرة الحكيم المحتجزة معنا، فطرح عليّ فكرة الهروب أثناء المواجهة، واستغلال هذه الأوضاع التي يسيطر عليها الإرباك، فوافقته بالرأي، واتفقنا بأن نهرب أثناء خروج العوائل، تهيأنا، ونصبنا خيمة لهذا الغرض، ولا أحد يعلم بنا، فباشرنا بتغيير ملابسنا، وحلقنا أذقاننا وكان السيد هاشم ذقنه خفيف على الرغم من هذا قام بحلقه.

بدأت العوائل بالخروج من السجن تباعاً، في آخر الوقت تخرج أغلب العوائل في وقت واحد، فيكون هناك ازدحام، وتفلت الأوضاع من السيطرة، كنا قد خططنا للخروج بهذه الفترة، لكن قبل أن تنهض العوائل التي تجاوزت على الوقت المحدد وهي أغلب العوائل، جاءنا خبر بأن أحد السجناء حاول الهرب مع العوائل وهو يرتدي الزي النسائي (لا يقبل أن يذكر اسمه) فشلت عملية هروبي مع السيد هاشم من السجن، بعد ألقوا القبض على أحد السجناء، وهو يحاول الهروب، فاتُخِذت إجراءات مشددة في باب السجن، تغيّرت الأوضاع نحو الأسوأ، إدارة وأفراد أمن جديدة ومتشددة، وفرضت علينا قيوداً صعبة جداً، ولكننا احتفظنا بالمواجهة والخروج الى الشمس.

قبل إطلاق سراحنا بأيام قليلة، قام اثنان من سجناء الأقسام المفتوحة بعملية هروب جريئة على الرغم من الإجراءات المشددة التي اتخذت داخل السجن وخارجه ، وكان قرار العفو الذي أطلق سراحنا على ضوئه لم يشمل هذين الاثنين.

قرارات العفو

جميع قرارات العفو التي كانت تصدر من قبل ما يسمى بمجلس قيادة الثورة أو من صدام شخصياً لا يطلق سراحنا فبعضها لا يشملنا والبعض الآخر يشملنا ولكن لا يطلق سراحنا، فمرة يقال لنا: إنكم جواسيس، والجواسيس لا يشملهم أي قرار عفو.
ومرة أخرى يقال لنا: إنكم عملاء لإيران والقرار لا يشملكم.
صدر قرار عفو عام ١٩٨٤ لم يشملنا، بعدها صدر قرار عفو عام ١٩٨٦ وكان يشملنا وجاءت اللجان لاتخاذ الإجراءات لإطلاق سراحنا.
استمرت اللجان يومين في العمل ثم انقطعت، ظل بعضنا يسأل البعض عن سبب انقطاع عمل اللجان، ولم نصل الى سبب مُقنِع حتى جاء أحد ضباط الأمن وسألناه عن السبب، فقال: إن العفو لم يشملكم باعتباركم جواسيس فتأثرنا جميعاً، وكان الأمل يسودنا في أن نشم رائحة الحرية بعد كل هذه السنين.
تأزمت حالة بعض السجناء النفسية، بعدها صدر قرار عفو عام بتاريخ ١٩٨٨ وأطلق سراح الكثير من السجناء من غير المحكومين وفق المادة (١٥٦).
بعد غزو الكويت مارست الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها مثل منظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان وكذلك الرئيس الأمريكي مارسوا الضغوط على النظام لإطلاق سراح السجناء فأُجبِر صدام على إصدار قرار عفو عام عن السجناء بتاريخ ١٩٩١/٧/٢١، لم نشعر بأننا سيُطلَق سراحنا؛ لأن التجارب كثيرة مع هذا النظام الذي يفتقر الى الصدقية، فلم نتفاعل مع هذا القرار كما في السابق، ظل النظام يماطل في تنفيذ هذا القرار لكسب الوقت عسى أن تزول تلك الضغوط عنه، واستمرت هذه المماطلة مدة خمسة أشهر بعدها صدر قرار عفو آخر يلحق بالقرار السابق يدعو إلى تنفيذ القرار، وهكذا بدأت اللجان بتنفيذ الإجراءات اللازمة لإطلاق سراحنا، ولم نصدق ما نشاهده من إجراءات جدية حتى جاء يوم ١٩٩١/١٢/٢٢، حيث أُفرِج عن أول وجبة من السجناء في الأقسام المغلقة، ثم تلاحقت هذه الوجبات، وبقيت الأعداد قليلة قبل المساء منذ يوم ٢٣/ ١٩٩١/١٢ وجمعوا كل المتبقين من السجناء في الأقسام المغلقة والمفتوحة جمعوهم في ق٢.
كانت ليلة ١٩٩١/١٢/٢٤ ليلة صعبة وهي أول ليلة أقضيها في ق٢، بُثّت دعاية مفادها أن هذه المجموعة من السجناء المتبقين لا يشملهم العفو، أطلق سراح جميع أبناء منطقتي وقضيتي ولم يبقَ معي إلا الأخ (هـ، ك، ج)، مضت هذه الليلة، ولم ترَ عيني النوم بسبب الأرق الذي لازمني والتفكير بكيفية قضاء مدة السجن المتبقية من الحكم في السجن، في الصباح لم يحدث أي شيء في أول ساعات الصباح كما كان في اليومين الماضيين؛ ما زاد في قلقنا وتصديقنا في الدعاية التي بُثّت فتأزمت حالتنا النفسية، أما السجناء الذين أبلغوهم قبل المباشرة بإطلاق سراح السجناء بأنهم غير مشمولين بهذا القرار فهؤلاء في وضع لا يُحسَدون عليه فهم لم يُطلَق سراحهم ولحد هذه اللحظة.
في الساعة الحادية عشر قبل الظهر جاء الملازم حامد، بيده قائمة من الأسماء قال: إنها الوجبة الأخيرة،، وبدأ ينادي بالأسماء، القائمة طويلة كاد ق٢ يفرغ من السجناء، الأخ (هـ، ك، ج) نادوا باسمه، وخرج، وكنت واضعاً يدي على قلبي خوفاً من أن يكون اسمي غير موجود في هذه القائمة. كانت دقائق ولحظات عسيرة... توقف ملازم حامد عن قراءة

الأسماء، وذلك بسبب انشغاله مع أحد الأشخاص الذي يقف بجانبه، بعدها عاود القراءة نادى باسمي سجينين، ثم نادى باسمي ولم أكَدْ أصدق، وضعت ما كان بين يدي على ظهري وهي بعض الملابس والحاجيات، وخرجت من ق٢ الى الممر، سرت قليلاً توقفت أمام ق١، تذكرت السنين التي مضت، والأوضاع التي كنت أعيشها وراء هذا الباب، وتمنيت أن لا يدخل هذا الباب إلا المجرمون أمثال صدام وعناصر نظامه، فهم تنطبق عليهم جميع صفات الإجرام من سرقة وقتل وانتهاك لحقوق الإنسان والتجسس وخيانة الوطن وكانوا السبب الرئيس في تدمير العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ودينياً فهم مجرمون بمعنى الكلمة ويستحقون الدخول في هكذا أماكن، نظرت الى الخلف باتجاه ق٢ أغلق الباب ولم يخرج بعدي إلا سجين واحد فكنت ما قبل الأخير خرجت من الممر الطويل الى الساحة القريبة من الباب الرئيس لقسم الأحكام الخاصة، وجدت الجميع جالسين و"النقيب سعد" واقف أمامهم كان ينتظر أن يتم العدد حتى يُلقي كلمته، بعد أن جلسنا أنا والأخ الذي تلاني بدأ النقيب سعد بكلمته حيث قال وضمن كلمته القصيرة نصاً (نحن وأنتم لا نستطيع أن نبدأ بصفحة بيضاء جديدة بسبب ما حصل فيما بيننا، وأنا أنصحكم بالخروج من العراق وهو أفضل لكم وإلا سنعيدكم مرة أخرى) انتهى كلامه، وكان مُحِقاً في كلامه، فتِح الباب الكبير، وطلبوا منا الخروج والتوجه الى الباب الرئيس الجانبي لسجن (أبو غريب)، كانت المسافة بعيدة جداً، وعلينا قطعها سيراً على الأقدام، فأخذنا نتسابق على الرغم من ثقل الحاجيات التي أحملها للوصول الى الباب، كنا جياعاً حيث لم نتناول وجبة الغداء، كان شخص يبيع (السندويج) اشترينا منه وأكلنا، جاءنا شخص وقال: أ تعرفون هذا الشخص، فقلنا له: لا، قال: إنه أبو وداد، أبو وداد كان يقوم بتنفيذ عمليات الإعدام التي تمت في سجن (أبو غريب). تذكرنا إخواننا وأصدقاءنا وأناساً أعزاء علينا، قام هذا الشخص بإعدامهم، من كانت بيده بقايا من السندويج التي اشتراها ألقى بها على الأرض ومن كانت بيده سندويج ولم يأكل منها شيئاً أعادها إليه وامتنع الباقون من شراء السندويج من هذا الرجل.

أبو وداد قبيح الشكل أسود اللون أنفه كبير شعره مجعد وغير مرتب صاحب بطن كبيرة بدين من يشاهده لا يساوره أدنى شك بأن هذا الشخص مجرم.

وصلت السيارات لنقلنا كلٌ الى أهله. انطلقت بنا نحو البصرة فلم نصدق إننا أحرار كان أبو رقية يجلس الى جانبي قال: هل من المعقول أن صدام يطلق سراحنا بعد كل هذه السنين، ويتركنا نعيش حياتنا بشكل طبيعي، ثم قال: هذا غير معقول لأن صدام أطلق سراحنا بالضغط عليه وليس بمحض إرادته، لذلك فسوف لن يتركنا نعيش بهدوء وعلينا الخروج من العراق وإلا ستكون عواقبنا وخيمة، توقفت السيارة في قضاء القرنة الساعة الحادية عشر مساءً، كل شيء قد تغير في القرنة، وكان أهلي قد انتقلوا من بيتنا بعد أن قام النظام بهدمه، ذهبت الى بيت عمتي طرقت الباب خرج لي ابن عمتي تفاجأ بوقوفي أمام الباب احتضنني وأدخلني الى داخل البيت سلمت على عمتي ثم وضعوا أمامي الطعام وبعد تناول الطعام قلت لهم أذهب الى بيتنا، قالت عمتي لابنها: اذهب معه، ذهبنا معاً وفي الطريق اعترضتنا سيارة وذلك في شارع الفردوس نزلوا منها ثلاثة أشخاص عسكريون وتوجهوا لي وطلبوا تفتيش الحقيبة التي كنت أحملها، فتشوها ولم يعثروا على شيء مما يبحثون عنه، قال أحدهم: أعطني هويتك فأخرجت من جيبي ورقة صغيرة كتب عليها (يجب مراجعة أمن المنطقة خلال عشرة أيام) وفيها توقيع ضابط الأمن في السجن، قال لي: ما هذه الورقة، فقام ابن عمتي بشرح قصتي لهذا الشخص، فقال: إذا سوف تأتينا للمراجعة، فقلت له: نعم، وركبوا سيارتهم وذهبوا، وعاودنا نحن السير الى بيتنا وعندما وصلنا طرقت

البـاب وخـرج والـدي ولـم يصـدق مـا يشـاهده بعينـه، دخلنـا جميعـاً الـى البيـت وهكـذا انتهـت رحلـة إحدى عشرة سنة في سجون (صدام).

طرائف

١) في الأمن العامة كانت الأعداد مزدحمة وكنا لا نكتفي بالساعات المخصصة للنوم، وكان ابن عمتي صادق جعفر مروح ينام في أي مكان حتى لو كان واقفاً، في أحد الأيام دخل الى التواليت وكنا في الزنزانة رقم ٢٤، أمضى وقتاً طويلاً في التواليت ولم يخرج كان المعتقلون في الزنزانة يخجلون من طرق باب التواليت، فكلفوني بطرق الباب عليه فطرقت الباب فلم يرد عليّ، فتحت الباب ودخلت للتواليت فوجدته نائماً وقد وضع رأسه على أنبوب الماء وكان الهواء يدخل من الفتحة الموجودة بين الأنبوب والحائط.

٢) اتخذ أحد المعتقلين حائط الحمام في الأمن العامة مكاناً لينام فوقه، وفي إحدى الليالي تسلق الحائط واستقر في مكانه لينام، كان بجانبه دلو مملوء بالماء وبعد أن غلب عليه النوم تحرك في مكانه فدفع دلو الماء فسقط دلو الماء بما فيه من الماء على النائمين ثم وقع هو.

٣) أثناء المواجهة كنا نستمع للأسماء التي تُتلى من خلال مُكبّر الصوت، وكانت الأسماء من أهالي البصرة فنادوا باسم عبد الدايم وكان في الممر فركض على الغرفة رقم ٦ وكان يرتدي دشداشة زرقاء اللون وبسرعة خلع الدشداشة فتبين أنه لم يرتدِ تحته ملابسه الداخلية فصحت به انتبه! فانتبه لنفسه وأعاد الدشداشة.

قائمة بأسماء الذين أعدمهم النظام في نهاية عام ١٩٨٠ وبداية العام ١٩٨١ و١٩٨٢ وهم أصدقائي من محافظة البصرة/ قضاء القرنة

١-جبر عبد لفته/ طالب في إعدادية التجارة في البصرة، أعدم عام ١٩٨٠ في الشهر ١٢,
٢-عبدالله حسين يوسف/ خريج إعدادية الزراعة، أعدم عام ١٩٨١,
٣-عبدالجبار جعفر مروح/ موظف في وزارة التربية في البصرة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/١
٤-خزعل وصفي الشناوي/ موظف في نفط الجنوب، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/١
٥-كاظم لفته مونس/ موظف في دائرة الكهرباء في القرنة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/١
٦-علي نعيم عطيوي/ نائب ضابط في الجيش العراقي، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/١
٧-سعيد يوسف ضاحي/ طالب في إعدادية زراعة البصرة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/٦/٣٠
٨-كريم مهدي أبو الهيل/ طالب في إعدادية زراعة البصرة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/٦/٣٠
٩-رياض كاظم أبو الهيل/ خريج جامعة البصرة – عسكري مجند، أعدم في بداية العام ١٩٨٢,
١٠-نايف عبد علي هادي/ معلم في مدرسة ابتدائية في الجزيرة الحمراء – القرنة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/٦/٣٠
١١-خيري ماضي الزيادي/ معلم في مدرسة ابتدائية في الجزيرة الحمراء – القرنة، أعدم بتاريخ ١٩٨٢,/٦/٣٠
١٢-عبدالحسين بدر/ ضابط مجند برتبة ملازم في الجيش العراقي، أعدم في بداية العام ١٩٨٢,
١٣-طالب عبدالسادة مونس/ طالب في إعدادية القرنة المسائية الصف السادس العلمي، توفي في السيارة أثناء نقلنا من مديرية البصرة الى مديرية أمن الكوت (واسط).
١٤-ناجي كاظم ملغوث/ طالب في إعدادية القرنة، أعدم بتاريخ ١٩٨٤.

قائمة بأسماء المفقودين الذين اعتقلوا عام ١٩٨٠ وهم أصدقائي من محافظة البصرة – قضاء القرنة

١-صبيح حسين يوسف[1]/ معلم في مدرسة مزيرعة الابتدائية القرنة، اعتقل بتاريخ ١٩٨٠,

٢-نجاح حسين يوسف/ طالب في إعدادية زراعة البصرة، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١٧

٣-حيال غضبان سهيم/ عسكري متقاعد، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١١

٤-محمد عبدالنبي فالح/ طالب في إعدادية القرنة- الفرع العلمي، الصف السادس، اعتقل بتاريخ ١٩٨٠,

٥-صالح عبد لفته/ خريج جامعة الموصل، اعتقل عام ١٩٨٠,

٦-جاسم محسن باجي/ موظف في معمل الورق في البصرة، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١٢

٧-رحيم عبدالسادة مونس/ طالب في إعدادية زراعة البصرة، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١٢

٨-كاظم نايف عيسى/ موظف في نفط الجنوب، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١٢

٩-هاشم الموسوي/ عسكري في الجيش العراقي، اعتقل بتاريخ ١٩٨١,/٥/١٢

١٠-كريم جبار صحيو/ عسكري في الجيش العراقي، اعتقل عام ١٩٨١,

١١-الأستاذ تغلب/ مدرس لغة انكليزي في إعدادية القرنة، اعتقل عام ١٩٨١,

١٢-الأستاذ حليم/ مدرس علم الأحياء في إعدادية القرنة، اعتقل عام ١٩٨٠,

١٣-ثائر مدلول/ طالب في ثانوية القرنة، اعتقل عام ١٩٨٠,

١٤-صالح مجيد/ مدرس في إعدادية زراعة البصرة، اعتقل عام ١٩٨٠,

١٥-محمد مجيد/ طالب في إعدادية زراعة البصرة، اعتقل عام ١٩٨١.

---

١ ذكرنا سابقا اسم هذا الشخص وقد سلمت ورقة الى زوجته من قبل السلطة تبين أنه استشهد في الجبهة، ولكن لا أحد يثبت صحة ادّعاء السلطة لذلك يعتبر مفقوداً